

الغزير بن عبد السلام

(٥٧٨ - ٦٦٠ هـ)

حياته وآثاره ومنهجه في التفسير

تأليف

دكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي

الغزير بن عبد السلام

(٥٧٨ - ٦٦٠ هـ)

حياته وآثاره ومنهجه في التفسير

تأليف

دكتور عبد الله بن إبراهيم الوهيبي

الأستاذ المساعد بكلية أصول الدين بالرياض
بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثانية

١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م

الغزير بن عبد السلام

(٥٧٨ - ٦٦٠ هـ)

حياته وآثاره ومنهجه في التفسير

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الهدى

أهدى باكورة إنتاجي العلمي إلى شيعي المشرف على رسالتي للدكتوراه فضيلة الدكتور أحمد السيد الكوي أستاذ التفسير بجامعة الأزهر. الذي فتح لي قلبه وبيته ، فكنت أتردد عليه كثيراً ، وأنهل من علمه الغزير ، وأستعين به في حل مشكلات البحث ، فأجد عنده التوجيه والنصح ، فكان يجود لي بوقته وراحته ، كما هي عادته مع طلابه .
وإنني لعاجز عن شكره ، ورد الجميل إليه ، فلا يسعني في هذا إلا أن أدعو الله الكريم له بالسلامة وطول العمر ، وأن يقيه الله ذخرآ للعلم وطلابه .

المِلَّةُ الْيَمِينَةُ

الحمد لله حمداً موافياً لنعمه ، مكافئاً لمزيدة ، والصلاة والسلام على خاتم
رسله الذى أرسله للعالمين بشيراً ونذيراً ، ونزل عليه القرآن منجماً بحسب
المصالح ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ، ويهديهم إلى الصراط المستقيم .
أنزله معجزة ناطقة خالدة إلى يوم الدين ، وتكفل بحفظه ﴿ إنا نحن نزلنا
الذكر وإنا له لحافظون ﴾ ، [الحجر : ٩] وتيسره للدارسين الذاكرين
﴿ ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ﴾ ، [القمر : ١٧] .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ،
وأستعين بالله وأستغفره من شرور نفسى وسيئات أعمالى ، وأسأله التوفيق
والهداية وحسن الخاتمة وبعد :

فالعز بن عبد السلام علم من أعلام الإسلام ، ومن كبار المفكرين فى القرن
السابع الهجرى ، وأحد سلاطين العلماء الذين حاربوا الظلم والطغيان ،
وأمرؤا بالمعروف ، ونهوا عن المنكر وغيره ، وهانت عليهم أنفسهم فى
سبيل إعزاز الدين ونصرة المظلومين ، فهو القائل :

« ينبغى لكل عالم إذا أذل الحق وأخل الصواب أن يبذل جهده فى
نصرهما ، وأن يجعل نفسه بالذل والحمول أولى منهما ، وإن عز الحق فظهر
الصواب أن يستظل بظلها وأن يتكفى باليسير من رشاش غيرهما (١) » .

وقد اشتهر العز عند الباحثين بذلك ، كما اشتهر بأنه فقيه مجتهد ، أما كونه
مفسراً فغير مشهور مع أن له تفسيرين :

(١) راجع : طبقات الشافعية لابن السبكي (٨ : ٢٤٥) .

أحدهما : اختصار تفسير الماوردى « النكت والعيون » .

والآخر : ألفه ابتداء في تفسير القرآن الكريم .

ولم يشتهر بذلك لأن تفسيره مكدسان في خزائن المخطوطات فلم يحظيا بالنشر والدراسة .

ومن هنا تأتي أهمية هذا الكتاب حيث درس الجانب التفسيري من حياة العز ، فبين منهجه في تفسيره المختصر ، وقارنه بتفسيره الذى ألفه ابتداء ، وقوّمه بذكر ما له وما عليه .
ويمتاز هذا الكتاب بما يلي :

١ - أنه أحاط بجميع الدراسات العادية والمتخصصة التى كتبت عن العز ، وبعضها لم ينشر بعد ، فجاء الكتاب مشتملا على خلاصة ما فيها ، كما أنه تعقبها فيما وقعت فيه من أوهام أو أخطاء سواء فى الكلام عن سيرته أو مؤلفاته .

٢ - أنه حصر جميع آثار العز العلمية المطبوع منها والمخطوط ، وقدم لها وصفاً تفصيلياً ، وبين أماكن وجودها فى مكتبات العالم واطلع على غالبها ، وقدم لها دراسة مختصرة مقرونة بنصوص من هذه المؤلفات لإيضاح منهج العز فى التأليف ومعالجة المواضيع التى كتب فيها .

٣ - أنه عقد فصلاً مستقلاً للحديث عن الكتب التى نسبت إلى العز خطأ بسبب اتفاق جزء من اسمه مع اسم مؤلف آخر .

٤ - أنه أبرز الجانب المغمور من حياة العز والماوردى - وهو التفسير - فذكر مصادر تفسير الماوردى وتأثر المفسرين به ومنهجه فى التفسير مقارناً بتفسير العز ؛ لأن أحد تفسيري العز اختصار له .

فالكتاب يقدم لك دراسة مقارنة بين منهج الماوردى والعز فى التفسير ، كما أنه يكشف الجانب المغمور من حياة هذين العالمين الكبيرين ، وهو التفسير ؛ لأن المشهور عند الباحثين أنهما فقيهان مجتهدان ، أما كونهما مفسرين فغير مشهور ، لأن تفسيريهما مكدسان فى خزائن المخطوطات بدون نشر .

وقد انتهت هذه الدراسة إلى النتائج الآتية :

(١) أن تفسير العز المختصر يمتاز بما يلي :

- ١ - جمع أقوال السلف والخلف التي قيلت في تفسير ما خفي من آيات القرآن الكريم ، فهو يركز على الخفي من الآيات ، أما الواضح الجلي فيتركه لفهم القارئ .
- ٢ - تحليلاته اللغوية الدقيقة لمعاني كلمات الآية ، وتوضيحها بالأمثلة التي تجعل المعنى في صورة المحس بعبارة موجزة مفيدة واضحة .
- ٣ - توجيهه لبعض القراءات المخالفة للغة المشهورة . وقد يعقب بالرد على بعض المطاعن الموجهة إليها .
- ٤ - اختصاره لأسباب النزول التي أطال فيها الماوردي .
- ٥ - عنايته بآيات الأحكام مع عدم استطراده في الفروع الفقهية
- ٦ - عدم إكثاره من الأخبار الإسرائيلية ، وقد يعقب على بعضها بالرد .
- ٧ - تنبيهه على الآيات المكية والمدنية في أول كل سورة .
- ٨ - أنه نزه تفسيره من أحاديث فضائل السور الموضوعية التي تورط فيها بعض المفسرين كالثعلبي والواحدى والزحشرى .

(ب) يؤخذ عليه ما يلي :

- ١ - قلة عنايته بالقراءة .
- ٢ - عدم تخريجه للأحاديث .
- ٣ - ذكره لأحاديث وأسباب نزول ضعيفة ولا ينبه على ذلك .
- ٤ - أنه يذكر حوادث مدنية أسباباً لنزول آيات مكية .
- ٥ - ذكره لأخبار إسرائيلية بدون تعقيب غالباً .
- ٦ - أنه لم تبرز شخصيته في هذا المختصر ؛ لأنه يسرد الأقوال بدون مناقشة أو ترجيح ، إلا في حالات قليلة .

٧ - ذكره لأقوال اعتزالية بدون تعقيب ، وحذف نسبة كثير من الأقوال إلى قائلها .

وأستطيع بعد هذه الدراسة أن أضع هذا التفسير في مجموعة « التفسير الأثرى اللغوى » .

وهذه الدراسة هي القسم الأول من رسالتى للدكتوراه في التفسير وعلومه ، وقد حصلت فيها على مرتبة الشرف الأولى مع التوصية بالطبع والتداول بين الجامعات ، والحمد لله رب العالمين .

أما القاسم الثانى فهو تحقيق اختصار تفسير الماوردى للعز بن عبد السلام ، وهو تحت الطبع ، وسيصدر قريباً إن شاء الله .

وقد تناولت هذه الدراسة ، عصر العز ونسبه ومولده ، وطلبه للعلم ، وحياته العملية في دمشق ومصر ، وشيوخه وتلاميذه ، ومؤلفاته في مقدمة ، وباين ، وخاتمة .

الباب الأول : حياة العز وآثاره يتكون من خمسة فصول الفصل الأول : عصره

بينت في هذا الفصل الأوضاع السياسية المضطربة في هذا العصر بسبب الحروب الصليبية والغزو المغولى لبلاد الإسلام ، والحروب والفتن الداخلية التى كانت تثور بين حكام المسلمين .

ثم بينت الطبقات الاجتماعية في هذا العصر ، وأوصافها التى تميزها ووظائفها التى تختص بها ، والدور الهام الذى تقوم به في بناء المجتمع .

ثم بينت أن العلم ترعرع في هذا العصر ، ووجد طبقة من جهابذة العلماء ، وذكرت أهم هؤلاء العلماء وأهم مؤلفاتهم ، كما بينت أن المختصرات قد كثرت وأصبحت سمة من سمات هذا العصر ؛ لأن العلوم قد كملت ونضجت وأفعمت بمؤلفات السابقين ، وبجانب هذه المختصرات مؤلفات قائمة بنفسها . وقد

استفاد العز من هذه الحركة العلمية النشطة في طلب العلم ونشره . فانصقلت مواهبه وتكونت شخصيته الجامعة بين الفقه والأصول واللغة والتفسير والتصوف .

الفصل الثاني

نسبه ومولده وطلبه للعلم وأعماله

بينت في هذا الفصل اسم العز الكامل ، وأنه ولد في دمشق ، وخلاف الباحثين في سنة ولادته بين عام (٥٧٧ هـ) و (٥٧٨ هـ) وبينت أن هذا الخلاف لا يترتب عليه كبير فائدة .

ثم ذكرت أن العز نشأ في أسرة فقيرة مغمورة ، وأنه لم يطلب العلم إلا على كبر ، وقد تردد على كبار شيوخ عصره ، ولم يكتف بعلماء بلده بل سافر إلى بغداد لطلب العلم ، ولم يمكث بها طويلاً . وبعد أن تعلم العز ونضج بدأ يزاول حياته العملية في التدريس والإفتاء والقضاء والخطابة ، وقد زاول هذه الأعمال بدمشق التي قضى فيها الشطر الأكبر من حياته ، ثم عزله الملك الصالح اسماعيل عن الخطابة واعتقله لإنكاره عليه تحالفه مع الصليبيين ضد ابن أخيه نجم الدين أيوب حاكم مصر ، ثم أفرج عنه فرحل إلى مصر فرحب به حاكمها نجم الدين أيوب ، وولاه الخطابة بجامع عمرو ابن العاص والقضاء . وقد قام العز بعمله على أحسن وجه آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر ، كما اتسم في قضائه بالعدل بين الناس والصرامة في تطبيق الشرع والتسوية بين القوى والضعيف . وبسبب ذلك لاقى صعوبات جعلته يعزل نفسه عن القضاء مرتين ، ثم تفرغ بعد ذلك للتدريس والإفتاء والتأليف حتى اختاره الله لجوارحه سنة (٦٦٠ هـ) .

الفصل الثالث : اتجاهاته الفكرية

بينت أن العز نبغ في علوم الشريعة واللغة العربية ، وترك فيها مؤلفات كثيرة غالبها رسائل صغيرة ، فهو من الذين قيل فيهم : علمهم أكثر من تصانيفهم ، كما ذكرت نقولا عن علماء معاصرين له ، وعلماء ترجوا له أشادوا بعلمه ونبوغه ، وقال أكثرهم : إنه بلغ رتبة الاجتهاد . ثم أبرزت اتجاهاته الفكرية في العلوم التي ألفت فيها في المباحث الآتية :

- ١ - اتجاهاته الفكرية في التفسير وعلومه .
- ٢ - اتجاهاته الفكرية في الحديث .
- ٣ - اتجاهاته الفكرية في العقيدة .
- ٤ - اتجاهاته الفكرية في الفقه وأصوله .
- ٥ - اتجاهاته الفكرية في التصوف .

الفصل الرابع : التعريف بشيوخه وتلاميذه

عرفت بأهم شيوخ العز وذكرت أثرهم فيه ، كما عرفت بالماوردي الذي تأثر العز بكتبه فاختصر تفسيره ، وجمع بين كتابه « الحاوي » وكتاب « النهاية » لإمام الحرمين الجويني . كما عرفت بأهم تلاميذ العز ، وذكرت أثره فيهم .

الفصل الخامس : مؤلفاته وما نسب إليه

ذكرت في هذا الفصل مؤلفاته على سبيل الإجمال حيث بلغت (٣٨) مؤلفاً غالبها رسائل صغيرة ، ثم ذكرتها على سبيل التفصيل ، فعرفت بها وبينت المطبوع منها والمخطوط ومكان وجوده . وقت بدراسة مختصرة لغالبها ، كما تمهّنت عن الكتب التي نسبت إليه خطأ .

الباب الثاني

منهج العز في التفسير

يتكون من تمهيد وثلاثة فصول :

ففي التمهيد عرفت بتفسير الماوردي (النكت والعيون) لأن تفسير العز اختصار له ، ثم عرفت باختصار العز مقارناً ذلك بتفسير الماوردي ، كما ذكرت سبب اختصار العز له .

الفصل الأول

مصادر تفسير الماوردي وتأثير المفسرين به

بينت في هذا الفصل مصادر الماوردي التي استمد منها تفسيره ، وهي مصادر تفسير العز - أيضاً - لأنه اختصار لتفسير الماوردي ، فالعز نقل عنها بواسطته ، لذا كان من الضروري بيانها باعتبارها مقدمة لابد منها للدراسة المنهج الذي سار عليه العز في تفسيره .

وقد ذكرت أهم هذه المصادر ، وبينت طريقة استفادة الماوردي منها بالأمثلة مقارناً ذلك باختصار العز .

ثم ذكرت اتهام ابن الصلاح للماوردي بالاعتزال ؛ لأنه ينقل في تفسيره تفسير أهل السنة والمعتزلة ، ويوافقهم في مسألة القدر ، وأن تفسيره عظيم الضرر ، وقد وافقت ابن الصلاح في أن الماوردي ينقل أقوال المعتزلة ، وتعقبته في قوله : إن تفسيره عظيم الضرر ، كما تعقبت الدكتور عدنان زرزور الذي عدّ تفسير الماوردي من تفاسير المعتزلة ، وفندت الأدلة التي استدلل بها . كما بينت موقف العز من أقوال المعتزلة التي أوردها الماوردي . ثم ذكرت مفسرين من الذين تأثروا بتفسير الماوردي .

أحدهما : ابن الجوزى فى تفسيره « زاد المسير فى علم التفسير »
حيث تأثر بمنهج الماوردى فى حصر الأقوال ثم تفصيلها ، ونقل كثيراً من
أقواله وترجيحاته .

والثانى : القرطبي فى تفسيره « الجامع لأحكام القرآن »
فقد نقل بعض أقوال الماوردى وترجيحاته ، وشرح بعضها . وقد
ذكرت أمثلة على ذلك .

الفصل الثانى

منهج العز فى تفسيره المختصر

أقام العز منهجه فى تفسيره على بحث الموضوعات الآتية :

- ١ - القراءة .
- ٢ - تفسير القرآن بالقرآن أو بالسنة .
- ٣ - أسباب النزول .
- ٤ - اللغة والنحو .
- ٥ - الأحكام الفقهية .
- ٦ - الإسرائيليات .
- ٧ - الترجيح والتوجيه .

وقد أفردت كل موضوع بمبحث ، بينت فيه منهج العز فى عرضه
وبيانه موضحاً ذلك بالأمثلة .

الفصل الثالث

مقارنة بين تفسيري العز

ذكرت أن للعز تفسيرين ، أحدهما : اختصار تفسير الماوردى وهو
موضوع الدراسة السابقة ، والآخر من تأليفه ابتداءً ، وهو تفسير مختصر
من حيث المادة العلمية ، ولكنه أطول من تفسيره المختصر ، وقد عقدت
مقارنة سريعة بينهما اشتملت على نماذج من سور متعددة من تفسيري العز ،

هى سورة البقرة وآل عمران ومريم والحج والشعراء ، وخلصت من هذه المقارنة إلى أن التفسيرين يتفقان فى أمور ويختلفان فى أمور أخرى ثم ذكرتها . وفى الخاتمة قمت بتقويم اختصار العز لتفسير الماوردى بذكر ما امتاز به ، وما أخذ عليه موضعاً ذلك بالأمثلة .

هذا هو المنهج الذى سرت عليه فى هذه الدراسة ، فما فيها من صواب فمن الله ، وأشكره على نعمه التى لا تحصى ، وما فيها من خطأ فمن نفسى ، وأسأل الله القدير ألا يكلنى إلى نفسى وحولى كما أرجو من القارئ الكريم أن يشعرنى بملاحظاته على هذه الدراسة حتى أتلافها فى طبعة أخرى إن شاء الله ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وسلام على المرسلين .

عبد الله بن إبراهيم الوهيبى

{ الأريما ٢٠ رجب ١٣٩٩ هـ
القاهرة } الموافق ٢٠ يونيه ١٩٧٩ م



الباب الأول

حياة العز وآثاره

يتكون من خمسة فصول :

- ١ - عصره .
- ٢ - نسبه ومولده وطلبه للعلم وأعماله .
- ٣ - اتجاهاته الفكرية .
- ٤ - التعريف بشيوخه وتلاميذه .
- ٥ - مؤلفاته وما نسب إليه .

الفصل الأول

عصره

- ١ - الحالة السياسية في عصره .
- ٢ - الحالة الاجتماعية والاقتصادية في عصره .
- ٣ - الحالة العلمية في عصره .

الحالة السياسية في عصره

عاصر العز الدولة الأيوبية وأوائل دولة المماليك ، وقد بسطت هاتان الدولتان نفوذهما على الشام التي ولد فيها العز سنة (٥٧٧ هـ) وقضى أكثر عمره بها ، ومصر التي قضى فيها بقية عمره ، وتوفي بها سنة (٦٦٠ هـ) .
وحيث أن العز عاصر هاتين الدولتين فسوف أتحدث عن أوضاعهما السياسية — بإيجاز — تمهيداً لدراسة حياة العز . فأقول وبالله التوفيق :

الدولة الأيوبية

مؤسس الدولة الأيوبية القائد الإسلامي الكبير صلاح الدين يوسف ابن نجم الدين أيوب بن شادى بن مروان الكردي . كان أحد قواد نور الدين زنكى حاكم الشام . ولما استنجد الخليفة الفاطمي « العاضد » بنور الدين سنة (٥٦٤ هـ) ضد الفرنج الذين جاءوا إلى مصر بجيش كبير ، وحاصروا القاهرة — جهز نور الدين جيشاً بقيادة أسد الدين شيركوه بن شادى وابن أخيه صلاح الدين . فلما سمع الفرنج بوصولهم إلى القاهرة هربوا .

واستوزر « العاضد » أسد الدين ، فبقى في الوزارة أكثر من شهرين ثم توفي ، فاستوزر العاضد صلاح الدين ، ولقبه بالملك الناصر . فلما توفي العاضد آخر الخلفاء الفاطميين في المحرم سنة (٥٦٧ هـ) ، استقل صلاح الدين بحكم مصر نيابة عن نور الدين ، فأخذ في إصلاح البلاد ، ورفع الظلم عن العباد ، فأبطل المكوس وأظهر العدل فأحبه الناس وضحجوا له بالدعاء . (١)

(١) راجع : النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى (٦ : ٧ : ٨) وحسن المحاضرة للسيوطي (٢ : ٤) .

ولما توفي نور الدين انفرد صلاح الدين بحكم مصر والشام (١) ، وكانه خاضعاً إسمياً للخلافة العباسية ببغداد .

وواصل صلاح الدين الفتوحات التي بدأها نور الدين زنكي ، فانتصر على الصليبيين انتصاراً عظيماً في معركة حطين في ربيع الآخر سنة (٥٨٣ هـ) ، كما انتصر عليهم في معارك كثيرة ، واسترد منهم بيت المقدس في رجب من هذه السنة بعد أن بقي في أيدهم نيفاً وتسعين سنة ، كما استرد منهم مدن وقلاع كثيرة (٢) .

وبعد هذه الانتصارات العظيمة التي أعزت الإسلام والمسلمين ، وخلدت اسمه في التاريخ توفي في صفر سنة (٥٨٩ هـ) (٣) .

وبعد وفاته انفرد كل واحد من أبنائه وإخوانه بحكم البلاد التي كان والياً عليها .

فكان ابنه العزيز على مصر ، وابنُه الأفضل على دمشق ، وابنُه الظاهر غازي على حلب ، وأخوه العادل بالكرك والشوبك ، والبلاد الشرقية ، وأخوه سيف الإسلام طغتكين باليمن (٤) .

وبهذا انقسمت دولة صلاح الدين إلى دويلات فأخذ كل حاكم يتربص بالآخر ليسقطه ويأخذ بلاده ، فنشبت بينهم الفتن والحروب حتى استقر الأمر لأخيه الملك العادل ، وكان قوياً مستقيماً صبوراً شديد الرأي فاستطاع أن ييسط نفوذه على مصر والشام .

فلما استقر له الأمر قسم البلاد بين أولاده ، فأعطى المعظم عيسى دمشق ، وأعطى الأشرف موسى الشرق ، وأعطى الكامل محمد مصر ، وصار هو ينتقل في ممالك أولاده ، والعمدة في كل الممالك عليه إلى أن توفي في جمادى

(١) راجع : بدائع الزهور لابن أبياس (١ : ٢٤٠ ، ٢٤١) .

(٢) راجع : السلوك للمقريزي (١ : ٩٣ ، ٩٦) .

(٣) راجع : المصدر السابق (١ : ١١٢) .

(٤) راجع : المختصر في أخبار البشر لأبي الفداء (٣ : ٨٧ ، ٩٣) .

الآخرة سنة (٦١٥ هـ) (١) فذب النزاع بين أولاده على الملك فتحاربوا كما تحارب أولاد صلاح الدين وإخوانه مما أضعفهم ، وأطمع فيهم أعداءهم من الصليبيين والتتار ، بل بلغ الأمر ببعضهم أنه يتحالف مع الصليبيين العدو المشترك ، ويستعين بهم على الآخر ، كما فعل الملك الكامل إذ أعطى ملك الفرنج « فردريك » القدس صلحاً سنة (٦٢٦ هـ) كي يجد الكامل فرصة لينتزع دمشق من ابن أخيه الملك داود بن المعظم عيسى (٢) .

وكما فعل حاكم دمشق إسماعيل بن العادل إذ أعطى مدينة صيدا وقلعة الشقيف للفرنج سنة (٦٣٨ هـ) ليساعده على حاكم مصر ابن أخيه نجم الدين أيوب . فأنكر عليه شيخنا العز ، وكان يومئذ خطيب جامع دمشق ، كما أنكر عليه أبو عمرو بن الحاجب المالكي ، فغضب عليهما ، وحبسهما بالقلعة ، ثم أفرج عنهما فذهبا إلى مصر . فاستقبل حاكمها نجم الدين أيوب — العز وأكرمه وولاه خطابة جامع عمرو بن العاص ، ثم ولاه قضاء القضاة (٣) .

وبلغ من نزاع بني أيوب أن حاول بعضهم قتل الآخر ، وذلك أن العادل بن الكامل استقل بحكم مصر بعد موت أبيه ، فحاول قتل أخيه نجم الدين أيوب لثلاثين نازعه على الحكم ، فلم يتمكن من ذلك . فلما ساء تصرفه ، وقسى على مماليكه قبضوا عليه وخلعوه في شوال سنة (٦٣٧ هـ) ، واستدعوا أخاه نجم الدين ، وبايعوه ، فاعتقل أخاه العادل في القلعة ، ثم قتله سنة (٦٤٥ هـ) . وهكذا استمر الخلاف والنزاع بين ملوك بني أيوب مما كان سبباً في ضعفهم وذهاب دولتهم حيث انقض عليهم مماليكهم ، وانتزعوا الملك منهم (٤) ؛ وذلك أن الفرنج هجموا على دمياط ، واستولوا عليها بدون قتال حيث هرب أهلها ، وكان السلطان نجم الدين أيوب بالمنصورة وهي قريبة من دمياط ، فغضب وشنق من أعيانها خمسين نفساً ، ففرغ العسكر من سطوته وخافوا فاندفعوا للقتال ، وكان مريضاً فتوفي في شعبان سنة

-
- (١) راجع : المختصر في أخبار البشر (٣ : ١١٩) والنجوم الزاهرة (٦ : ٢٢٧) وبداية الزهور (١ : ٢٥٧) .
(٢) راجع : السلوك (١ : ٢٣٠) والنجوم الزاهرة (٦ : ٢٧١) .
(٣) راجع : طبقات الشافعية لابن السبكي (٨ : ٢١٠) والنجوم الزاهرة (٦ : ٣٣٨) .
(٤) راجع السلوك للمقريزي (١ : ٣٢٧) .

(٦٤٧ هـ) فأخفت زوجته شجرة الدر موته ، واستدعت ولده المعظم توران شاه من حصن كيفا بالموصل ، فلما وصل استولى على الحكم . وكانت الحرب قائمة فخاص نغمارها وقاتل ببسالة ، وأبلى بلاء حسناً في قتال الفرنج ، فانتصر عليهم ، وأسر قائدهم الفرنسي ، وقتل منهم ثلاثين ألفاً ، وكان ذلك في أول يوم من سنة (٦٤٨ هـ) .

وبعد أن استتب له الأمر أخذ يقرب جماعة ممن حضروا معه من حصن كيفا ، ويوليهم المناصب العالية . وأساء معاملة زوجة أبيه التي احتفظت له بالملك ، وأبعد ممالك أبيه . فكان ذلك سبباً في اتفاقهم مع زوجة أبيه على قتله ، فقتل في الثامن والعشرين من محرم سنة (٦٤٨ هـ) ، وبذلك انتهت دولة بني أيوب (١) .

دولة المماليك

لما قتل توران شاه اتفق المماليك على تولية شجرة الدر الحكم وعلى اشتراك الأمير أيلك التركماني معها في إدارة الحكم .

قال ابن إياس : « فلما وقع الاتفاق على سلطنتها حضر القاضي تاج الدين ابن بنت الأعز ، وبايعها بالسلطنة على كره منه . قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام : لما تولت شجرة الدر على الديار المصرية ، علمت في ذلك مقامه ، وذكرت فيها بماذا ابتلى الله به المسلمين بولاية امرأة عليهم . وكانت سلطنتها يوم الخميس ثاني صفر سنة ثمان وأربعين وستمائة (٢) » أ هـ .

مما سبق يتضح أن القاضي تاج الدين ، والشيخ عز الدين بن عبد السلام قد عارضا تولية امرأة أمر المسلمين .

وفي هذا رد على الأخ الباحث على صافي حسين الذي زعم أن أحداً من علماء الدين لم يبدِ اعتراضاً على ذلك .

فلو أن الباحث كلف نفسه عناء البحث في كتب التاريخ لما وقع في هذا

(١) راجع بدائع الزهور لابن إياس (١ : ٢٧٨ - ٢٨٥) .

(٢) راجع : تاريخه « بدائع الزهور » (١ : ٢٨٦) .

الخطأ التاريخي نتيجة التعجل في إصدار الحكم حيث قال : « وهي وإن كانت من الممالك إلا أن بعض المؤرخين يعدون مدة حكمها استمراراً للدولة الأيوبيين ، والبعض الآخر يعدها بداية عصر الممالك . وسواء كانت استمراراً للأيوبيين أو بداية للممالك فإن الطريف في ذلك هو أن امرأة كانت مملوكة حكمت المسلمين وتولت أمرهم مدة ثلاثة أشهر على وجه التقريب . وفي مصر من كان فيها من أئمة الدين وعلماء الفقه وحفاظ الحديث ، ولم يبد أحد منهم أي اعتراض على تولية شجرة الدر أمر المسلمين » (١) .

ولما علم الخليفة العباسي ببغداد المستعصم بالله بتولية امرأة حكم المسلمين أنكر ذلك غاية الإنكار ، فلما بلغ ذلك شجرة الدر خلعت نفسها ، وتولى الحكم مكانها الأمير أيلك التركماني ، وتزوج بها ، ثم دبرت مؤامرة لقتله ، لأنه خطب بنت بدر الدين لؤلؤ حاكم الموصل . فقتل في ربيع الأول سنة (٦٥٥ هـ) ، وتولى الحكم بعده ابنه على وتلقب بالملك المنصور (٢) .

وفي سنة (٦٥٦ هـ) استولى هولاكو على بغداد وقتل الخليفة العباسي المستعصم بالله ، فسقطت الخلافة العباسية ، وعاث هولاكو في بغداد فساداً فسفك دماء آلاف الناس ، وأتلف الكتب الكثيرة التي كانت تملأ مكتبات بغداد ، وخرب البلاد . ثم زحف على الشام واستولى عليها وعاث فيها فساداً ثم أخذ يهدد مصر . فجمع نائب السلطنة قطز القضاة والعلماء فاستشارهم في أخذ أموال من الشعب ليستعين بها على جهاد التتار .

قال ابن تغري بردي : « فكان الاعتماد على ما يقوله ابن عبد السلام » (٣) فأفتى بأنه لا يجوز ذلك إلا بشرط أن يؤخذ ما عند الأمراء من الخواص المذمومة والآلات النفيسة ، ويقتصر كل واحد على سلاحه ومركوبه ، فإذا لم يكف ذلك جاز أخذ أموال من الشعب بقدر الحاجة .

ونوقش في هذا الاجتماع خلع الملك المنصور على ، لأنه لا يستطيع إدارة الحكم في هذه الظروف الحرجة التي تتطلب حاكماً قوياً محنكاً ، فوقع

(١) انظر : كتابه « ابن دقيق العيد حياته وديوانه » ص ١٤ ، ١٥ .

(٢) راجع : بدائع الزهور (١ : ٢٨٧) .

(٣) راجع : تاريخه « النجوم الزاهرة » (٧ : ٧٢) وبدائع الزهور لابن إياس (١ : ٣٠١)

الاتفاق على تولية الأمير قطز الحكم ، فبايعوه ، وكان ذلك في ذى القعدة سنة (٦٥٧ هـ) ولما تولى الحكم تلقب بالملك المظفر ، وأخذ يعد العدة لحرب التتار ، فجمع ما عند الأمراء من الذهب والآلات النفيسة كما أشار عليه شيخنا العز ، واستعان بها في شراء السلاح وتدريب الجنود ، واستعان بالعلماء في إلهاب حماس الجند وحثهم على الجهاد في سبيل الله ، وقام العز بدور كبير في ذلك ، فكون قطز جيشاً قوياً روحياً ومادياً ثم التقى بالتتار في عين جالوت فقاتلهم ببسالة وأبلى بلاء حسناً ، فانتصر عليهم انتصاراً عظيماً ، وقتل قائدهم « كتيبغا » وكسر جيشهم الذي قيل عنه : إنه لا يغلب ، وكان ذلك في رمضان سنة (٦٥٨ هـ) .

وتبع الأمير بيبرس فلولهم المنهزمة حتى أجلاهم من الشام . ثم قدم المظفر قطز دمشق فرتب أمورها واستناب بها الأمير علم الدين سنجر الحلبي ، واستناب علاء الدين بن لؤلؤ بحلب ، وكان قد وعد بها الأمير بيبرس ، فاستاء لذلك ، واضمر في نفسه الشر للمظفر . فلما رجع المظفر إلى مصر ، وثب عليه الأمير بيبرس وجماسته فقتلوه في طريق رجوعه ، واستولى بيبرس على الحكم ، وتلقب بالملك الظاهر ، ولم يبايعه شيخنا العز حتى جاء من شهد بعثته ، لأن الشيخ كان يعرف أنه مملوك للبندقداری (١) .

وفي عهده استقر حكم المماليك ، واكتسب الصبغة الشرعية بمبايعة الظاهر بيبرس الخليفة العباسي المستنصر بالله الذي جاء إلى مصر في رجب سنة (٦٥٩ هـ) . فلما بويع بالخلافة بايع بيبرس بالسلطنة ، وفوض إليه شئون مصر والشام وما سيفتح على يديه من البلاد (٢) .

وليس للخليفة إلا الاسم والسلطة الفعلية كلها بيد بيبرس ، وهدفه من إقامة الخلافة كسب شرعية حكم البلاد ، ورضا الشعب عنه الذي يعتبر المماليك غاصبين للسلطة من بني أيوب الذين يستمدون سلطتهم من الخليفة العباسي ببغداد . وكان الظاهر بيبرس يحل العز بن عبد السلام ، ويعرف

(١) راجع : فوات الوفيات لابن شاکر الکتبی (١ : ٥٩٥) .

(٢) راجع : السلوك (١ : ٤٣٣ - ٤٣٦) .

فضله ، ويقف عند أقوله ، وفتاويه ، وأقام الخليفة بحضرته وإشارته (١) ولما توفي العز سنة (٦٦٠ هـ) حزن عليه كثيراً ، وقال : « لا إله إلا الله ما اتفقت وفاة الشيخ إلا في دولتي » .

كان لهذه الأحداث السياسية المضطربة أثر كبير في حياة شيخنا العز ، فلم يكن سلبياً اتجاهها ، بل كان إيجابياً متفاعلاً معها ، متأثراً بها ، ومؤثراً فيها ، ومن تأثره بها أن كشفت عن معدنه الأصيل ، وأبرزت معالم شخصيته الفذة من التمسك بالعقيدة ، ونصرة الحق ، والشجاعة الأدبية ، والمخاطرة بالنفس في سبيل إعزاز الدين .

وأثر في هذه الأحداث بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتغييره ، ويتجلى ذلك في مواقفه من الحكام وغيرهم كإنكاره على الملك الصالح إسماعيل تحالفه مع الصليبيين وتسليمه لهم بعض حصون المسلمين .

ومما يدل على أثره في أحداث السياسة كلمة الظاهر بيبرس لما توفي العز ، ومر به من تحت القلعة ورأى الجموع الغفيرة حول نعشه قال : (اليوم استقر أمرى لأن هذا الشيخ لو كان يقول للناس اخرجوا عليه لخرجوا) . (٢) .

هذا وهناك مواقف أخرى سيأتى تفصيلها وكلها تدل على مكانة العز في عصره ، وهيبة الحكام وتقديرهم له ، وتنفيذهم لأقواله في إبطال المنكر ورفع الظلم عن الشعب ، لأنه رجل أثر آخرته على دنياه ، وهانت عليه نفسه في سبيل الله فكان يقول : « ينبغي لكل عالم إذا أذل الحق وأخل الصواب أن يبذل جهده في نصرهما وأن يجعل نفسه بالذل والحمول أولى منهما ، وإن عز الحق فظهر الصواب أن يستظل بظلهما وأن يكتفى باليسير من رشاش غيرهما » (٣) .

(١) راجع : طبقات الشافعية لابن السبكي (٨ : ٢٤٥) .

(٢) راجع : طبقات الشافعية للأسنوى (٢ : ١٩٩) وديائع الزهور (١ : ٣١٨)

(٣) راجع : طبقات الشافعية لابن السبكي (٨ : ٢٢٨) .

الحالة الاجتماعية والاقتصادية في عصره

عاش العز في الشام ومصر ، وقد مرت هذه البلاد بظروف اجتماعية متشابهة ، ويتألف سكانها من أجناس مختلفة ، منهم العرب والأكراد ، وجاعات من الأتراك والجرکس والإغريق والرومان والأرمن . كما يوجد بمصر جماعات من الأقباط .

وغالب السكان من المسلمين ، ويوجد بينهم أقليات مسيحية ويهودية . من هذه الأجناس المختلفة يتكون مجتمع العز وهم طبقات لكل طبقة أوصاف تميزها ، ووظائف تختص بها ، ودور هام تقوم به . وسوف أتحدث عن كل طبقة باختصار كالآتي :

أولا : الحاكم وأعوانه :

تتكون هذه الطبقة من الحاكم والأمراء والوزراء ، وتقوم بإدارة البلاد ، ورسم سياستها الخارجية والداخلية . وتنظيم الجيش ، وإقامة المنشآت العامة للمساجد والمدارس ، والمحافظة على أمن البلاد وجباية الزكاة ، وفرض الضرائب .

وتعيش في بحبوحة من النعيم والترف والبذخ ، وتتمتع بالجاه والكلمة النافذة .

وتختلف مواقف هذه الطبقة من الدين ، فمنهم من ينتهك حرمانه ، ولا يقف عند أحكامه وحدوده ، ومنهم من يحترم الدين وعلماؤه ، ويقف عند أحكامه ، ويعمل بما يأمر به من إبطال المنكر ، ورفع الظلم عن الناس ، والعدل بينهم . كصلاح الدين الأيوبي مؤسس الدولة الأيوبية ، كان تقياً ورعاً فريداً في أخلاقه وتصرفاته متواضعاً كثير الصدقات ، أنشأ المدارس الكثيرة في مصر والشام . وقد سار في الناس سيرة حسنة عادلة ، فأبطل المظالم والمكوس التي فرضها الحكام السابقون ، واكتفى بالزكوات المشروعة

والخراج عن الأرض . وأقام العدل بين الناس ، فكان يجلس في مجلس عام في يوم الإثنين والخميس من كل أسبوع ، ويحضر معه الفقهاء والقضاة والعلماء ، ويفتح الباب للمتخاصمين والمظلومين ، وينظر في قضاياهم ، ويرفع الظلم عنهم . (وما استغاث إليه أحد إلا أجابه وكشف ظلامته ، واستغاث إليه زهير الدمشقي على تقي الدين عمر بن أخيه ، وقال : ما يحضر معه مجلس الشرع ، فأمر تقي الدين بالحضور معه) (١) .

وقد مات ، ولم يخلف في خزائنه سوى سبعة وأربعين درهماً ، ولم يترك داراً ولا عقاراً (٢) .

وسار أخوه الملك العادل على طريقته ، فأبطل كثيراً من المظالم ، والمكوس ، وطهر بلاده من القمار والخمر والفواحش ، ولكنه لم يبلغ مبلغه في التقي والورع ، وتدبير أمور البلاد ، فقد استوزر الصاحب صفي الدين عبد الله بن شكر اللدميري فتجبر وسطا ، وظلم الناس ، وصادر أموال أكابر كتاب الدولة واستصفها لنفسه ، والعادل لا يعارضه في شيء من هذا ، حتى غضب على العادل سنة (٦٠٩ هـ) وحلف أنه ما بقي يخدمه فأخرجه العادل من مصر إلى آمد ، فكان حمل أمواله وأمتعته على ثلاثين جملاً (٣) .

وقد حدث في عهد بعض أبنائهما ما عابه المؤرخون ، فذكروا عن حاكم دمشق الأفضل بن صلاح الدين أنه تارة يقبل على اللهو واللعب والشرب ، وتارة يتوب فيقبل على العبادة والطاعة ولبس الخشن ، وقد فوض أمور البلاد بأسرها إلى وزيره ضياء الدين بن الأثير الجزري فاختلفت به الأحوال ، وظلم الناس ، وكثر شاكوه ، والأفضل يسمع منه ولا يخالفه ، وقد أوقع بين الأفضل وأخيه العزيز حاكم مصر ، فحصلت بينهما وحشة ، فأخذ كل منهما يتربص بالآخر لينتزع البلاد منه . وقد جر النزاع بينهما البلاء على البلاد ، وقتل بسببه كثير من الأجناد (٤) .

(١) راجع : النجوم الزاهرة (٦ : ١٠) .

(٢ ، ٣) راجع : السلوك (١ : ١١٣ ، ١٩٢) .

(٤) راجع : السلوك (١ : ١١٨ ، ١٢٩) والنجوم الزاهرة (٦ : ١٢٢-١٢٥) .

وذكروا عن الأشرف بن العادل حاكم دمشق بعد الأفضل أن نوابه يرتكبون الزنا ، ويدمنون الخمر ، ويتفننون في أخذ الضرائب ، وظلم الناس . وقد نصح شيخنا العز - الأشرف بأن يبطل هذه المنكرات ، فأمر بإبطالها ، وقد باشر العز بنفسه إبطال بعضها ، ولكن المنية عاجلت الأشرف ، وكان نائبه أخاه الصالح إسماعيل فلم يمحض تبطيل هذه المنكرات (١) .

وذكروا عن حاكم مصر نجم الدين أيوب بن الكامل بن العادل أنه مع عفته وكثرة حياته كان جباراً متكبراً مستبدأ برأيه لا يستطيع أحد أن يتكلم بين يديه إلا جواباً ، وما عرف عن أحد من خواصه أن تكلم في مجلسه ابتداء ، ولا أنه جسر على شفاعته ، ولا مشورة ولا ذكر نصيحة ، ما لم يكن ذلك بابتداء من السلطان (٢) .

قال صاحب مرآة الزمان : « وكان مهيباً هيئته عظيمة ، جباراً أباد الأشرفية وغيرهم ، وقال جماعة من أمرائه : والله ما نقعد على بابه إلا ونقول من ها هنا نحمل إلى الحبوس ، وكان إذا حبس إنساناً نسيه ، ولا يتجاسر أحد أن يخاطبه فيه ، وكان يحلف أنه ما قتل نفساً بغير حق قال صاحب المرأة : وهذه مكابرة ظاهرة ، فإن خواص أصحابه حكوا أنه لا يمكن إحصاء من قتل من الأشرفية وغيرهم ، ولو لم يكن إلا قتله أخيه العادل لكفى » (٣) .

ومع هذا الجبروت والهيبة والاستبداد فقد أنكر عليه العز بن عبد السلام سكوته على وجود حانة تبيع الخمر ، وكان هذا الإنكار على مشهد من الناس ، حيث كان السلطان يحتفل بيوم العيد في القلعة ، والعساكر مصطفة من حوله ، والأمراء تقبل الأرض بين يديه ، فناداه العز باسمه المجرى بقوله : « يا أيوب ما حجتك عند الله إذا قال لك : ألم أبوء لك ملك مصر ثم تبيع الخمر ؟ فقال : هل جرى هذا ؟ فقال : نعم الحانة الفلانية يباع فيها الخمر وغيرها من المنكرات ، وأنت تتقلب في نعمة هذه المملكة ، يناديه كذلك بأعلى صوته والعساكر واقفون ، فقال : يا سيدي هذا أنا ما عملته ،

(١) راجع : طبقات الشافعية لابن السبكي (٨ : ٢٤١) .

(٢) راجع : السلوك (١ : ٣٤٠) .

(٣) راجع : النجوم الزاهرة نقلا عنه (٦ : ٣٣٣) .

هذا من زمان أبى ، فقال : أنت من الذين يقولون : ﴿ إنا وجدنا آباءنا على أمة ﴾ ، [الزخرف : ٢٣] فرسم السلطان بإبطال تلك الحانة « (١) .

قال الباجي - أحد تلاميذ العز - : « سألت الشيخ لما جاء من عند السلطان ، وقد شاع هذا الخبر : يا سيدى كيف الحال ؟ فقال : يا بنى رأيته فى تلك العظمة فأردت أن أهينه لئلا تكبر نفسه فتؤذيه ، فقلت : يا سيدى أما خفته فقال : والله يا بنى استحضرت هيبة الله تعالى فصار السلطان قدامى كالقط « (٢) .

وسار بعض حكام الماليك فى الناس سيرة حسنة عادلة ، فأبطل المكوس والمظالم ، ومنع الخمر وغيرها من المنكرات ، وكان بعضهم مع الشرع لا يقطع أمراً بغير رأى الفقهاء كال مظفر قطز - أحد حكامهم - كان يجلب العلماء يأخذ برأيهم ومشورتهم ، ولما أراد أن يأخذ من الشعب ما يستعين به على حرب التتار جمع العلماء والفقهاء فاستشارهم فى ذلك ، وكان من بينهم العز ، وكان الاعتماد على قوله « (٣) .

وذكروا عن الظاهر بيبرس - أحد حكامهم - أن شخصاً ادعى عليه فى بئر عند القاضى تاج الدين بن بنت الأعز ، فطلبه القاضى برسول فحضر إلى المدرسة الصالحية ، ومثل بين يدى القاضى مع غريمه ، وكان للظاهر بيبرس بيئة عادلة فحكم القاضى له بالبئر « (٤) .

ثانياً - العلماء والفقهاء :

هذه الطبقة لها دور كبير وهام فى المجتمع ، وهى حلقة الوصل بين الحاكم والعامّة ، ومحل ثقتهم واحترامهم . فالحاكم يعتمد عليها فى كسب تأييد العامة له ، وفى إثارة حماسهم للجهاد ، وترغيبهم فى الانفاق فى سبيل الله . والعامّة تنقاد لهذه الطبقة ، وتستجيب لما تقوله ، وتعمل بما توجه إليه .

(١) انظر : « طبقات الشافعية » لابن السبكي (٨ : ٢١١ ، ٢١٢) .

(٢) انظر : المصدر السابق .

(٣) راجع : النجوم الزاهرة (٧ : ٧٢) .

(٤) راجع : بدائع الزهور (١ : ٣١٢) .

والحاكم يختار منهم القضاة ورجال الحسبة والخطباء وأحياناً الوزراء .
وهم متفاوتون في العلم والتقى والورع والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .
فمنهم من يجامل الحاكم فلا يأمره بمعروف ولا ينهاه عن منكر .

ومنهم من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ولا يجامل أحداً حتى
ولو كان الحاكم ، ويرفض القضاء زهداً وورعاً ، كفخر الدين بن عساكر
— شيخ الغز بن عبد السلام — فقد أنكر على حاكم دمشق المعظم عيسى تضمين
المكوس والخمور .

وقد طلبه الملك العادل للقضاء فامتنع ، وقال الملك عين غيرك فعين له
ابن الحرستاني (١) .

ومنهم من يقبل القضاء ، فيعدل بين الناس ، ويحكم بالحق ولو كان على
السلطان ، كالقاضي عبد الصمد بن الحرستاني — شيخ الغز بن عبد السلام —
فقد قبل القضاء بعد أن ألحوا عليه ، وكان صارماً عادلاً على طريقة السلف
في لباسه وعفته .

ومما يدل على صرامته في الحق وعدله ، أنه تداعى إليه خصمان ، وجاء
أحدهما بكتاب الملك العادل إلى القاضي يوصيه عليه ، فلم يفتحه ، وظهر
الحق لخصم حامل الكتاب ، ف قضى له عليه ، ثم فتح الكتاب ، وقرأه ورمى
به إلى حامله ، وقال : كتاب الله قد حكم على هذا الكتاب . فبلغ العادل
قوله ، فقال : صدق ، كتاب الله أولى من كتابي (٢) .

ومن الذين أنكروا المنكر على الحكام الغز بن عبد السلام ، فقد عينه
الملك اسماعيل بن العادل خطيباً للجامع الأموي فأنكر عليه تحالفه مع الصليبيين
ضد ابن أخيه نجم الدين أيوب حاكم مصر ، فعزله اسماعيل واعتقله ، ثم
أفرج عنه ، فرحل إلى مصر فرحب به نجم الدين أيوب ، وولاه خطابة
جامع عمرو بن العاص أكبر جامع في مصر ثم ولاه قضاء القضاة بمصر
والوجه القبلي . وكان الغز عادلاً عفيفاً صارماً في تطبيق الحق ، ومما يدل
على ذلك . حكمه ببيع المالك الذين منهم نائب السلطنة — أي الرجل الثاني

(١ ، ٢) راجع : طبقات الشافعية لابن السبكي (٨ : ١٨٤ ، ١٩٧ ، ١٩٨) .

في الدولة - وأمراء الجيش لأنهم ممالك لبيت مال المسلمين ، فلا بد أن يباعوا ويرد ثمنهم لبيت مال المسلمين ، فأزعجهم ذلك وشكوه إلى نجم الدين أيوب فسأه تصرف العز وقال : هذا أمر لا يعنيه ، فلما علم العز بذلك عزل نفسه عن القضاء ، ورحل عن مصر فتبعه العلماء والصلحاء والنساء والصبيان ، فلما علم نجم الدين بذلك لحق به وأدركه في الطريق ، وترضاه وطلب منه أن يعود ، فشرط عليه العز أن ينفذ حكم الله في الممالك فأجابه إلى ذلك ، فرجع ونفذ بيعهم ، ورد ثمنهم إلى بيت مال المسلمين ليصرف في وجوه الخير (١) .

ففي هذا دلالة على مكانته في قلوب عامة الناس وحبهم وتقديرهم له حيث خرجوا معه في موكب عظيم أشبه بمظاهرة ضد الحكومة ، مما جعل نجم الدين يخاف على ملكه ، فيلحق به .

ومن مواقف العزم الحكام إنكاره على ابن شيخ الشيوخ وزير نجم الدين أيوب - بناء دار للهو والغناء على أحد مساجد مصر ، ولم يكتف بالإنكار بل قام بهدمها مع أولاده ، وأسقط عدالة الوزير ، وعزل نفسه عن القضاء . هذا ، وهناك مواقف أخرى سيأتي تفصيلها وكلها تدل على نزاهته وصرامته في تطبيق الشرع وإقامة الحق وإنكار المنكر .

ومن القضاة العادلين شيخ الإسلام ابن دقيق العيد - تلميذ العز - فقد ولى قضاء القضاة بمصر بعد إباء شديد ، وكان عادلاً في قضاائه متشدداً في تطبيق الحق ولو كان على الحاكم ، لذا عزل نفسه عن القضاء أكثر من مرة ثم يعاد (٢) .

ومن الفقهاء من تولى الوزارة بجانب القضاء ، كتاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الأعز ، ذكر ابن السبكي : أنه « ولى قضاء القضاة بالديار المصرية ، والوزارة ، والنظر وتدريس قبة الشافعي - رضى الله عنه - والصلحية ، والخطابة والمشيخة ، واجتمع له من المناصب ما لم يجتمع لغيره ، وكان يقال : إنه آخر قضاة العدل ، واتفق الناس على عدله وخيره ثم

(١) راجع : المصدر السابق (٨ : ٢١٧) .

(٢) راجع : المصدر السابق (٩ : ٢١٢) .

قال - : وكان الأمراء الكبار يشهدون عنده فلا يقبل شهادتهم » (١) .

وكذلك ابنه تقي الدين عبد الرحمن ، فقد جمع بين القضاء والوزارة ،
والمشيخة ، وخطابة الجامع الأزهر ، والتدريس (٢) .

من هذا العرض الموجز والأمثلة القليلة نجد جملة من فقهاء هذا العصر
كانوا على مستوى من الخلق العظيم ودرجة كبيرة من الزهد والورع والعفة ،
قائمين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والعدل بين الناس ، صارمين
في تطبيق الحق ، وكانوا يجهرون بكلمة الحق عند السلطان الجائر فيمنعونه
من ظلم الشعب وبذلك اكتسبوا محبة الناس واعزازهم وثقتهم ، فكانوا زعماء
مصلحين للشعب الذي انقاد لهم ، وكان رهن إشارتهم .

كما نلاحظ في هذا العرض أن العز تأثر بشيوخه في شدته وصرامته في
تطبيق الحق ومواجهة السلطان ، بل زاد عليهم لأن موقفه من بيع الممالك
لم يحصل لأحد قبله . كما أن تلاميذه تأثروا به .

ثالثاً - العامة :

هذه الطبقة تتكون من خليط من الناس تختلف أجناسها وطبائعها وأعمالها
ووظائفها ، وهم تبع لمن ساد عليهم لا يفرقون بين الفاضل والمفضول ،
فالسلاطين يتصارعون على الحكم فيما بينهم والعامة تشهد هذا الصراع ،
ولا حول لهم ولا قوة ، ويخضعون للمتصر ، فيدبر أمور البلاد والعباد دون
أخذ رأيهم أو مشورتهم .

وعلى كاهل هذه الطبقة يقوم اقتصاد البلاد فتروج تجارتها ويزدهر
عمرانها ، وتتقدم صناعتها ، ويكثر انتاجها الزراعى . فمنهم التجار الذين
يقومون بالبيع والشراء ، والتصدير والاستيراد ، فيصدرون ما تنتجه البلاد
من المنسوجات والزيوت والصابون والورق ، ويستوردون ما تحتاجه من
الزجاج والمسك والعود والكافور (٣) .

(١ ، ٢) المصدر السابق (٨ : ٣١٨ ، ٣٢١ ، ١٧٢) .

(٣) راجع : المجتمع الإسلامى فى بلاد الشام للدكتور أحمد رمضان ص ١٠٧ .

وقد ازدهرت تجارة الرقيق في هذا العصر بسبب الحروب الكثيرة وكانت التجارة رائجة في الشام ومصر لتوسطهما بين الشرق والغرب .

ومنها الصناع الذين يشتغلون بالصناعة ، وقد اشتهرت الشام ومصر بصناعة الزيوت والمنسوجات والورق والسكر ، وقد ازدهرت الصناعات الحربية بسبب الحروب التي قام بها الصليبيون والتتار ضد بلاد الإسلام .

ومنها الزراع الذين يشتغلون بالحرث والزرع ، وكانت الزراعة ناجحة لخصوبة التربة وتوفر المياه بوجود الأنهار في الشام نهر بردى ، والفرات ، وفي مصر نهر النيل ثاني أنهار العالم . ومنها المهندسون والعمال الذين يشتغلون في البناء والعمارة وقد أهتم ملوك بني أيوب وسلاطين المماليك ببناء المساجد والمدارس والقصور الأنيقة والجسور والقلاع .

ذكر المقرئ : أن الملك نجم الدين أيوب كان يحب العمارة ويباشر الأبنية بنفسه ، وعمر بمصر ما لم يعمره أحد من ملوك بني أيوب ، فأنشأ قلعة الروضة ، وأنفق فيها أموالاً كثيرة ، وكانت من أجل مباني الملوك ، وأسكن بها ألف مملوك وقيل ثمانمائة . وأقام جسراً من مصر إلى الروضة وبني على النيل من ناحية اللوق قصوراً جميلة ، وبني قصرأ عظيماً على الجبل بجوار جامع ابن طولون سماه « الكباش » . وبني قصرأ بالقرب من العلاقة في أرض السانح ، وجعل حوله مدينة سماها « الصالحية » فيها جامع وسوق لتكون مركزاً للعساكر (١) .

وهكذا نرى أن هذه الطبقة تكدح ، وتشقى في الحياة ليعم الرخاء وتكثر الخيرات ، ويزدهر العمران .

رابعاً - أهل الذمة :

هذه الطبقة تتكون من النصارى واليهود ، وهم فرق مختلفة ، وقد تقع بينهم وبين المسلمين قتن ، ولكن سرعان ما تنتهى ، كما حصل من المسيحيين لما احتل هولاكو دمشق في ربيع الأول سنة (٦٥٨ هـ) فقد استطالوا على المسلمين ، حيث « أحضروا فرماناً من هولاكو بالاعتناء بأمرهم وإقامة دينهم - وكان يميل معهم لأن زوجته منهم - ، فتظاهروا بالخمر في نهار

(١) راجع : كتابه « السلوك » (١ : ٣٤١) .

رمضان ، ورشوه على ثياب المسلمين في الطرقات ، وصبوه على أبواب المساجد ، وألزموا أرباب الخوانيت بالقيام إذا مروا بالصليب عليهم ، وأهانوا من امتنع من القيام للصليب (١) » الخ .

فلما انتصر المسلمون على التتار في معركة عين جالوت في رمضان من هذه السنة ، وطردهم من الشام ، انتقم المسلمون من النصارى حيث « بادروا إلى دور النصارى فنهبوا ، وأخربوا ما قدروا على تخريبه ، وهدموا كنيسة اليعاقبة ، وكنيسة مريم ، وأحرقوها حتى بقيتا كوماً ، وقتلوا عدة من النصارى ، واستتر باقيهم » (٢) .

وهذه الطبقة تشارك المسلمين في دفع عجلة الحياة ، وتقدم البلاد ، فتشارك في الصناعة ، والزراعة ، والحرف الأخرى ، ولها دور هام في التجارة ، وقد كسبت منها أموالاً كثيرة ، وأثرت ثراء كبيراً . كما أنها تشارك في أعمال الحكومة المالية ، وقد برزت كثيراً في هذا الجانب ، كما نبغ منهم أدباء في النحو واللغة العربية .

وكان ملوك بني أيوب أدنى إلى التساهل معهم وربما كان الملك الكامل أعظمهم تساهلاً في ذلك . فقد أشركوهم في الوظائف الحكومية ، وسمحوا لهم بإصلاح كنائسهم ، ويعتبر القرن السابع العصر الذهبي للآداب المسيحية .

أما سلاطين المماليك فقد قسى بعضهم على النصارى ، فذكر عن السلطان قلاوون : أنه حرم المسيحيين من الالتحاق بالوظائف العامة ، وكان ينزل بهم أقصى العقوبة (٣) .

وهكذا نرى أن أهل الذمة عاشوا مع المسلمين في أمن وسلام عدا بعض الفتن التي تحصل بينهم من الجهال والغوغاء وسرعان ما تنتهى فيشترك الجميع في دفع عجلة الحياة وتقدم البلاد ورخائها .

(١) راجع : السلوك للمقريزي (١ : ٤٢٥) .

(٢) المصدر السابق (١ : ٤٣٢) .

(٣) راجع : الحركة الفكرية في مصر في العصرين الأيوبي والملوكي الأول للدكتور

عبد اللطيف حمزة ص (٣٤٨ ، ٣٤٩) .

الحالة العلمية في عصره

اتضح من مبحث الحالة السياسية في عصر العز أنها كانت مضطربة بسبب الحروب الخارجية والفتن الداخلية ، ولم يؤثر ذلك على الحالة العلمية ، فقد كانت نشطة . وساعد على نشاطها أن حكام ذلك العصر كانوا على مستوى من الثقافة العالية وكانوا غيورين على الإسلام الذي يحاربه التتار في الشرق ويقتلون علماءه ويتلفون كتبه ، كما كان يفعل به ذلك الصليبيون في الغرب . فأحاط هؤلاء الحكام أنفسهم بطبقة من العلماء ، وشجعوا المشتغلين بالعلم ، وأجزلوا لهم المكافآت ، وأكثروا من بناء المدارس ، وخزائن الكتب الملحقة بها ومساكن الطلبة ووقفوا عليها الأوقاف الكبيرة .

فكان نور الدين زنكي ، وصلاح الدين يستدعيان العلماء إلى بلادهما ، ويجزلان لهم المكافآت ، ويعمران المدارس ، ويجريان عليها الأرزاق ومن مشاهير الفقهاء الذين وفدوا على نور الدين - قطب الدين التيسابوري (ت ٥٦٨ هـ) فسر نور الدين به وأنزله بحلب بمدرسة باب العراق ، وبني له مدرسة كبيرة للشافعية (١) . كما بنى مدرسة كبيرة للحنفية في دمشق (٢) ، وأخرى للحدِيث ، وتعتبر أول مدرسة تبنى للحدِيث (٣) . وكان نور الدين متبحراً في العلم ، وقد ألف كتاباً في الجهاد (٤) . وكان صلاح الدين فقيهاً ، ويحفظ القرآن الكريم ، وكتاب « التنبيه » في الفقه الشافعي ، وديوان « الحماسة » (٥) ، ويحب مجالسة العلماء ، ويحضر حلقات العلم ، فقد رحل إلى الإسكندرية مصطحباً معه ابنه الأفضل والعزيز لسماع المحدث الكبير

(١) راجع : الأدب في العصر الأيوبي للدكتور محمد زغلول سلام ص ٧٩ .

(٢) راجع : الروضتين لأبي شامة (١ : ٣٢٩) .

(٣) راجع : حسن المحاضرة للسيوطي (٢ : ٢٦٢) .

(٤) راجع : الإسلام والحضارة العربية لمحمد كرد علي (٢ : ٢٩٢) .

(٥) راجع : طبقات الشافعية لابن السبكي (٧ : ٣٤٠) .

الحافظ السلفي . « كما جعل له ميقاتاً لسماع الأحاديث النبوية بقراءة الإمام تاج الدين البندهى المسعودى » (١) .

وكان يولى العلماء والناهبين أمور المسلمين ، فكانت حاشيته تزدان بمثل القاضى الفاضل وزيراً ومدبراً ومشيراً ، والعماد الأصفهاني كاتباً وشاعراً ومؤرخاً وأديباً ، والقاضى بهاء الدين ابن شداد الذى لا يفارقه فى السلم أو الحرب (٢) ، وقد جمع سيرته فى كتاب « النوادر السلطانية » .

وقد اهتم صلاح الدين فى سياسته بأمرين :

الأول : نشر المذهب السنى عقيدة وعملاً ، ومحاربة عقائد الاسماعيلية التى نشرها الفاطميون .

الثانى : إثارة الحماس الدينى للجهاد الصليبيين الذين احتلوا بعض بلاد المسلمين .

فاتخذ العلماء والفقهاء وأنشأ المدارس الكثيرة لتحقيق ذلك .

قال ابن خلكان : « فى سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة شرع الملك الناصر صلاح الدين يوسف فى بناء خانقاه (٣) سعيد السعداء ، وهى أول خانقاه عمرت بالقاهرة ثم بنى المدرسة المعروفة بالسوفية ، وجعلها للحنفية ، ثم بنى المدرسة المعروفة بالقمحية ، وجعلها للملكية ، ثم بنى المدرسة العظيمة التى بجوار الإمام الشافعى - رضى الله عنه - ، وجعلها للشافعية ، ثم بنى مدرسة عند دار الضرب ، وجعلها للحنابلة ، وأنشأ بجوارها مارستان (٤) ، ولم يكن بالقاهرة مارستان قبله غير الذى أنشأه أحمد بن طولون فى القطائع وبطل أمره ، وأنشأ مدرسة بالقدس الشريف ، وسمها الصلاحية » (٥)

(١) راجع : الروضتين (١ : ٢١٤) .

(٢) راجع : الحركة الفكرية فى مصر فى العصرين الأيوبي والملوك للدكتور عبد اللطيف

حمزة ص ١٥٠ .

(٣) خانقاه : أصلها فى الفارسية مركبة من كلمتين هما : « خان » ومعناها القراءة أو الذكر ، والكلمة الثانية : « قاه » ومعناها : المكان ، فعل هذا معنى كلمة خانقاه مكان الذكر ، وعند المصريين تسمى الزاوية .

(٤) مارستان : كلمة فارسية معربة معناها : مستشفى . راجع : مختار الصحاح (مرس) .

(٥) راجع : تاريخ ابن لياس (١ : ٢٤٢ ، ٢٤٣) نقلاً عنه .

وكان ينفق على مدارس القاهرة وحدها ألفي دينار كل شهر أى ما يوازي أربعة وعشرين ألف دينار كل سنة ، وكان لجامع عمرو بن العاص ، راتب يومية قدره ثلاثون ديناراً (١) .

وقد تأثر أبنائه بهذا الرقي العلمى . فكان ابنه الملك الأفضل شاعراً وأديباً ، قرب إليه من الأدباء الكاتب المسترسل ضياء الدين بن الأثير صاحب كتاب « المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر » وقد لازمه زمن ولايته على دمشق ، وكانت بينهما مودة (٢) .

وسار على نهج صلاح الدين — أخوه الملك العادل فى حبه للعلم وتشجيعه ، وبناء المدارس ، وتوجيه أبنائه للعلم . فكان ابنه الملك الكامل محباً للحديث وأهله ، حريصاً على حفظه ونقله ، وله تعليقات على صحيح مسلم ، وقد أجازته الحافظ السلفى ، وبعض العلماء وخرج له أبو القاسم بن الصفرأوى أربعين حديثاً سمعها من جماعة (٣) .

وكان يجمع العلماء ويطرح عليهم المشكلات ، وله ميل إلى فن الأدب ، ويطارح الشعراء (٤) .

وأنشأ بالقاهرة مدرسة للحديث سنة (٦٢١ هـ) سميت بالكاملية ، وهى ثانياً مدرسة أنشئت للحديث فأول مدرسة أنشأها نور الدين زنكى بدمشق (٥) — كما سبق — وكان الملك المعظم عيسى بن العادل أديباً نحويّاً حنفيّاً متعصباً ، وقد صنف « السهم المصيب فى الرد على الخطيب البغدادى فيما تكلم به فى حق أبى حنيفة فى تاريخ بغداد » وصنف فى العروض ، وله ديوان شعر (٦) ، وكان يحرض الفقراء على الاجتهاد والاشتغال بالعلم ، وحفظ الكتب ، فقد أثر عنه أنه كان يقول : من حفظ نص « الجامع الكبير » فى الفقه للكرمانى

(١) راجع : رحلة ابن جبير ص ٢٤ .

(٢) راجع : الأدب فى العصر الأيوبي ص ٨٠ .

(٣) راجع : النجوم الزاهرة (٦ : ٢٢٧ ، ٢٢٨) .

(٤) راجع : بدائع الزهور (١ : ٢٦٧) وحسن المحاضرة (٢ : ٣٤) .

(٥) راجع : حسن المحاضرة (٢ : ٢٦٢) .

(٦) راجع : النجوم الزاهرة (٦ : ٢٦٧) والسلوك للمقريزى (١ : ٢٢٤) .

أعطيته مائة دينار ، ومن حفظ « الإيضاح » لأبي علي في النحو أعطيته مائتي دينار ، فحفظ جماعة الكتابين ، ووفى لهم بما شرط (١) . وقد سماه أحد المؤرخين له في عصرنا بـ « مأمون بنى أيوب » (٢) وكان الملك المعظم توران شاه بن نجم الدين أيوب ، ماهراً في العلوم ، عارفاً للخلاف والفقه والأصول ، وكان جده الملك الكامل يحبه لميله إلى العلم ، ويلقى عليه من صغره المسائل المشككة ، ويأمره بعرضها وامتحان الفقهاء بها في مجلسه (٣) .

وهكذا كان ملوك بني أيوب يحبون العلم والعلماء ويقربونهم ، وقد رأينا منهم المحدث والفقهاء والأديب والشاعر ، وليس منهم أحد إلا وله باع في العلم ، ولم يستثن منهم إلا نجم الدين أيوب بن الكامل ، فكان بطبعه يميل إلى العسكرية والفروسية ، ومع هذا كان يشجع العلم والعلماء ويقربهم ، وينشئ المدارس (٤) وقد سبق في مبحث الأحوال السياسية أنه رحب بالعز بن عبد السلام لما قدم إلى مصر ، وولاه القضاء والخطابة وما فعل هذا إلا حباً للعز وتقديراً لعلمه .

وشرع في بناء مدرسة كبيرة بالقاهرة سنة (٦٣٩ هـ) أشبه بجامعة تضم أربع مدارس ، تدرس فيها المذاهب الأربعة ، وبعد تمامها عين العز بن عبد السلام بها مدرساً للمذهب الشافعي بعد استقالته من القضاء (٥) كما سيأتي تفصيله .

وسار سلاطين المماليك على نهج ملوك بني أيوب في تشجيع العلم ، وحب العلماء وتقريبهم ، وإنشاء المدارس والخوانق . لذا كثرت المدارس التي تدرس فيها العلوم الشرعية واللغوية ، والمساجد والجوامع التي تقام فيها حلقات العلم والدرس ، ويفد إليها الطلاب من جميع الجهات .

ومن أهمها جامع عمرو بن العاص والجامع الأزهر وجامع ابن طولون بمصر ، وبيت المقدس والجامع الأموي بالشام .

(١) راجع : الأدب في العصر الأيوبي ص ٨٠ .

(٢) راجع : كتاب « مأمون بنى أيوب » للدكتور أحمد أحمد بدوي .

(٣) راجع : السلوك (١ : ٣٥٣) .

(٤) راجع : مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني ص ٥٥ .

(٥) راجع : حسن المحاضرة (٢ : ٢٦٣) .

ووقف الملوك والأمراء الأوقاف الكبيرة على طلبة العلم والمساجد والمدارس وما ألحق بها من خزائن الكتب مما شجع انتشار العلم بين أفراد الناس .

وفي ظل هذه الحركة العلمية النشطة ترعرع العلم ، ووجد طبقة من جهابذة العلماء كالحافظ أبي محمد القاسم بن الحافظ الكبير أبي القاسم علي بن عساكر ، وشيخ الشيوخ عبد اللطيف بن اسماعيل البغدادى والحافظ عبد العظيم المنذرى في الحديث . وفخر الدين بن عساكر . والقاضى عبد الصمد بن محمد الحرساني في الفقه . وسيف الدين الآمدي في الأصول . والشيخ شهاب الدين السهروردي ، وأبي الحسن الشاذلي ، وأبي العباس المرسى في التصوف .

ومن هؤلاء العلماء الأجلاء وغيرهم استفاد الغز وتكونت شخصيته المتميزة الجامعة بين الفقه والأصول والتصوف والتفسير واللغة ، وأفادته هذه الحركة العلمية في نشر علمه واستفادة الناس منه .

والناظر في مؤلفات هذا العصر يلحظ أن الاختصار والشرح كانا سمة هذا العصر ، فأكثر المؤلفات إما اختصار لكتب الأقدمين ، وإما شرح لها . وقد تأثر الغز بن عبد السلام بهذه الظاهرة ، لذا نجد قسما من مؤلفاته عبارة عن مختصرات .

فله اختصار تفسير الماوردي « النكت والعيون » الذي ستأتى دراسته وتحقيقه ، وله اختصار نهاية المطلب لإمام الحرمين الجويني في كتاب بعنوان « الغاية في اختصار النهاية » في خمسة مجلدات . وله شرح منتهى السؤل والأمل في علمي الأصول والجدل لأبي عمرو ابن الحاجب المالكي . كما أن الغز نفسه اختصر كتابه « قواعد الأحكام في مصالح الأنام » في كتاب بعنوان : « القواعد الصغرى » واختصر كتابه « الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز » .

ومن مؤلفات هذا العصر « شرح جدل الشريف » للآمدي (ت ٦٣١ هـ) و « شرح مشكل الوسيط » في فروع الشافعية لابن الصلاح (ت ٦٤٣ هـ)

و « شرح التنبيه » و « مختصر صحيح مسلم » (١) و « مختصر سنن أبي داود و حواشيه » للمندري (ت ٦٥٦ هـ) و « مختصر تاريخ دمشق » (٢) لأبي شامة المقدسي (ت ٦٦٥ هـ) تلميذ الغز ، و « شرح صحيح مسلم » و « المجموع شرح المذهب » للنووي (ت ٦٧٦ هـ) و « شرح الورقات » (٣) و « الأقليد للدر التقليد شرح التنبيه » لتاج الدين الفرکاح (ت ٦٩٠ هـ) ولم يتمه ، و « إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام » في الحديث لابن دقيق العيد (ت ٧٠٢ هـ) تلميذ الغز ، و « التحرير مختصر المحرر » و « مختصر في الأصول » و « مختصر في المنطق » لأبي الحسن علاء الدين الباجي (ت ٧١٤ هـ) تلميذ الغز وله مختصرات أخرى كثيرة حتى قيل ما من علم إلا وله فيه مختصر (٤) .

وسبب شيوع هذه المختصرات والشروح في هذا العصر أن العلوم الشرعية واللغوية ، قد نضجت وأفعمت بمؤلفات السابقين ومصنفاتهم ، فلم يبق مجال لعلماء هذا العصر إلا الاختصار والشرح (٥) والتعليق ، وتبسيط هذه العلوم ، وصياغتها بلغة ذلك العصر .

ولا يعني هذا أنه لم تظهر في هذا العصر مؤلفات قائمة بذاتها ، وفيها تجديد ، بل وجد مؤلفات من هذا النوع . فللعز كتاب « قواعد الأحكام في مصالح الأنام » و « الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع الحجاز » وهما من أجود ما ألف في بابهما .

قال ابن السبكي : « وهذان الكتابان شاهدان بإمامته وعظيم منزلته في علوم الشريعة » (٦) . وألف تفسيراً للقرآن الكريم غير تفسيره المختصر ، وسيأتي الكلام عن ذلك في مؤلفاته . وللآمدي كتاب « الإحكام في أصول

(١) يوجد منه نسخة مخطوطة بمكتبة الفاتح باستنبول برقم (١١٤١) في مجلد نسخ سنة (٧١٥ هـ) وخطه جميل .

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر يقع في (٨٠) مجلداً واختصره أبو شامة مرتين الأولى في عشرين مجلداً .

(٣) الورقات لإمام الحرمين الجويني .

(٤) راجع : طبقات الشافعية لابن السبكي (١٠ : ٣٤١) .

(٥) راجع : د. علي صافي في كتابه « ابن دقيق العيد حياته وديوانه » ص ٥٣ .

(٦) راجع : كتابه « طبقات الشافعية » (٨ : ٢٤٧) .

الأحكام» وهو من أحسن ما ألف في أصول الفقه في هذا العصر وله «الأبكار»
في أصول الدين .

ولابن الصلاح كتاب « معرفة علوم الحديث » المشهور بمقدمة ابن الصلاح
من أجود ما ألف في بابيه .

وله - أيضاً - « معرفة المؤلف والمختلف في أسماء الرجال » .

ولأبى شامة « الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية » و « ذيله »
في تراجم رجال القرنين . وللنووي كتاب « تهذيب الأسماء واللغات » وهكذا
نجد هذه المصنفات القائمة بذاتها بجانب المختصرات والشروح التي شاعت
في هذا العصر ، وأصبحت سمة من سماته .

الفصل الثاني

نسبه ومولده وطلبه للعلم وأعماله

- ١ - نسبه ومولده
- ٢ - نشأته وطلبه للعلم
- ٣ - أعماله ومواقفه
- ٤ - وفاته وعمره

نسبه ومولده

نفسه :

هو أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن ابن محمد بن مذهب السلمى المغربى الأصل الدمشقى ثم المصرى الشافعى ، الملقب بسلطان العلماء ، وقد اشتهر بالعز بن عبد السلام (١) .

فهو « السلمى » بضم السين ، كما ورد على الورقة الأولى من تفسيره ، وقد ضبط بذلك فى المصادر التى ذكرته ، وهو منسوب إلى بنى سليم إحدى القبائل المشهورة من قبائل مضر . والمنسبون إليها كثير (٢) .

وهو المغربى الأصل فلعل أحد أجداده جاء من المغرب وسكن الشام وهو الدمشقى منسوب إلى دمشق لأنه ولد بها . ثم المصرى منسوب إلى مصر لأنه رحل إليها ، وقضى فيها بقية حياته وتوفى ودفن بها . وهو الشافعى نسبة إلى الإمام الشافعى لأنه شافعى المذهب ، وإن كان له آراء استقل بها حتى قال بعضهم : إنه بلغ رتبة الاجتهاد وسيأتى تفصيل ذلك .

واسمه عبد العزيز ولقب بعز الدين جرياً على عادة عصره الذى انتشرت فيه هذه الألقاب المنسوبة إلى الدين لسلطان الدين فى نفوس الناس وعنايتهم به ، ولقب بها الملوك والأمراء والعلماء ، مثل : صلاح الدين يوسف ، وركن الدين الظاهر بيبرس ، وتاج الدين عبد الوهاب بن بنت الأعز . الخ . ولقبه تلميذه ابن دقيق العيد بـ « سلطان العلماء » ولعل وجه ذلك أنه أنكر على السلاطين المنكر وقارعهم بالحجة فغلبهم ، واشتهر بالعز بن عبد السلام ،

(١) راجع : الذيل على الروضتين لأبي شامة (ص ٢١٦) وفوات الوفيات (١ : ٥٩٤) وطبقات الشافعية لابن السبكي (٨ : ٢٠٩) وطبقات الشافعية للأسنوى (٢ : ١٩٧) والمختصر لأبي الفداء (٣ : ٢١٥) والبداية والنهاية (١٣ : ٢٣٥) وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلى (٥ : ٣٠١) والنجوم الزاهرة (٧ : ٢٠٨) وحسن المحاضرة (٢ : ١٦١) وطبقات المفسرين للداودى (١ : ٣٠٨) والأعلام للزركلى (٤ : ١٤٤) .

(٢) راجع : اللباب فى تهذيب الأنساب لابن الأثير (١ : ٥٥٣) .

وقد جعلت عنوان الكتاب بهذه الشهرة ، كما أننى إذا ذكرته فى أثناء البحث فأذكره بها .

مولده :

اتفقت المصادر التى ترجمت للعز أنه ولد بدمشق ، وترددت فى تحديد تاريخ مولده بين سنة سبع وسبعين وخمسة ، أو ثمان وسبعين (١) .

كما اتفقت هذه المصادر على تاريخ وفاته وهو سنة ستين وستائة ، ولكنها ترددت فى تحديد عمره بين ثلاث وثمانين سنة ، أو اثنتين وثمانين بناء على ترددهم فى تاريخ ميلاده .

وقد رجح الباحث رضوان الندوى أن مولده سنة سبع وسبعين وخمسة فقال : « وإذا صحت رواية السبكي التى نص على أنه عاش ثلاثاً وثمانين سنة ، والتى أيدھا ابن تغرى بردى فى كتابه (النجوم الزاهرة) جاز لنا أن نقول إنه ولد سنة ٥٧٧ هـ فى حوالى ربيع الآخر منها » (٢) .

وقد تابعه فى ذلك الباحث محمد حسن عبد الله (٣) . ورواية ابن السبكي التى أشار إليها هى قوله : « وحكى أن شخصاً جاء إليه ، وقال له : رأيتك فى النوم تنشد :

وكنك كذى رجلين رجل صميحة
ورجل رعى فيها الزمان فشلت
فسكت ساعة ثم قال : أعيش من العمر ثلاثاً وثمانين سنة ، فإن هذا الشعر لكثير غزوة ، ولا نسبة بينى وبينه غير السن ، أنا سنى وهو شيعى ، وأنا لست بقصير وهو قصير ، ولست بشاعر وهو شاعر ، وأنا سلمى وليس هو بسلمى ، لكنه عاش هذا القدر . قلت فكان الأمر كما قال رحمه الله » (٤) .

(١) راجع : فوات الوفيات (١ : ٥٩٤) وطبقات ابن السبكي (٨ : ٢٠٩)
والبداية والنهاية لابن كثير (١٣ : ٢٣٥) والنجوم الزاهرة (٧ : ٢٠٨) وحسن المحاضرة (١ : ٣١٤) وطبقات المفسرين للداودى (١ : ٣٠٩) .

(٢) راجع : كتابه « العز بن عبد السلام » ص ٣٤ .

(٣) راجع : كتابه « عز الدين بن عبد السلام بائع الملوك » ص ٥٠ .

(٤) راجع : كتابه « طبقات الشافعية » (٨ : ٢٤٥ ، ٢٤٦) .

وقد تعقبهما الباحث عبد العظيم فودة فقال : « وبالرجوع إلى (طبقات السبكي) وإلى كتاب (النجوم الزاهرة) تبين لنا مدى الخطأ الذي وقع فيه هذان الباحثان - فالسبكي - تردد كغيره من المترجمين في تحديد سنة ولادة عز الدين بين سبع أو ثمان وسبعين وخمسمائة كما هو واضح من النص السابق ، وهذا التردد يضعف إلى حد كبير ما ذكره بعد ذلك من تحديد عمره بثلاثة وثمانين عاماً بناء على رؤيا منامية رآها أحد الناس للعز ، وفسرها العز بذلك . وكذلك (ابن تغرى بردى) في كتابه (النجوم الزاهرة) تردد كغيره من المترجمين في تحديد سنة ولادة العز ، حيث ذكر أن مولده سنة سبع أو ثمان وسبعين وخمسمائة فالترجيح الذي ذهب إليه الدكتور الندوى ، وتابعه فيه الأستاذ محمد حسن عبد الله ترجيح لا أساس له ، لأنه مبنى على رواية ضعيفة ، أو على نقل خاطئ من هذين المصدرين السابقين » . (١)

قلت : وقد رجعت إلى المصدرين المشار إليهما فتأكد لي صحة ما قال ، فما ذهب إليه هو الصواب ، لأن المصدرين قد ترددا في تحديد مولده ، فتردد ابن السبكي يضعف الرواية التي ذكرها ، ويؤكد ذلك أنه ذكرها بصيغة التريص والتضعيف فقال : « وحكى أن شخصاً جاء إليه » الخ . هذا ، والخلاف في تاريخ ميلاده لا يترتب عليه كبير فائدة .

(١) راجع : رسالته للماجستير « عز الدين بن عبد السلام وأثره في الفقه والأصول » ص ٦٢

نشأته وطلبه للعلم

نشأته :

يظهر من عدم ضبط كتب التاريخ لتاريخ مولد العز ، أنه نشأ في أسرة فقيرة مغمورة ، لذا لم تسجل كتب التاريخ شيئاً عن نشأته الأولى ، أو عن آبائه وأجداده ، لأنه لم يكن لهذه الأسرة مجد أو سلطان أو علم .

وقد ذكر ابن السبكي أن العز كان في أول أمره فقيراً جداً ، ولم يطلب العلم إلا على كبر ، وسبب ذلك أنه كان يبيت في الكلاسة (١) من جامع دمشق ، فبات بها ليلة ذات برد شديد ، فاحتلم فقام مسرعاً ونزل في بركة الكلاسة ، فحصل له ألم شديد من البرد ، وعاد فنام فاحتلم ثانياً ، فعاد إلى البركة ، لأن أبواب الجامع مغلقة وهو لا يمكنه الخروج ، فطلع فأغشى عليه من شدة البرد ، أنا أشك هل كان الشيخ الإمام يعني والده يعكس أن هذا اتفق له ثلاث مرات تلك الليلة ، أو مرتين فقط ، ثم سمع النداء في المرة الأخيرة يا ابن عبد السلام أتريد العلم أم العمل ؟ فقال الشيخ عز الدين : العلم ، لأنه يهدى إلى العمل ، فأصبح وأخذ « التنبيه » (٢) فحفظه في مدة يسيرة ، وأقبل على العلم فكان أعلم أهل زمانه ومن أعبد خلق الله تعالى (٣) اهـ

فابن السبكي ساق هذه الحادثة للدلالة على فقر العز ، وعلى أنه لم يطلب العلم إلا على كبر . ويرى محمد حسن عبد الله أن هذه الحادثة دليل على أن العز كان متعلماً قبل ذلك ، ويوجه ذلك بقوله : « والذي أريد أن أؤكد هنا هو أن العز لم يشتغل بالعلم بطريقة فجائية ، لم تنبت أشجاره في أرض جرداء ، وإنما هو - وإن لم ينقطع لطلب العلم قبل هذا النداء الداخلي - قد شغل به

(١) زاوية الباب الشمالي للجامع الأموي بدمشق .

(٢) التنبيه : متن متداول في الفقه الشافعي .

(٣) راجع : كتابه « طبقات الشافعية » (٨ : ٢١٢) .

كثيراً ، وفكر فيه طويلاً ، وأدرك منه أطرافاً ووعى من مسائله أشياء وأشياء
يدل على ذلك هذا النص نفسه ، والذي يتخذ وسيلة لإثبات عكس ما نراه .

فالشاب الذى يتخرج من الاستسلام إلى دفء الفراش فى ليلة قارصة
لا شك يعرف قيمة عمله هذا . إن مبادرته إلى التطهر عقب اكتشاف الأثر
للدليل على وعى عميق وإدراك سليم لمعنى الصلوة بالله (١) » اهـ .

قلت : والصواب ما ذهب إليه ابن السبكي ، لأن الشخص الذى
يغتسل بالماء البارد فى ليلة شديدة البرودة ، قد عرض نفسه للهلاك ،
والشارع لا يأمر بذلك بل رخص له فى التيمم ، وقد روى الإمام أحمد عن
ابن عمر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله
يحب أن تؤتى رخصة كما يكره أن تؤتى معصيته » (٢) .

فلو كان العز متعلماً قبل ذلك كما يرى الباحث لما أقدم على ذلك كما فى
تلك الحادثة .

وفى هذه الحادثة دلالة على ورعه وتقواه ، وصراحته وتحمله للشدائد ،
وتعرضه للمخاطر فى سبيل رضا الله ، حيث ترك لذة النوم ودفء الفراش ،
فاغتسل بماء شديد البرودة فى ليلة قارصة .

طلبه للعلم :

وحيث إن العز طلب العلم على كبر فقد جد واجتهد فى حفظ المتون
ودراسة الكتب ، والتردد على كبار شيوخ عصره ، ليعوض ما فاتته فى صغره .
كما أن كبر سنه وذكائه أعاناه على تحصيل العلم الكثير وهضمه وإدراك مسائله
العويصة ، روى عنه أنه كان يقول : « ما احتجت فى علم من العلوم إلى أن
أكمل على الشيخ الذى أقرأ عليه ، وما توسطته على شيخ من المشايخ الذين
كنت أقرأ عليهم إلا وقال لى الشيخ : قد استغنيت عنى فاشتغل مع نفسك ،
ولم أقنع بذلك ، بل لا أبرح حتى أكمل الكتاب الذى أقرؤه فى ذلك العلم » (٣) .

(١) انظر : كتابه « عز الدين بن عبد السلام بائع الملوك » ص ٥٣ .

(٢) راجع : مسنده (٢ : ١٠٨) طبع الحلبي .

(٣) انظر : طبقات المفسرين للداودى (١ : ٣١٣) .

وكان يقول : مضت لى ثلاثون سنة لا أنام حتى أمر أبواب الأحكام على خاطرى (١) .

وكانت دمشق فى عصره منتجعا للعلماء من الشرق والغرب نظرا لتوسطها ، فاجتمع فيها جهابذة العلماء البارعين فى فنون العلم ، وقد تردد عليهم شيخنا العز بن عبد السلام فهل من علمهم الصافى الفياض ، وتأثر بأخلاقهم الفاضلة وسلوكهم فى الحياة ، فانصقلت مواهبه ، وتميزت شخصيته الجامعة بين الفقه والأصول ، والتفسير واللغة والتصوف . فتفقه فى بداية تعلمه على القاضى عبد الصمد الحرستانى ، وكان من قضاة العدل الزاهدين الورعين ، وكان العز معجبا به معظما له ، فكان يقول : « لم أر أفقه منه » .

ودرس الأصول على الشيخ سيف الدين الآمدى ، أحد أذكىاء العالم البارع فى علم الأصول والمناظرة ، وتأثر به ، وكان معجبا بعلمه وقد أشاد بذلك بقوله : « ما سمعت أحدا يلقى الدرس أحسن منه » وقوله : « ما علمنا قواعد البحث إلا منه » .

وتلقى الحديث والفقه الشافعى على الإمام فخر الدين بن عساكر الورع الزاهد ، فتأثر به فى علمه وأخلاقه .

وكان لهؤلاء الشيوخ أكبر الأثر فى صقل مواهب العز وتوجيهه وسلوكه .

وقد تردد العز على شيوخ آخرين غيرهم ، فسمع الحديث من الحافظ أبى محمد القاسم بن الحافظ الكبير أبى القاسم ابن عساكر ، وشيخ الشيوخ عبد اللطيف بن أبى سعد البغدادى ، وبركات بن إبراهيم الخشوعى وغيرهم .

ولم يكتف العز بعلماء بلده ، فكان يتطلع إلى بغداد عاصمة الخلافة العظمى ، وكعبة العلم ، فيم شطره إليها فوصلها سنة (٥٩٧ هـ) ، فتردد على علمائها ، ونهل من علمهم واستفاد من تجاربهم ، فسمع الحديث من أبى حفص عمر بن طبرزد ، وحنبل بن عبد الله الرصافى . ولم يمكث بها طويلا .

قال ابن رافع السلاوى : « وسمعت بعض المحدثين يقول : إنه دخل بغداد

(١) انظر : رفع الأصر عن قضاة مصر لابن حجر العسقلانى ص ٣٥٠ .

في طلب العلم فوافق يوم دخوله موت الحافظ أبي الفرج بن الجوزي وذلك سنة ٥٩٧ هـ (١).

وهكذا نلاحظ أن العز تخرج على هؤلاء العلماء الكبار ، كما أنه استفاد من غيرهم . وكان يواصل التحصيل والتلقي من الشيوخ حتى بعد أن صار شيخاً كبيراً تنابه الملوك وتخشي مخالفته . فبعد أن رحل إلى مصر عام ٦٣٩ هـ كان يحضر مجلس الحافظ زكي الدين عبد العظيم المنذرى (ت ٦٥٦ هـ) في الحديث وحلقات الشيخ أبي الحسن علي بن عبد الله الشاذلي (ت ٦٥٦ هـ) المتصوف المعروف ويجله ويستفيد منه في علم الحقيقة كما أن الشاذلي كان يوقر العز ويستفيد منه في الفقه .

ويقول : قيل لى : « ما على وجه الأرض مجلس في الفقه أبهى من مجلس الشيخ عز الدين بن عبد السلام ، وما على وجه الأرض مجلس في الحديث أبهى من مجلس الشيخ زكي الدين عبد العظيم ، وما على وجه الأرض مجلس في علم الحقائق أبهى من مجلسك » (٢) .

وهذا شأن العالم المخلص فإنه يواصل تحصيل العلم ولا يشغله عنه شاغل مهما كان ذلك . وسيأتي التعريف بشيوخه وأثرهم فيه في فصل مستقل .

(١) راجع : العز بن عبد السلام لرضوان الندوى ص ٣٨

(٢) راجع : حسن المحاضرة (١ : ٣١٥) .

أعماله ومواقفه

بعد أن تعلم العز ونضج ، بدأ يزاول حياته العملية في التدريس ، والافتاء ، والقضاء ، والخطابة . وقد زاول هذه الأعمال في دمشق التي قضى فيها الشطر الأكبر من حياته ، ثم في مصر التي قضى فيها بقية حياته . وسوف أتحدث عن أعماله في كل بلد على حدة ، وعن أهم مواقفه من حكام عصره .

أعماله في دمشق

أولاً - التدريس :

قام العز بالتدريس بعدة مدارس في دمشق (١) ذكرت المصادر منها :

١ - المدرسة العزيزية :

كان للعز مجلس للتدريس بهذه المدرسة ، وكان يدرس بها - أيضاً - شيخه سيف الدين الآمدي وقد أخذت هذه المدرسة من الآمدي (ت ٦٣١ هـ) وهذا الخبر يدل على أن العز كان يدرس بهذه المدرسة قبل وفاة شيخه الآمدي (٢).

٢ - الزاوية الغزالية :

وهي مكان صغير تقام فيه العبادة والأذكار والتدريس وهي الزاوية الغربية للجامع الأموي ، ونسبت إلى الغزالي لكثرة اعتكافه فيها وتدريسه .

وقد قام بالتدريس فيها كبار علماء هذا العصر . وتولى العز التدريس بها من قبل الملك الكامل بعد وفاة الشيخ جمال الدين محمد الدولعي الذي كان يدرس بها في جمادى الأولى سنة (٦٣٥ هـ) (٣) .

(١) راجع : البداية والنهاية (١٣ : ٢٣٥) .

(٢) راجع : مع القائد الروحي ص ٥٦ .

(٣) راجع : الذيل على الروضتين ص ١٦٦ ، وطبقات السبكي (٨ : ٢٤٢)

ثانياً - الإفتاء :

الإفتاء في عصر العز ليس وظيفة رسمية يعين فيها المفتي من قبل الحكومة ، ويخصص له مرتب عليها ، وإنما هي مهمة يقوم بها العالم الفاضل الذي يرى في نفسه أهلية ذلك ، ويتصف بالورع والتقوى ، فيقصد به الناس يستفتونه فيما يشكل عليهم من أمور دينهم فيفتيهم حسبة الله .

وكان العز مفتي الشام (١) منذ عهد الملك الأشرف موسى بن العادل (ت ٦٣٥ هـ) ويدل على ذلك الفتيا التي أفتى بها الحنابلة في مسألة كلام الله ، بأنه معنى قائم بذاته قديم أزلي ليس بحرف ولا صوت .

ومن قال : بأنه حرف وصوت فإنه مخطئ ومبتدع ، وكان الملك الأشرف يقول بذلك ، فأوصلوها إليه ، وكانوا يريدون من سؤال العز الإيقاع بينه وبين الأشرف ، وكان العز يعلم ذلك حيث قال : « هذه الفتيا كتبت امتحاناً لي ، والله لا كتبت فيها إلا ما هو الحق » (٢) .

فكتب عقيدته المشهورة بـ « ملحة الاعتقاد » فلما قرأها الأشرف غضب عليه ، وكتب إليه جواباً عنها ، فرد عليه العز ، فاشتد غضبه ، فأرسل وزيره الغرز خليلاً إلى العز ليبلغه أنه اشترط عليه ثلاثة شروط ، أحدها : أنه لا يفتي ، والثانية : أنه لا يجتمع بأحد ، والثالثة : أنه يلزم بيته .

فقال العز : « يا غرز إن هذه الشروط من نعم الله الجزيلة على الموجبة للشكر لله - تعالى - على الدوام ، أما الفتيا فإني كنت والله متبرماً بها وأكرهها ، وأعتقد أن المفتي على شفير جهنم ، ولولا أني أعتقد أن الله أوجبها على لتعينها على في هذا الزمان ، لما كنت تلوثت بها ، والآن فقد عذرتني الحق ، وسقط عني الوجوب وتخلصت ذمتي والله الحمد والمنة . يا غرز ، من سعادتي لزومي لبيتي ، وتفرغي لعبادة ربي والسعيد من لزم بيته وبكى على خطيئته ، واشتغل بطاعة الله - تعالى - ، وهذا تسليك من الحق ، وهدية من الله - تعالى - إلى أجراها على يد السلطان وهو غضبان وأنا بها فرحان ، والله يا غرز ،

(١) راجع : الذيل على الروضتين (ص ١٧٠) .

(٢) راجع : طبقات ابن السبكي (٨ : ٢١٨) .

لو كانت عندى خلعة تصلح لك على هذه الرسالة المتضمنة لهذه البشارة خلعت عليك ، ونحن على الفتوح ، خذ هذه السجادة صلّ عليها ، فقبّلها ، وقبّلها ، وودعه وانصرف إلى السلطان ، وذكر له ما جرى بينه وبينه ، فقال لمن حضره : قولوا لي ما أفعل به ، هذا رجل يرى العقوبة نعمة ، اتركوه بيننا وبينه الله (١) » اه .

وبقى العز على تلك الحال ثلاثة أيام ، ثم إن الشيخ العلامة جمال الدين الحصري شيخ الحنفية في زمانه ذهب إلى الأشرف فقال له : « إيش بينك وبين ابن عبد السلام ، وهذا رجل لو كان في الهند أو في أقصى الدنيا كان ينبغى للسلطان أن يسعى في حلوله في بلاده ، لتتم بركته عليه وعلى بلاده ، ويفتخر به على سائر الملوك .

قال السلطان : عندي خطه باعتقاده في فتيا ، وخطه أيضاً في رقعة جواب رقعة سيرتها إليه ، فيقف الشيخ عليهما ، ويكون الحكم بيني وبينه ، ثم أحضر السلطان الورقتين فوقف عليهما ، وقرأهما إلى آخرهما ، وقال : هذا اعتقاد المسلمين ، وشعار الصالحين ويقين المؤمنين ، وكل ما فيهما صحيح .

فقال السلطان رحمه الله : نحن نستغفر الله مما جرى ، ونستدرك الفارطة في حقه ، والله لأجعلنه أغنى العلماء ، وأرسل إلى الشيخ واسترضاه وطلب محالته ومخالته » (٢) .

فكان بعد ذلك يأخذ بفتواه ومشورته وقد طلبه في مرض موته ، وسأله محالته ونصحه . فنصحه العز بأن يحول عسكره الذين استعدوا لقتال أخيه الملك الكامل حاكم مصر إلى جهة العدو المشترك التتار ، وكانوا قد ظهروا في شرق بلاد الإسلام في ذلك الوقت ، فأمر الأشرف بذلك .

كما نصحه بإبطال المنكرات التي يرتكبها نوابه من الزنا وإدمان الخمر ،

وتمكيس المسلمين ، وظلم الناس . فأمر الأشرف بإبطال ذلك . كما باشر العز بنفسه تبطيل بعضها .

وبعد هذه النصيحة قال الأشرف : « جزاك الله عن دينك وعن نصائحك وعن المسلمين خيراً ، وجمع بيني وبينك في الجنة بمنه وكرمه ، وأطلق له ألف دينار مصرية ، فردها عليه ، وقال : هذه اجتماعة لله لا أكدرها بشيء من الدنيا » .

ثم لم يمض أخوه الصالح إسماعيل تبطيل المنكرات ، وكان نائبه يومئذ ، ثم استقل بالملك بعد موته لأنه كان أعظم منه في اعتقاد الحرف والصوت ، ثم لم يلبث إلا يسيراً حتى قدم أخوه الملك الكامل من الديار المصرية بجيوشه إلى دمشق وحاصر أخاه إسماعيل ، ثم اصطالح معه . وأكرم الكامل العز غاية الإكرام .

وقد اجتمع مع العز بحضور أخيه إسماعيل ، فقال الكامل : « إن هذا له غرام برمي البندق ، فهل يجوز له ذلك ؟

فقال الشيخ : بل يحرم عليه ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عنه ، وقال : إنه يفتى العين ويكسر العظم » . (١)

فيلاحظ أن ملوك بني أيوب كانوا يعزون الشيخ ويكرمونه غاية الإكرام ، ويحبون مجالسته ، والاستماع إلى نصحه ، والعمل بمشورته . فكان ينصحهم بما فيه خير الإسلام والمسلمين ، ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ولا يهابهم ولا يجاملهم .

وقد اشتهر العز بالإفتاء حتى أن الناس كانت ترد عليه من البلاد لتستفتيه ، كما أن شهرته بذلك قد وصلت إلى مصر قبل أن يذهب إليها بدليل أنه لما ذهب إليها سنة (٦٣٩ هـ) امتنع مفتيها الحافظ المنذرى من الفتيا وقال : « كنا نفتي قبل حضور الشيخ عز الدين ، وأما بعد حضوره فنصب الفتيا متعين فيه » (٢) .

(١) راجع : طبقات الشافعية لابن السبكي (٨ : ٢٤١ ، ٢٤٢) .

(٢) راجع : حسن المحاضرة (١ : ٣١٥) وبدائع الزهور (١ : ٣١٧) .

ثالثاً - القضاء والرسالة إلى الخليفة العباسي :

ذكر ابن السبكي عن رسالة ولد العز الشيخ عبد اللطيف في أخبار والده : أن الملك الكامل لما حاصر دمشق واستولى عليها من أخيه الملك الصالح إسماعيل ولى والده الشيخ تدريس زاوية الغزالي بجامع دمشق ، وذكر بها الناس ، ثم ولاه قضاء دمشق بعدما اشترط عليه الشيخ شروطاً كثيرة ، ودخل في شروطه ، ثم عينه للرسالة إلى الخلافة المعظمة ، ثم اختلسته المنية رحمه الله (١) في ٢٢ رجب سنة ٦٣٥ هـ فكانت مدة ملكه دمشق شهرين ونصف تقريباً (٢) .

وذكر الداودي : أن الكامل وَلَّى الشيخ تدريس الزاوية الغزالية بجامع بني أمية ، وعزم على ولايته قضاء دمشق ، وإرساله في الرسالة إلى بغداد ، فمات دون إمضاء ذلك بدمشق (٣) .

فعبارة الداودي تفيد أن الشيخ لم يتول منصب القضاء ، ولم يقم بالرسالة ، لأن الكامل مات قبل تنفيذ ذلك الأمر .

بينما عبارة ولده تخالف ذلك حيث أفادت أنه تولى القضاء ، وليست قاطعة بذلك ، فهي محتملة أنه عينه ، ولم يباشر حيث مات الكامل بعد شهرين ونصف وجاء بعده أخوه الملك إسماعيل فلم ينفذ ذلك وهذا الاحتمال هو الراجح ويقويه نص عبارة الداودي .

ولو أن الدكتور رضوان اطلع على هذا النص لما قال : « ولعل عز الدين بقي في منصب قضاء دمشق برهة من الزمن خلال هذه الفترة القصيرة من حكم الكامل لدمشق ، إذ حكم بعد أخوه الصالح إسماعيل ، ولم يكن يعجب بالشيخ ، ولا يرضى أن يبقيه في القضاء ، وقد حرم عليه اللعب بالبندق . ولعل قصر فترة بقائه بهذا المنصب جعل أصحاب التراجم ، وابن طولون لا يذكرونه بين قضاة دمشق (٤) » .

(١) راجع : طبقات ابن السبكي (٨ : ٢٤٢) .

(٢) راجع : ذيل الروضتين لأبي شامة ص ١٦٦ .

(٣) راجع : طبقات المفسرين للداودي (١ : ٣٢٢) .

(٤) راجع كتابه « العز بن عبد السلام » ص ٤٢ .

رابعاً - الخطابة :

ذكر أبو شامة أن العز تولى الخطابة بالجامع الأموى من قبل الملك الصالح إسماعيل في ربيع الأول سنة (٦٣٧ هـ) (١) . وقيل إنه تولى الخطابة بعد خطيبه جمال الدين محمد بن ياسين الدولعى (٢) المتوفى في ربيع عشر جمادى الأولى سنة (٦٣٥ هـ) وهذا القول مخالف للأول ، لأن الفاصل بينهما سنتان . وقول أبى شامة أصح ، لأن الذى تولى بعد الدولعى - كمال الدين ابن طلحة كما ذكره أبو شامة في حوادث سنة خمس وثلاثين وستمائة ، وقوله أصح من غيره ، لأنه معاصر لهذه الحوادث ، وهو تلميذ العز ، فهو أعلم به من غيره .

وقد أزال العز كثيراً من البدع التى كان يفعلها الخطباء من دق السيف على المنبر ، ولبس السواد ، والسجع المتكلف ، والثناء على الملوك ، بل كان يدعو لهم . ومنع من صلاة الرغائب وصلاة النصف من شعبان به لأنهما بدعة . وقد وقع بينه وبين ابن الصلاح خلاف بسبب صلاة الرغائب (٣) لأن ابن الصلاح يجوزها ، وسيأتى بيان ذلك عند الحديث عن مؤلفاته . وبقى العز خطيباً للجامع الأموى سنة تقريباً ، ثم عزله الملك الصالح إسماعيل لإنكاره عليه تحالفه مع الصليبيين وتسليمه لهم بعض حصون المسلمين ، وإليك نبذة عن ذلك :

تحالف الصالح إسماعيل مع الصليبيين ، وإنكار العز عليه :

خاف الصالح إسماعيل من ابن أخيه نجم الدين أيوب بن الكامل حاكم مصر - أن ينتزع منه دمشق ، فكاتب الفرنج ، واتفق معهم على أن يساعده ضد حاكم مصر في نظير تسليمه لهم صيدا والشقيف وصفد وحصون أخرى ، وكان ذلك سنة (٦٣٨ هـ) (٤) .

(١) راجع كتابه « الذيل » ص ١٧٠ وطبقات المفسرين للوادى (١ : ٣٢٢) .

(٢) راجع : فوات الوفيات للكتبى (١ : ٥٩٥) والبداية والنهاية لابن كثير (١٣ : ١٥٥) .

(٣) راجع : شذرات الذهب (٥ : ٣٠١) .

(٤) راجع : السلوك (١ : ٣٠٣) والنجوم الزاهرة (٦ : ٣٣٨) .

وسمح لهم بدخول دمشق وشراء الأسلحة منها ، فأخذوا يشترونها ويكدسونها استعداداً للحرب .

وقد استفتى الناس الذين يشتغلون في تصنيع الأسلحة وبيعها - العز في حكم بيع الأسلحة للصليبيين فأفتاهم بالمنع فقال : « يحرم عليكم مبايعتهم ، لأنكم تتحققون أنهم يشترونه ليقاتلوا به إخوانكم المسلمين » (١) . ولم يكتف بهذه الفتوى بل عرض بالصالح إسماعيل في الخطبة ، فلم يدع له كالعادة ، وختم خطبته هذه المرة بقوله : « اللهم أبرم لهذه الأمة أمراً رشداً عز فيه وليك ، وتذل به عدوك ، ويعمل فيه بطاعتك ، وينهى فيه عن معصيتك » (٢) .

وواضح من هذا التعريض أنه يريد به الصالح إسماعيل فهو عدو الله لتحالفه مع أعداء الله ، وهو مرتكب معصية كبيرة لتسليمه لهم بعض حصون المسلمين . ولما علم الصالح إسماعيل بذلك وكان خارج دمشق أمر بعزل العز عن الخطابة واعتقاله ، ولما وصل إلى دمشق أفرج عنه بعد محاورات ومراجعات . فخرج العز إلى بيت المقدس متجهاً إلى مصر ، فالتقى به الملك الناصر داود فأخذه معه إلى نابلس وجرت له هناك خطوب لأن داود متحالف مع الصالح إسماعيل ضد حاكم مصر فذهاب العز إلى مصر يشكل خطراً عليهما ، وبعد فترة عاد العز إلى بيت المقدس فوافق ذلك وصول الصالح إسماعيل مع عساكره وحلفائه من الصليبيين إلى بيت المقدس في طريقهم إلى مصر . فلما علم بالعز أرسل إليه بعض خواصه يطلب منه أن يصالحه « فلما اجتمع الرسول بالشيخ شرع في مسايسته وملاينته ، ثم قال له : بينك وبين أن تعود إلى مناصبك وما كنت عليه وزيادة ، أن تنكسر للسلطان وتقبل يده لا غير ، فقال له : والله يا مسكين ، ما أرضاه أن يقبل يدي فضلاً أن أقبل يده ، يا قوم أنتم في واد وأنا في واد ، والحمد لله الذي عافاني مما ابتلاكُم به » (٣) ، فقال : إذن فقد أمر الملك باعتقالك ، فقال : « افعلوا ما بدا لكم » فاعتقله في خيمة في جانب خيمة الملك . فبقى العز في الاعتقال

(١) راجع : طبقات الشافعية للسبكي (٨ : ٢٤٣) .

(٢) المصدر السابق .

(٣) المصدر السابق (٨ : ٢٤٤) .

راضياً بقضاء الله ، صابراً على ابتلائه محتسباً للأجر شاغلاً وقته في قراءة القرآن وذكر الله . وكان الملك يسمعه ، « فقال يوماً للفرنج : تسمعون هذا الشيخ الذى يقرأ القرآن ؟ قالوا : نعم . قال : هذا أكبر قسوس المسلمين ، وقد حبسته لإنكاره على تسليمى لكم حصون المسلمين ، وعزلته عن الخطابة بدمشق وعن مناصبه ثم أخرجته فجاء إلى القدس ، وقد جددت حبسه واعتقاله لأجلكم . فقالت له ملوك الفرنج : لو كان هذا قسيسنا لغسلنا رجله وشربنا مرقها » (١) .

وبقى العز في الاعتقال حتى جاءت الجيوش المصرية والتقت مع عساكر الشام فمالوا جميعاً على عساكر الفرنج فهزموهم وأسروا منهم عدداً لا يحصى (٢) ، ونجى الله العز من الاعتقال فاتجه إلى مصر (٣) فوصلها سنة ٦٣٩ هـ (٤) ، فرحب به الملك الصالح نجم الدين فوله الخطابة والقضاء . فبدأ العز نشاطه في مصر بإقامة السنة ومحاربة البدعة ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ونشر العلم ، وسنفلصل ذلك في المبحث الآتي :

من هذا العرض الموجز لحياة العز في دمشق يتضح أنه قد شغل عدة وظائف من تدريس وإفتاء وقضاء وسفارة وخطابة . وكان مخلصاً في عمله يؤديه على أكمل وجه بما يرضى الله ، ويجهز بكلمة الحق ولا يخاف في الله لومة لائم ، وقد عرضه ذلك لسخط بعض الملوك كما في موقفه من الملك الأشرف في مسألة الكلام ، وموقفه من الملك الصالح إسماعيل في تحالفه مع الصليبيين . فقد صدع العز بالحق في وجه هذين الملكين وخاطر بنفسه فامتحن بذلك فصبر واحتسب ، ثم نصره الله عليهما بظهور الحق وذهاب الباطل ، وأرضاهم عنه لأن العز قد أسخطهم لرضا الله ، « ومن أسخط الناس لرضا الله رضى عنه وأرضى عنه الناس ، ومن أسخط الله لرضا الناس سخط الله عليه ، وأسخط عليه الناس » .

(١) راجع : المصدر السابق .

(٢) راجع : السلوك (١ : ٣٠٥) .

(٣) راجع : المصدر السابق .

(٤) راجع : الذيل على الروضتين ص ١٧١ .

أعماله في مصر

تولى العز في مصر الخطابة والقضاء ، والإفتاء ، والتدريس . وسوف أعرض ذلك بشيء من التفصيل .

أولاً - الخطابة والقضاء :

حينما قدم العز إلى مصر سنة ٦٣٩ هـ رحب به الملك نجم الدين أيوب وأكرمه ، وكان يعرف فضله وغزارة علمه ، وقوة إيمانه ، فولاه الخطابة بجامع عمرو بن العاص ، ووكل إليه عمارة المساجد المهجورة بمصر والقاهرة . ثم أضاف إليه قضاء مصر والوجه القبلي في يوم عرفة (١) من هذه السنة بعد وفاة قاضي القضاة شرف الدين بن معين الدولة .

فأصبح العز خطيب أكبر جامع في مصر ، وقاضي القضاة بمصر والوجه القبلي .

وقد قام بعمله على أحسن وجه ، آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر . كما اتسم في قضاائه بالعدل بين الناس ، والصرامة في تطبيق الشرع ، والتسوية بين القوى والضعيف ، وبسبب ذلك لاقى صعوبات ، وتعرض للخطر . فقد وقعت له حادثتان جعلته يعزل نفسه عن القضاء مرتين (٢) .

إحداهما : كانت على أثر حكمه بإسقاط عدالة معين الدين ابن شيخ

(١) راجع : الذيل على الروضتين ص ١٧٢ . والسلوك (١ : ٣٠٨) ، وتند نقل وضوان الندوى من هذين المصدرين أن ذلك كان في (١٠ جمادى الأولى) في كتابه عن العز ص ٤٤ ، وهذا خطأ في النقل ، والصواب ما أثبتته .

(٢) راجع : الذيل على الروضتين ص (١٧٢) .

الشيخ (١) أستاذ دار (٢) الملك لبنائه طبلخانة (٣) على مسجد بمصر كما صرح بذلك ابن السبكي وغيره وهي المرة الأخيرة التي لم يعد العز بعدها إلى القضاء ، وكانت سنة (٦٤٠ هـ) (٤) .

أما المرة الأولى فلم يصرح أحد من المترجمين له متى كانت ، ولعلها كانت على أثر حكمه ببيع أمراء الدولة ، لأنه لما حكم عليهم بذلك غضب نجم الدين ، وقال : هذا ليس من اختصاصه ، فقرر العز الرحيل عن مصر إلى الشام فجهز أمتعته ، وسار فلحق به نجم الدين في الطريق ، وترضاه وطلب منه أن يعود وينفذ ما حكم به ، فعاد ونفذ ما أراد (٥) .

وسأفصل القول في هاتين الحادثتين لأن فيهما إبراز جانب عظيم من شخصية العز ، كما أن لهما أثراً كبيراً في مجتمعه .

بيعه لأمرأ الممالك :

حينما تولى العز القضاء بمصر لاحظ فيه أمراً مخالفاً للشرع ، وهو أن الممالك الذين اشتراهم الملك نجم الدين ودفع ثمنهم من بيت مال المسلمين ، واستعملهم في خدمته وجيشه ، وتصريف أمور الدولة ، يتصرفون بالبيع والشراء ، وتصرفهم هذا باطل شرعاً لأن المملوك لا ينفذ تصرفه ، فأخذ

(١) راجع : السلوك (١ : ٣١٢) وفوات الوفيات للكتبي (١ : ٥٩٥) ، والنجوم الزاهرة (٦ : ٣٥٢) وقد ورد في طبقات الشافعية للسبكي (٨ : ٢١٠) وبدائع الزهور (١ : ٢٧٣) « فخر الدين عثمان » وهو خطأ والصواب ما أثبتته كما في المصادر السابقة ، لأن فخر الدين كان نائباً للملك الكامل والد نجم الدين وكان ملازماً لداره بأمر من نجم الدين بعد إطلاق سراحه من الحبس .

راجع : العز بن عبد السلام لرضوان الندوى ص ١٤٦ .

(٢) أستاذ : كلمة فارسية معربة ، معناها الماهر بصنئته . راجع المغرب من الكلام الأعجمي للحياتي . ووظيفة « أستاذ الدار » أو « الاستادار » . النظر إلى إدارة البيوت السلطانية كلها من المصالح والنفقات والكسوى وما يجرى مجرى ذلك وهو من أمراء المثين . راجع : حسن المحاضرة (٢ : ١٣١) .

(٣) طبلخانة : هي دار الغناء واللهو .

(٤) راجع : رضوان الندوى في كتابه « العز بن عبد السلام » ص ١٤٦ .

(٥) راجع : العز بن عبد السلام لرضوان الندوى ص ٤٥ .

العز لا يمضى لهم بيعاً ولا شراء ، وقد ضايقتهم ذلك وعطل مصالحهم ، فراجعوه في ذلك ، فقال : لا بد من إصلاح أمركم بأن يعقد لكم مجلس فتابعوا فيه ، ويرد ثمنكم إلى بيت مال المسلمين ثم يحصل عتقكم بطريق شرعي فينفذ تصرفكم . فلما سمعوا هذا الحكم ازدادوا غيظاً وقالوا : كيف يبيعنا هذا الشيخ ونحن ملوك الأرض ، ورفعوا الأمر للملك فغضب وقال : هذا ليس من اختصاص الشيخ ولا شأن له به .

فلما علم العز بذلك عزل نفسه عن القضاء وقرر الرحيل من مصر لأنها لا يطبق فيها شرع الله . فحمل أمتعته على حمار ، وأهله على حمار آخر فاتجه إلى الشام فتبعه العلماء والصلحاء والتجار والنساء والصبيان ، فصار الأمر أشبه بمظاهرة ضد الحكومة ، وجاء من همس في أذن الملك الصالح نجم الدين أيوب قائلاً : « متى راح الشيخ ذهب ملكك » فخرج الملك مسرعاً ولحق بالعز وأدركه في الطريق وترضاه ، وطلب منه أن يعود وينفذ حكم الله . فلما رجع العز تيقن المالك أن العز سوف ينفذ فيهم حكم البيع لا محالة ، وفي هذا فضيحة وعار عليهم كيف يباعون وهم ملوك الأرض .

فحاول نائب السلطنة ، وهو الرجل الثاني في الدولة أن يرضى الشيخ لعله يتراجع عن رأيه ، ولكن الشيخ أصر على تنفيذ حكم الشرع ، فازداد الأمراء غضباً ، واتفقوا على التخلص من الشيخ بالقتل ، فذهب إليه نائب السلطنة مع جماعة من الأمراء ، فطرق بابه ، ففتح الباب ابنه عبد اللطيف ، فراحه منظر نائب السلطنة إذ رأى سيفه مسلولا ، والغضب يتطاير من وجهه ، فدخل على والده ، وقال : انج بنفسك إنه القتل فرد عليه الشيخ بقوله : هدي نفسك فأبوك أقل من أن يقتل في سبيل الله . (ثم خرج كأنه قضاء الله قد نزل على نائب السلطنة ، فحين وقع بصره على النائب يبست يد النائب ، وسقط السيف منها ، وأرعدت مفاصله ، فبكى وسأل الشيخ أن يدعو له ، وقال : يا سيدى خبر أيش تعمل ؟ قال أنادى عليكم وأبيعكم ، قال فقيم تصرف ثمننا ؟ قال : في مصالح المسلمين . قال : من يقبضه ؟ قال : أنا . فقم له ما أراد ونادى على الأمراء واحداً واحداً ، وغالى في ثمنهم ، وقبضه .

وصرفه في وجوه الخير . وهذا ما لم يسمع بمثله عن أحد رحمه الله تعالى .
ورضى عنه (١) .

فهذا الموقف العظيم قد خلد ذكر العز ، وأقام مناراً للحق ، وأخضع
الملك والأمراء المتكبرين على الشعب لحكم الله ، وحقق المساواة بين الناس ،
حيث يقف الحاكم والمحكوم سوياً عند شرع الله ، كما أنه درس لكل قاض
في أن يقف موقفاً حاسماً أمام الباطل الذي يمنع تطبيق شرع الله .

حكمه على أستاذ دار الملك :

هذه هي الحادثة الثانية التي واجهت العز في القضاء ، وهي أن معين
الدين بن شيخ الشيوخ أستاذ دار الملك نجم الدين ، أي وزيره ، وكان له
نفوذ وسلطة في الدولة ، قد أمر غلمانه ببناء طبلخانة أي دار للهو والغناء
على أحد المساجد بمصر ، فلما علم العز بذلك ساءه هذا الأمر ، وغضب لله ،
لأن في هذا إهانة لبيت من بيوت الله التي أذن أن ترفع ويذكر فيها اسمه ،
كما أن فيه تشويش على المصلين والدارسين فيه .

فذهب بنفسه وأولاده إلى هذا البناء ، وهدمه وأسقط عدالة الوزير
وعزل نفسه عن القضاء لأنه علم أن الملك والوزير يغضبان لذلك .

وكان لإسقاط عدالة الوزير صدهاء في العالم الإسلامي ، حيث إن الملك
نجم الدين كلف وزيره معين الدين بأن يبلغ رسالة إلى الخليفة العباسي ببغداد ،
فأرسل الوزير رسولا ليبلغها ، فلما بلغها للخليفة سأله من أخبرك بها ؟ قال :
معين الدين ، قال الخليفة : لا نقبلها لأن ابن عبد السلام قد أسقط عدالة
هذا الوزير ، فرجع الرسول وسمع الرسالة من الملك نجم الدين مشافهة ثم
نقلها إلى الخليفة .

ففي هذا دليل على مكانة العز في قلوب الناس ، وتقديرهم له ، واعتمادهم
لأقواله ، لأنه رجل أثر آخرته على دنياه ، وقدم رضا الله على رضا الناس ،

(١) راجع : طبقات الشافعية لابن السبكي (٢١٧ : ٨)

كما أن في موقفه هذا من معين الدين وزير الملك وموضع ثقته ، وأحد الشخصيات البارزة في الدولة — جرأة عظيمة على الوزير ، وتحد للملك الذى سكت عن وزيره يفعل مثل هذا المنكر ، ولم يمنعه ، كما أن فيه تغيير للمنكر باليد الذى لا يقوى عليه إلا أصحاب السلطان والقوة ، ولا شك أن العز بتقواه وزهده وورعه صار له من السلطان والقوة والمهابة ما يستطيع به أن يغير المنكر بيده ، ويجابه الملوك بقول الحق ، ولا يخاف في الله لومة لائم ، لذا نجد تلميذه ابن دقيق العيد قال عنه : « إنه أحد سلاطين العلماء » .

ثانياً — التدريس والإفتاء :

وحينما عزل العز نفسه عن القضاء عظم ذلك على الملك نجم الدين فتلطف به وحاول فيه أن يعود ، ولكن العز كره العود ، وهذه هي المرة الأخيرة التى لم يعد بعدها إلى القضاء وكانت سنة (٦٤٠ هـ) وقد قيل للملك اعزله عن الخطابة وإلا يشنع عليك كما شنع على الملك الصالح إسماعيل ، فعزله عن الخطابة ، وولاه تدريس المذهب الشافعى بالمدرسة الصالحية (١) التى تم بناؤها في هذه الفترة ، وكانت مدرسة كبيرة ، قد خصص فيها مكان لتدريس كل مذهب من المذاهب الأربعة . وظل يدرس بها إلى أن توفى . قال الكتبي : « وأرسل له السلطان ، (الظاهر بيبرس) لما مرض ، وقال عين مناصبك لمن تريد من أولادك فقال : ما فيهم من يصلح ، وهذه المدرسة الصالحية تصلح للقاضى تاج الدين ففوضت إليه » (٢) .

ويدل هذا على نزاهته في الحكم وعدالته وإيثاره لقول الحق على مصلحة أولاده .

وكان يقوم بالإفتاء من حين قدومه إلى مصر حيث امتنع مفتيها ، وزاهاها الحافظ زكى الدين المنذرى عن الفتيا ، وقال : « كنا نفتي قبل حضور الشيخ عز الدين ، وأما بعد حضوره فنصب الفتيا متعين فيه » (٣) .

(١ ، ٢) انظر : « فوات الوفيات » (١ : ٥٩٥) .

(٣) راجع : بدائع الزهور (١ : ٣١٧) وحسن المحاضرة للسيوطي (١ : ٣١٥) .

وهذا دليل على غزارة علم العز وجدارته بذلك وفضله : ولم يكن للإفتاء منصب رسمي ، وإنما يتفرغ له من يرى في نفسه أهلية له أداء لرسالة العلم وخدمة للجمهور .

وقد اشتهر بالفتاوى السديدة في البلاد ، وقصد « بالفتاوى من الآفاق » ويدل على ذلك كتابه « الفتاوى الموصلية » ، وهي أجوبة على تسعين سؤالاً تقدم بها خطيب الموصل شمس الدين عبد الرحيم الطوسي .

وتفرغ العز في هذه الفترة للإفتاء والتدريس . وقد نبغ في علوم متعددة ، وبرز واشتهر بالفقه وأصوله ، وفاق أقرانه حتى قال أكثر مترجميه : إنه بلغ رتبة الاجتهاد ، وقال جمال الدين بن الحاجب - أحد أقرانه - : « ابن عبد السلام أفقه من الغزالي » (١) .

وقد تخرج به طلاب كثيرون من الصعب حصرهم .

منهم شيخ الإسلام ابن دقيق العيد مجدد القرن الثامن ، وتأثر بالعز في علمه وسلوكه ، وكان معجباً به ، وقد لقبه بـ « سلطان العلماء » .

ومنهم جلال الدين الدشناوي ، وكان زاهداً ورعاً وقد انتهت إليه رئاسة المذهب الشافعي بقوص - أحد مدن صعيد مصر - وكان العز معجباً به مع ابن دقيق العيد ، وقد أشاد بهما فقال : « ما أظن في المدينتين مثل هذين الشابين » .

ومن تلاميذه ابنه الشيخ عبد اللطيف ، وكان ملازماً له ، ويعرف مصنفاته معرفة حسنة ، وقد سجل كثيراً من أخباره .

ومن تلاميذه شرف الدين أبو محمد الدمياطي الفقيه المحدث ، وقد خرج للعز أربعين حديثاً عوالى .

ومن تلاميذه شهاب الدين أبو شامة المقدسي المؤرخ الكبير الجامع بين فنون العلم المتعددة ، وقد لازم العز كثيراً ، وسافر معه ، كما أنه سجل كثيراً من أخباره . ومنهم الإمام علاء الدين أبو الحسن الباجي ، كان إماماً في

(١) راجع : طبقات الشافعية لابن السبكي (٨ : ٢١٤) .

الأصلين والمنطق ، وهو أعلم الناس بمذهب الأشعرى . ومنهم العلامة بهاء الدين هبة الله القفطى ، وقد برع فى الفقه ، وانتهت إليه رئاسة المذهب الشافعى بقوص .

هؤلاء من أهم تلاميذ العز الذين تخرجوا عليه وتأثروا بعلمه وسلوكه ، وصاروا أئمة يؤتم بهم ، وسيأتى التعريف بهم ، وبيان أثر العز فيهم فى فصل مستقل .

وفى هذه الفترة — أيضاً — قام العز بتأليف غالب مؤلفاته ، لأنه قد استقر بينا فى الفترة السابقة كان كثير التنقل مشغولاً بوظائف الدولة ، وقد اعترضته صعوبات اشغلته حيناً ، كما أنه فى هذه السن قد اكتمل علمه ونضج واتسع أفقه ، واجتمعت له تجارب كثيرة وقد تفرغ للتدريس ، وهو أكبر عون على التأليف .

وانقضى ملك بنى أيوب ، وجاء بعدهم سلاطين الماليك فأكرموا العز وأحسنوا معاملته ، وكانوا يستشيرونه فى الملهمات ، ويأخذون بمشورته . فكان الظاهر بيبرس لا يخرج عن نصحه . وأقام الخليفة العباسى بمصر بحضرته ومشورته (١) . وتوفى العز فى عهده .

(١) راجع : طبقات الشافعية لابن السبكي (٨ : ٢٤٥) .

وفاته وعمره

وفاته :

بعد عمر مديد ، وحياة حافلة بالأجناد والتضحيات ، والجهاد في سبيل
نصرة الإسلام توفي العز بن عبد السلام في عشرة جمادى الأولى سنة ستين
وسمائة هجرية .

وقد ذكر ابن السبكي عن ولد العز أن وفاة والده في تاسع جمادى الأولى (١)
وذكر في رواية أخرى أنها كانت في عشرة جمادى الأولى (٢) ، وهي ما عليه
عامة المؤرخين .

وهناك رواية ثالثة عن أبي رافع السلامي عن تلميذ العز الحافظ الدمياطي
فيها توفيق بين الروایتين وهي قوله : « وتوفي يوم السبت تاسع جمادى الأولى
(٦٦٠ هـ) ودفن من الغد بسفح المقطم حضرت ذلك » وهي أدق الروايات
وأضبطها إذ توافق رواية ولد العز من جهة ثم تفوقها في التفصيل ، وقد
اشتهر اليوم العاشر لأنه يوم دفن ، وهو يوم مشهود ، وقد ينحى وقت الوفاة
بالضبط على عامة الناس (٣) .

عمره :

وقد اختلف في عمره على روايتين إحداهما أن عمره : اثنان وثمانون
سنة ، والأخرى : ثلاث وثمانون . وهذا الاختلاف راجع إلى الخلاف
في ولادته فن قال : إنه ولد سنة سبع وسبعين وخمسمائة جعل عمره ثلاثاً
وثمانين سنة ، ومن قال : إنه ولد سنة ثمان وسبعين جعل عمره اثنتين وثمانين
سنة .

(١ ، ٢) راجع : المصدر السابق (٨ : ٢٤٥ ، ٢٤٨) .

(٣) راجع : العز بن عبد السلام لرضوان الندوى ص ٥١ .

أما ما ذكره المقرئى من أن عمره اثنتان وستون سنة (١) فهو مخالف لما ذكره عامة المؤرخين ، ولعله خطأ ، أو تحريف من النساخ والله أعلم .
وقد دفن فى آخر القرافة على سفح جبل المقطم من ناحية البركة (٢) .
وقد شهد جنازته ملك مصر والشام الظاهر بيبرس وأجناده ، وقد شارك فى الصلاة عليه وحمل نعشه ودفنه ، كما شهدها خلق كثير من الناس حتى أن الظاهر بيبرس لما رأى كثرتهم قال لبعض خواصه : ما استقر ملكى إلا الآن لأن هذا الشيخ لو كان يقول للناس اخرجوا عليه لانتزع الملك منى (٣) .
كما أنه حزن عليه كثيراً وقال : « لا إله إلا الله ما اتفقت وفاة الشيخ إلا فى دولتى » (٤) .

ولما سمع بموته أهل دمشق حزنوا عليه كثيراً فقد كان شيخهم ومفتيهم ، فأخذوا يترحمون عليه ، ويدعون له ، وصلى عليه فى الجامع الأموى ، وجوامع دمشق الأخرى ، وعمل عزاءه بجامع العقبية .
يقول أبو شامة : « وعمل عزاءه بجامع العقبية (٥) يوم الإثنين ٢٥ جمادى الأولى سنة (٥٦٦٠ هـ) ونادى النصير المؤذن بعد الفراغ من صلاة الجمعة : الصلاة على الفقيه الإمام شيخ الإسلام عز الدين بن عبد السلام » (٦) .
رحمه الله رحمة واسعة ، وأسكنه فسيح جناته ، وجمعنا به فى دار الخلود .

(١) راجع : تاريخه « السلوك » (١ : ٤٧٦) .

(٢) راجع : الذيل على الروضتين ص ٢١٦ .

(٣) راجع : بدائع الزهور (١ : ٣١٨) .

(٤) راجع : طبقات الشافعية لابن السبكي (٨ : ٢٤٥) .

(٥) وقد ورد فى بعض المراجع « بجامع التوبة » والعقبية : اسمه القديم .

(٦) راجع : الذيل على الروضتين ص ٢١٦ .

الفصل الثالث

اتجاهاته الفكرية

لقد نبغ الغز في علوم متعددة ، فترك فيها مؤلفات كثيرة غالبها رسائل صغيرة كما سيأتي بيانه في مؤلفاته . ولكن علمه أكثر من تصانيفه كما قال الياقعي البني : « وهو من الذين قيل فيهم : علمهم أكثر من تصانيفهم ، لا من الذين عبارتهم دون درايتهم . ومرتبته في العلوم الظاهرة مع السابقين في الرعيل الأول » (١) .

وقال الذهبي : « وقرأ الأصول والعربية ودرس وأقنى وصنف ، وبرع في المذهب ، وبلغ رتبة الاجتهاد ، وقصده الطلبة من الآفاق ، وتخرج به أئمة وله التصانيف المفيدة والفتاوى السديدة » (٢) .

وقال ابن العاد الحنبلي ، « وبرع في الفقه والأصول والعربية ، وفاق الأقران والأضراب ، وجمع بين فنون العلم من التفسير والحديث والفقه ، واختلاف أقوال الناس وآنأخذهم ، وبلغ رتبة الاجتهاد ، ورحل إليه الطلبة من سائر البلاد » (٣) .

وكان يعرف قدر نفسه وسعة علمه ، لذا لما وقع الخلاف بينه وبين الملك الصالح إسماعيل ، فرحل عن دمشق ، ومز بالكرك تلقاه سلطانها وسأله الإقامة عنده ، فقال : هذه قليلة على علمي ، وقصدي نشره (٤) .

وقال ابن السبكي هو « شيخ الإسلام والمسلمين ، وأحد الأئمة الأعلام ، سلطان العلماء ، إمام عصره بلا مدافعة ، القائم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في زمانه . المطلع على حقائق الشريعة وغوامضها ، العارف بمقاصدها ،

(١) راجع : الغز بن عبد السلام للدكتور الندوى ص ٥٨ .

(٢) راجع : النجوم الزاهرة (٧ : ٢٠٨) .

(٣) راجع : كتابه « شذرات الذهب » (٥ : ٣٠١) .

(٤) راجع : طبقات الأئمة (٢ : ١٩٨) وطبقات المفسرين للداودي (١ : ٣١٠) .

لم ير مثل نفسه ولا رأى من رآه مثله علماً وورعاً وقياماً في الحق وشجاعة وقوة
جنان وسلاطة لسان» (١) .

هذا بعض ما قيل في علمه وفضله ونبوغه .

وسوف يبرز هذا الفصل اتجاهاته الفكرية في العلوم التي ألف فيها لبيان
مكانته العلمية ، ومدى نبوغه وإدراكه وبعد نظره كآلاتي :

١ - اتجاهاته الفكرية في التفسير وعلومه .

٢ - اتجاهاته الفكرية في الحديث .

٣ - اتجاهاته الفكرية في العقيدة .

٤ - اتجاهاته الفكرية في الفقه وأصوله .

٥ - اتجاهاته الفكرية في التصوف .

(١) راجع كتابه « طبقات الشافعية » (٨ : ٢٠٩) .

اتجاهاته الفكرية في التفسير وعلومه

ذكرت كتب التراجم أنه أول من ألقى التفسير دروساً في مصر (١) .
فيظهر من هذا أن تدريس التفسير توقف فترة من الزمن بمصر واقتصر فيه
على التأليف ، فأعاد العز تدريسه ، فكان أول من ألقاه دروساً بجانب العلوم
الأخرى .

وقد ترك لنا العز ثروة عظيمة في التفسير احتوتها مؤلفاته المتنوعة في
التفسير وعلومه . فله تفسير كامل للقرآن الكريم . كما قام باختصار تفسير
المواردى : « النكت والعيون » وألف في مجاز القرآن كتابه « الإشارة إلى
الإيجاز في بعض أنواع المجاز » أبرز فيه ما اشتمل عليه كتاب الله من فنون
البيان والمعاني ، وحقق ما فيه من إعجاز لم يستطع العرب الفصحاء أن يأتوا
بمثله رغم ما كانوا يجيدون من فنون القول .

كما ألف في متشابه القرآن كتابه « فوائد في مشكل القرآن » أجاب فيه على
إشكالات قد ترد على بعض الآيات . وجل هذه الاستشكالات لغوية
أو نحوية أو بلاغية .

والدارس لمؤلفات العز في التفسير وعلومه يلحظ تضلعه في اللغة وتمكنه
من علم المعاني والبيان وسعة علمه بذلك لذا غنى بالمعاني البيانية واللغوية ،
وقد يستطرد فيذكر أصول الكلمات اللغوية ، ويستشهد عليها بالشعر . فهو
يرى أن تفسير القرآن يتوقف على معرفة اللغة ، وقد أوضح ذلك في كتابه
« الإشارة إلى الإيجاز » فقال (ص ٢٧٩) : « وتوقف معرفة القرآن على
معرفة اللغة والإعراب . »

قال ابن عباس : إذا أشكل عليكم شيء من القرآن فالتمسوه في الشعر

(١) راجع : حسن المحاضرة للسيوطي (١ : ٣١٥) وطبقات الأسنوي (٢ : ١٩٩) .

فإنه ديوان العرب ، فما كان موجباً للعمل جاز أن يستدل عليه بالآحاد والبيت والبيتين من الشعر ، وما كان موجباً للعلم فلا يستدل عليه بمثل ذلك » .

ويرى أن فهم معنى اللفظ ينقسم إلى ثلاثة أقسام ، قال في المصدر السابق ص ٢٧٦ : « واعلم أن للتفسير أحكاماً وضروباً ، فمن ذلك فهم معنى اللفظ ، وهو منقسم إلى ثلاثة أقسام . أحدها : ما يعرفه العامة والخاصة كالأرض والسماء والجبال والرجال والأشجار والأمطار . القسم الثاني : ما يعرفه معظم الخاصة كالمعاد والملاذ . القسم الثالث : ما يعرفه القليل من الخاصة كالرفرف والصفصف » .

ويرى أن اللفظ الذى يتردد بين محملين له حالات فيحمل على أحد محمله باعتبار هذه الحالات . وقد فصل القول فى ذلك فى المصدر السابق فقال : « ومن ضروب التفسير ما يتردد بين محملين أحدهما أظهر عند النزول فيرجع إلى الصحابة والتابعين ويحمل على ظاهره حينئذ ، ومنه ما يحمل على أخفى محمله للدليل يقوم عليه . ومنه ما يتساوى فيه الأمران ، فيخص أحدهما بالسبب الذى نزل لأجله . ومنه ما يتساوى من غير ترجيح عندنا ، وهو راجح فى نفس الأمر ، لأن الرسول عليه السلام قد بين للناس ما نزل إليهم ، فبعض المتأخرين يحمله على جميع محامله ، والوقف أولى به » اهـ .

وإذا تردد اللفظ بين محامل كثيرة فيرى أن أولاهما ما دل عليه الكتاب فى موضع آخر ، أو السنة أو سياق الكلام . فقال فى بيان ذلك فى المصدر السابق ص ٢٧٧ : « وقد يتردد بين محامل كثيرة يتساوى بعضها مع بعض (١) ويترجح بعضها على بعض ، وأولى الأقوال ما دل عليه الكتاب فى موضع آخر ، أو السنة أو إجماع الأمة أو سياق الكلام وإذا احتمل الكلام معنيين وكان حمله على أحدهما أوضح وأشد موافقة للسياق كان الحمل عليه أولى . وقد يقدر بعض النحاة ما يقتضيه علم النحو لكن يمنع منه أدلة شرعية فيترك ذلك التقدير ، ويقدر تقدير آخر يليق بالشرع . وقد يعبر النحاة والمفسرون وغيرهم بالعام ويريدون به الخاص فيجهله كثير من الناس » .

(١) لعل « الواو » بمعنى « أو » أو لعله يريد أن التساوى فى نفس الأمر والترجح ببعض المرجحات الخارجية .

ثم قال : « وعلى الجملة فالقاعدة في ذلك أن يحمل القرآن على أصح المعاني وأفصح الأقوال ، فلا يحمل على معنى ضعيف ولا على لفظ ركيك ، وكذلك لا يقدر فيه من المحذوفات إلا أحسنها وأشدّها موافقة وملائمة للسياق .

وإذا كان للاسم الواحد معاني ، كالعزيز بمعنى القاهر ، وبمعنى الممتنع ، وبمعنى الذى لا نظير له حمل في كل موضع على ما يقتضيه ذلك السياق ، كيلا يتبتر الكلام وينخرم النظام » .

وقال في اتحاد معنى القراءتين أو اختلافه : « وإذا اتحد معنى القراءتين كالسراط والصراط فهذا ظاهر . وإن اختلف معناهما وجب القطع بأنهما مرادتان مثال ذلك قوله : ﴿ ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون ﴾ و ﴿ يكذبون ﴾ ، [البقرة : ١٠] أخبر بأنهم يعذبون بالتكذيب والكذب ، وهذا اختصار في صورة الخط دون اللفظ » .

وذكر ضروباً أخرى من ضروب التفسير وأحكامه فقال في المصدر السابق ص ٢٧٧ : « ومن ضروب التفسير وأحكامه بيان كون اللفظ حقيقة أو مجازاً . ومنه بيان رجحان إحدى الحقيقتين على الأخرى . ومنه بيان رجحان أحد المجازين على الآخر . ومنه بيان ترجيح الحقيقة على المجاز ومنه بيان ترجيح ما يناسب الكلام ويطابقه على ما ليس كذلك . ومنه ترجيح بعض الأعراب على بعض . ومنه بيان التقديم والتأخير ، ومنه بيان مظان الإطالة ومنه بيان مظان الاختصار الخ .

ويرى أن من محاسن التفسير بيان صلة الآيات بما قبلها إلا إن وقعت على أسباب مختلفة . فقال في تفصيل ذلك في المصدر السابق ص ٢٧٨ : « واعلم أن من الفوائد أن من محاسن الكلام أن يرتبط بعضه ببعض ، ويتشبه بعضه ببعض لئلا يكون مقطعاً متبرأ . وهذا بشرط أن يقع الكلام في أمر متحد فيرتبط أوله بآخره ، فإن وقع على أسباب مختلفة لم يشترط فيه ارتباط أحد الكلامين بالآخر ، ومن ربط ذلك فهو متكلف لما لم يقدر عليه إلا بربط ركيك يصابن عن مثله حسن الحديث فضلاً عن أحسنه ، فإن القرآن نزل على الرسول - عليه السلام - في نيف وعشرين سنة في أحكام مختلفة

شرعت لأسباب مختلفة غير مؤتلفة ، وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض إذ ليس يحسن أن يرتبط تصرف الإله في خلقه وأحكامه بعضه ببعض مع اختلاف العلل والأسباب ، ولذلك أمثلة . أحدها : أن الملوك يتصرفون في مدة ملكهم بتصرفات مختلفة متضادة ، وليس لأحد أن يرتبط بعض ذلك ببعض .

ثم ذكر ثلاثة أمثلة أخرى لتقرير ما ذهب إليه .

وفي قوله هذا نظر فإن ترتيب الآيات في سورها مع اختلاف زمن النزول وأسبابه هو من أسرار إعجاز القرآن لأن الذي رتبته قد أحاط بكل شيء علما ، وجعل من الحكم والأسرار في هذا الترتيب ما يؤدي إلى تناسق الآيات وانسجامها وإن خفيت الحكمة في بعض الأحيان فليس معنى هذا عدم وجودها .

أما تمثيله بتصرف الملوك بحسب اختلاف الظروف والعلل فهذا تمثيل مع الفارق لقصور علمهم وتجدد جزئيات العلم بحسب ما يجد من المصالح ، أما القرآن فهو تنزيل من الذي يعلم السر وأخفى (أملاه شيخى فضيلة الدكتور أحمد السيد الكوى) .

هذا وهناك ضروب أخرى للتفسير ، وقواعد للترجيح ذكرها في الفصول التي ختم بها كتابه « الإشارة إلى الإيجاز » من ص (٢٥٩) إلى آخر الكتاب . تركت لإيرادها خشية الإطالة . وكلها تدل على سعة علم العز بالتفسير وتمكنه منه وبعد نظره فيه . والذي أعانه على ذلك تمكنه من اللغة وعلم المعاني والأصول .

ولكن يلاحظ عليه أنه لم يطبق قواعد الترجيح التي سبق ذكرها في تفسيره . فاكثرت بسرد أقوال المفسرين ، وبيان المعاني التي يحتملها اللفظ دون ترجيح إلا في حالات قليلة كما سيأتى تفصيله في الباب الخاص بدراسة تفسيره .

اتجاهاته الفكرية في الحديث

سبق في الكلام عن طلبه للعلم أنه سمع الحديث من الحافظ أبي محمد القاسم ابن عساكر وشيخ الشيوخ عبد اللطيف بن إسماعيل بن أبي سعد البغدادي ، وأنه سافر إلى بغداد لسماع الحديث عن أبي حفص عمر بن طبرزد وحنبل الرصافي ، ولم يمكث بها طويلا .

وذكر ابن السبكي - نقلا عن والده - أن العز كان يسمع الحديث قليلا بدمشق فلما دخل القاهرة بطل ذلك وصار يحضر مجلس الشيخ الحافظ زكي الدين عبد العظيم المنذرى ويسمع عليه في جملة من يسمع ولا يُسمع .

وأن الشيخ زكي الدين - أيضاً - ترك الفتيا ، وقال : حيث دخل الشيخ عز الدين لا حاجة بالناس إلى (١) . فهو يرى أن العز أولى منه بالإفتاء ، كما أن العز ترك أسماع الحديث لأنه يرى أن الشيخ زكي الدين أولى منه بذلك .

فهو لم يبرز في الحديث كما برز في الفقه وأصوله ولم يترك آثاراً في الحديث اللهم إلا ما ذكره ابن السبكي من أن له « اختصار صحيح مسلم » ، ولم يشر أحد من المترجمين له إلى مكان وجوده في مكتبات العالم ، ولعله من الكتب التي نسبت إليه . ومما يؤنس به في هذا الصدد أني اطلعت في مكتبة الفاتح باستنبول على رسالة صغيرة للعز في شرح حديث أم زرع الذي روته أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - مضافة إلى آخر « اختصار صحيح مسلم » للحافظ المنذرى المعاصر للعز . فلعل ابن السبكي اطلع على هذه الرسالة ضمن هذا المجلد فاشتبه عليه الأمر فنسبه كله إلى العز والله أعلم .

وللعز رسالة أخرى في شرح حديث « لا ضرر ولا ضرار » وهاتان الرسالتان تدلان على تمكنه من اللغة لا الحديث (٢) .

(١) راجع : طبقات ابن السبكي (٨ : ٢١١ ، ٢٦١) .

(٢) راجع : النص الذي نقلته من رسالته في شرح حديث أم زرع في مؤلفاته في الحديث .

لذا نجد أنه يذكر أحاديث ضعيفة أو موضوعة في تفسيره ولا ينبه على ذلك ، ويرفع أحاديث موقفه ، ويعكس ذلك أيضاً ، ولا يعزو الأحاديث إلى من أخرجها كما سيأتي بيانه في دراسة تفسيره . بينما في كتابه « قواعد الأحكام » عزا بعض الأحاديث التي استدل بها إلى من أخرجها ، وترك بعضها بدون عزو وسيأتي أمثلة على ذلك في الدراسة المختصرة لهذا الكتاب . وفي رسالته الترغيب عن صلاة الرغائب – رد الحديث الوارد فيها وقال : إنه موضوع . وقد خرج له تلميذه الحافظ الدمياطي أربعين حديثاً عوالى (١) .

مما سبق يتضح أن العز ليس في مصاف المحدثين الذين لهم دراية واسعة بعلم الجرح والتعديل ، ولهم خبرة بالأسانيد فيذكرون سند الحديث ويتكلمون عن رجاله واحداً واحداً ، ويذكرون ما قيل فيهم من الجرح والتعديل .

(١) راجع : فوات الوفيات (١ : ٥٩٤) .

اتجاهاته الفكرية في العقيدة

العز على مذهب أبي الحسن الأشعري في الاعتقاد ، وقد أبان ذلك في عقيدته المسماة « ملحة الاعتقاد » التي أرسلها إلى الملك الأشرف حينما وقع الخلاف بينهما في مسألة كلام الله تعالى .

وقد ذكرها ابن السبكي في طبقاته (٨ : ٢١٩ - ٢٣٥) في ترجمة العز نقلاً عن ولده الشيخ عبد اللطيف .

وسأذكر منها بعض المسائل لإيضاح اتجاه العز الفكري في العقيدة كالآتي :

قال في أولها : « الحمد لله ذي العزة والجلال ، والقدرة والكمال ، والإنعام والإفضال ، الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد ، ليس بجسم مصور ولا جوهر محدود مقدر ولا يشبه شيئاً ، ولا يشبه شيء ، ولا تحيط به الجهات ، ولا تكتنفه الأرضون ولا السموات .

كان قبل أن كوّن المكان ، ودبر الزمان ، وهو الآن على ما عليه كان ، خلق الخلق وأعمالهم ، وقدر أرزاقهم وآجالهم فكل نعمة منه فهي فضل ، وكل نعمة منه فهي عدل ﴿ لا يُسأل عما يفعل وهم يسألون ﴾ ، [الأنبياء : ٢٣] .

استوى على العرش المجيد على الوجه الذي قاله ، وبالمعنى الذي أراده ، استواء منزهاً عن المماساة والاستقرار والتمكن والحلول والانتقال ، فتعالى والله الكبير المتعال عما يقوله أهل الغي والضلال ، بل لا يحمله العرش بل العرش وحملته محملون بلطف قدرته ، مقهورون في قبضته أحاط بكل شيء علماً ، وأحصى كل شيء عدداً مطلع على هواجس الضمائر ، وحركات الخواطر حتى مرید سمیع بصیر علیم قدير متكلم بكلام قديم أزلي ليس بحرف ولا صوت .

ويرد على من ذهب إلى أن الله متكلم بصوت وحرف بقوله : « ولا يتصور في كلامه أن ينقلب مدداً في الألواح والأوراق شكلاً ترمقه العيون والأحداق ،

كما زعم أهل الحشو والنفاق ، بل الكتابة من أفعال العباد ، ولا يتصور في أفعالهم أن تكون قديمة ، ويجب احترامها لدلالاتها على كلامه ، كما يجب احترام أسمائه لدلالاتها على ذاته ، وحق لما دل عليه وانتسب إليه أن يعتقد عظمته وترعى حرمة ، ولذلك يجب احترام الكعبة والأنبياء والعباد والصلحاء .

أمرٌ على الديار ديار ليلي أقبل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حب الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديارا

ولمثل ذلك يقبل الحجر الأسود ، ويحرم على المحدث أن يمس المصحف أسطره وحواشيه التي لا كتاب فيها وجلده وخريطته التي هو فيها . فويل لمن زعم أن كلام الله القديم شيء من ألفاظ العباد ، أو رسم من أشكال المداد .

ثم قال بعد ذلك : « واعتقاد الأشعري - رحمه الله - مشتمل على ما دلت عليه أسماء الله التسعة والتسعون ، التي سمي بها نفسه في كتابه وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسماءه مندرجة في أربع كلمات ، هن الباقيات الصالحات » ... الخ .

ثم قال بعد تفصيل الكلام على الباقيات الصالحات : « فهذا إجمال من اعتقاد الأشعري - رحمه الله تعالى - واعتقاد السلف ، وأهل الطريقة والحقيقة . نسبته إلى التفصيل الواضح كنسبة القطرة إلى البحر الطافح .

يعرفه الباحث من جنسه وسائر الناس له منكر

غيره :

لقد ظهرت فلا تحق على أحد الا على أكمه لا يعرف القمر»

ويدافع عن الأشعري في مسألة أن المسبب هو الخالق لا السبب ، فيقول : « والعجب أنهم يذمون الأشعري بقوله : إن الخبز لا يشبع ، والماء لا يروى والنار لا تحرق ، وهذا كلام أنزل الله معناه في كتابه ، فإن الشيع والري والإحراق حوادث انفرد الرب بخلقها ، فلم يخلق الخبز الشيع ، ولم يخلق الماء الري ، ولم يخلق النار الإحراق ، وإن كانت أسباباً في ذلك .

فالمخالق هو المسبب دون السبب كما قال تعالى : ﴿ وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ﴾ ، [الأنفال : ١٧] نبي أن يكون رسوله خالقاً للرمي وإن كان سبباً فيه وقد قال تعالى : ﴿ وأنه هو أضحكك وأبكى . وأنه هو أمات وأحيا ﴾ ، [النجم : ٤٣ ، ٤٤] فاقتطع الإضحاك والإبكاء والإماتة والإحياء عن أسبابها وأضافها إليه ، فكذلك اقتطع الأشعرى رحمه الله الشيع والرى والإحراق عن أسبابها وأضافها إلى خالقها لقوله تعالى : ﴿ خالق كل شيء ﴾ ، [الأنعام : ١٠٢] وقوله ﴿ هل من خالق غير الله ﴾ ، [فاطر : ٣] ، ﴿ بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله ﴾ ، [يونس : ٣٩] ، ﴿ أكذبتكم آياتي ولم تحيطوا بها علماً أما إذا كنتم تعملون ﴾ ، [النمل : ٨٤] .

وكم من عائب قولاً صحيحاً وآفته من الفهم السقيم

ويرى أن لازم المذهب ليس بمذهب فيقول : « فإن قيل يلزم من الاختلاف في كونه سبحانه في جهة أن يكون حادثاً ، قلنا لازم المذهب ليس بمذهب ، لأن المجسمة جازمون بأنه في جهة ، وجازمون بأنه قديم أزلي ليس بمحدث فلا يجوز أن ينسب إلى مذهب من يصرح بخلافه ، وإن كان لازماً من قوله » (١) .

ويرى كفر من قال : بالحللول ، أما من قال : بالجهة فيرى أنه معفو عنه لأن ذلك مما ابتلى الناس به . قال : « ومن زعم أن الإله يحل في شيء من أجساد الناس ، أو غيرهم فهو كافر ، لأن الشرع إنما عفا عن المجسمة لغلبة التجسيم على الناس فإنهم لا يفهمون موجوداً في غير جهة بخلاف الحللول فإنه لا يعم الابتلاء به ، ولا يخطر على قلب عاقل ، ولا يعنى عنه » (٢) .

ويرى أن النبوة أفضل من الإرسال فيقول : « إن قيل أيهما أفضل النبوة أم الإرسال ، فنقول النبوة أفضل ، لأن النبوة إخبار عما يستحقه الرب من صفات الجمال ونعوت الكمال ، وهي متعلقة بالله من طرفيها . والإرسال دونها أمر بالإبلاغ إلى العباد ، فهو متعلق بالله من أحد طرفيه ، وبالعباد من الطرف الآخر .

(١) راجع : كتابه « قواعد الأحكام » (١ : ٢٠٣) .

(٢) راجع المصدر السابق (١ : ٢٠٢) .

ولاشك أن ما يتعلق من طرفيه أفضل مما يتعلق به من أحد طرفيه والنبوة سابقة على الإرسال ، فإن قول الله لموسى : ﴿ إني أنا رب العالمين ﴾ ، [القصص : ٣٠] مقدم على قوله : ﴿ اذهب إلى فرعون إنه طغى ﴾ ، [طه : ٢٤] فجميع ما تحدث به قبل قوله : ﴿ اذهب إلى فرعون ﴾ نبوة ، وما أمره بعد ذلك من التبليغ فهو إرسال .

والحاصل أن النبوة راجعة إلى التعريف بالإله وبما يجب له ، والإرسال إلى أمر الرسول بأن يبلغ عنه إلى عباده ، أو إلى بعض عباده ما أوجبه عليهم من معرفته وطاعته واجتناب معصيته . وكذلك الرسول عليه السلام لما قال له جبريل : ﴿ اقرأ باسم ربك الذى خلق ﴾ إلى قوله : ﴿ إلى ربك الرجعى ﴾ [العلق : ١ - ٨] كان هذا نبوة ، وكان ابتداء الرسالة حين جاء جبريل : ﴿ يا أيها المدثر قم فأأنذر ﴾ ، [المدثر : ١] (١) .

يلاحظ مما سبق أن تفضيل العز للنبوة على الرسالة بالنظر إلى كل واحدة منهما على حدة . وليس معنى هذا أن النبي أفضل من الرسول ، لأن كل رسول نبي وليس كل نبي رسول ، فالرسول أفضل من النبي ، لأنه قد اتصف بمعنى زائد عليه وهو الرسالة مع اشتراكه معه في النبوة إذ لا يتصور الاتصاف بالرسالة بدون النبوة ، لأن الرسالة صفة آتية بعد النبوة كما قرره العز آنفاً .

(١) راجع : المصدر السابق (٢ : ٢٣٦) .

اتجاهاته الفكرية في الفقه وأصوله

الناظر في مؤلفات العز يجد أنه ترك ثروة عظيمة في الفقه وأصوله ، تدل على سعة علمه ، وبعد نظره ، ودقة ملاحظته ، وكثرة إطلاعه ، كما أن تطبيقه العملي للأحكام الفقهية حيث تولى منصب القضاء وحكم بين الناس وأفاتهم ، ودرس الطلاب - ساعد على تبحره في هذا الفن وتضلعه فيه ، وأحاطته بمسائله ، فاشتهر بالفقه وبرز فيه ، وانتهت إليه رئاسة المذهب الشافعي ، وقال عنه أكثر مترجميه : إنه بلغ رتبة الاجتهاد ، وقال ابن الحاجب : إنه أفقه من الغزالي (١) ، وقال أبو الحسن الشاذلي : قيل لى : « ما على وجه الأرض مجلس فى الفقه أبهى من مجلس الشيخ عز الدين بن عبد السلام (٢) » وقد تخرج عليه جلة من فقهاء الأمة كابن دقيق العيد مجدد القرن الثامن .

ويتميز العز فى فقهه بحريته الفكرية كما قال السيوطى : « ثم كان فى آخر عمره لا يتقيد بالمذهب بل اتسع نطاقه وأفتى بما أدى إليه اجتهاده » (٣) اهـ .

فهو يقف مع الدليل ، ويفتى بما ترجح له ولو خالف مذهبه الشافعى ومن المسائل التى خالف فيها المذهب ما يلى :

المسألة الأولى : فى القذف :

قال العز : « إذا قال الرجل : أنت أزنى الناس ، أو قال : أنت أزنى من زيد . فظاهر هذا اللفظ أن زناه أكثر من زنا زيد ، وأكثر من زنا سائر الناس . وقال الشافعى : لا حد عليه حتى يقول : أنت أزنى زناة الناس ، وفلان زان وأنت أزنى منه .

وفى هذا بعد من جهة أن المجاز قد غلب على هذا اللفظ فيقال : فلان أشجع الناس ، وأسخى الناس ، وأعلم الناس ، وأحسن الناس ، والناس كلهم

(١ ، ٢) راجع : طبقات الشافعية لابن السبكي (٨ : ٢١٤) .

(٣) راجع : كتابه « حسن المحاضرة » (١ : ٣١٥) .

يفهمون من هذا اللفظ أنه أشجع شجعان الناس ، وأسخى أخصياء الناس ، وأعلم علماء الناس ، وأحسن حسان الناس . والتعبير الذى وجب الحد لأجله حاصل بهذا اللفظ فوق حصوله بقوله : أنت زان « (١) .

المسألة الثانية : فى الحلف :

قال العز : « إن القرآن يطلق على الألفاظ المتداولة الدالة على الكلام القديم ، ويطلق على الكلام القديم الذى هو مدلول الألفاظ . واستعماله فى الألفاظ أظهر وأغلب من استعماله فى مدلولها . فإذا حلف بالقرآن فقد حملة أبو حنيفة على الألفاظ فلم يحكم بانعقاد يمينه .

وحمله الشافعى ومالك على الكلام القديم ، وهو خلاف الظاهر من استعمال اللفظ . وأبعد من ذلك تَحْنِثُ الحالف بالمصحف ، إذا خالف موجب يمينه « (٢)

المسألة الثالثة : فى تقليد الحاكم لمجتهد آخر :

قال العز : « اختلف العلماء فى تقليد الحاكم لمجتهد آخر فأجازوه بعضهم لأن الظاهر من المجتهدين أنهم أصابوا الحق فلا فرق بين مجتهد ومجتهد ، فإذا جاز للمجتهد أن يعتمد على ظنه المستفاد من الشرع فلم لا يجوز له الاعتماد على ظن المجتهد المعتمد على أدلة الشرع ولا سيما إذا كان المقلد أنبل وأفضل فى معرفة الأدلة الشرعية . ومنعه الشافعى وغيره ، وقالوا ثقة بما يجده من نفسه من الظن المستفاد من أدلة الشرع أقوى مما يستفاده من غيره ولا سيما إن كان هو أفضل الجماعة . وخير أبو حنيفة فى تقليد من شاء من المجتهدين لأن كل واحد منهم على حق وصواب . وهذا ظاهر متجه إذا قلنا كل مجتهد مصيب « (٣) .

ونجده يذم الفقهاء المقلدين الذين يقف أحدهم على ضعف مأخذ إمامه ومع هذا يقلده ويتأول له فيقول منبأ على عجز هؤلاء داعياً إلى ترك البحث معهم : « ومن العجب العجيب أن الفقهاء المقلدين يقف أحدهم على ضعف

(١ ، ٢) راجع : كتابه « قواعد الأحكام » (٢ : ١٢٤) .

(٣) راجع : المصدر السابق (٢ : ١٦٠) .

مأخذ إمامه بحيث لا يجد لضعفه مدفعاً ومع هذا يقلده فيه ، ويترك من الكتاب والسنة والأقيسة الصحيحة لمذهبه جموداً على تقليد إمامه ، بل يتحلل لدفع ظواهر الكتاب والسنة ويتأولها بالتأويلات البعيدة الباطلة نضالاً عن مقلده ، وقد رأيناهم يجتمعون في المجالس فإذا ذكر لأحدهم في خلاف ما وطن نفسه عليه تعجب غاية التعجب من استرواح إلى دليل بل لما ألفه من تقليد إمامه حتى ظن أن الحق منحصر في مذهب إمامه أولى من تعجبه من مذهب غيره . فالبحث مع هؤلاء ضائع مفضى إلى التقاطع والتدابير من غير فائدة يجديها ، وما رأيت أحداً يرجع عن مذهب إمامه إذا ظهر له الحق في غيره بل يصبر عليه مع علمه بضعفه وبعده ، فالأولى ترك البحث مع هؤلاء الذين إذا عجز أحدهم عن تمشية مذهب إمامه قال : لعل إمامي وقف على دليل لم أقف عليه ولم أهتد إليه ، ولم يعلم المسكين أن هذا مقابل بمثله ، ويفضل لخصمه ما ذكره من الدليل الواضح والبرهان اللائح . فسبحان الله ما أكثر من أعمى التقليد بصره حتى حمله على مثل ما ذكر . وفقنا الله لاتباع الحق أينما كان وعلى لسان من ظهر ، وأين هذا من مناظرة السلف ومشاورتهم في الأحكام ومسارعتهم إلى اتباع الحق إذا ظهر على لسان الخصم ، وقد نقل عن الشافعي رحمه الله أنه قال : ما ناظرت أحداً إلا قلت اللهم أجر الحق على قلبه ولسانه ، فإن كان الحق معي اتبعني ، وإن كان الحق معه اتبعته » (١) .

ومن الأمور التي امتاز بها العز في فقهه نظراته الواقعية إلى القضايا .
ومن أمثلة ذلك ما يلي :

المثال الأول : في ادعاء السوقة على الحاكم :

قال العز : « لو ادعى السوقة على الخليفة ، أو على عظيم من الملوك أنه استأجره ، لكنس داره وسياسة دوابه . فإن الشافعي يقبله . وهذا في غاية البعد ومخالفة الظاهر وخالف بعض أصحابه في ذلك وخلافه متجه لظهور كذب المدعى » (٢) .

(١) راجع : المصدر السابق (٢ : ١٥٩) .

(٢) راجع : المصدر السابق (٢ : ١٢٥) .

المثال الثاني : في عموم الحرام الأرض :

قال العز : « لو عم الحرام الأرض بحيث لا يوجد فيها حلال جاز أن يستعمل من ذلك ما تدعو إليه الحاجة ، ولا يقف تحليل ذلك على الضرورات لأنه لو وقف عليها لأدى إلى ضعف العباد واستيلاء أهل الكفر والعناد على بلاد الإسلام ، ولانقطع الناس عن الحرف والصنائع والأسباب التي تقوم بمصالح الأنام » (١) .

ومن الأمور البارزة في فقهه عنايته بتعليل الأحكام وسهولة عبارته ووضوحها وخلوها من تعقيدات الفقهاء . ولذلك أمثلة كثيرة أكتفى بما يلي :

المثال الأول : في السرقة :

قال العز : « فإن قيل : كيف تقطع يد ديتها خمسون من الإبل ، أو خمسين دينار بربع دينار ، أو بعشرة دراهم كما قال أبو حنيفة رحمه الله ؟

قلنا : ليس الزجر عما أخذ ، وإنما الزجر عن تكرير مالا يتناهى من السرقة المفوتة للأموال الكثيرة التي لا ضابط لها ، ، ولو شرط الشرع في نصاب السرقة مالا خطيراً لضاعت أموال الفقراء الناقصة عن نصاب الخطير ، وفي ذلك مفسدة عامة للفقراء » (٢) .

المثال الثاني : في اللعان :

قال العز : « فإن قيل : كيف جوز الشرع اللعان من الجانين مع العلم بأن أحدهما كاذب في إيمانه ولعانه ؟

قلنا : إنما جوز ذلك ، لأن مع كل واحد منهما ظاهر يقتضى تصديقه ، فإن الظاهر من حال الزوج الصدق في قذفها إذ الغالب أن الأزواج لا يقذفون أزواجهم والظاهر من حال المرأة الصدق لأن الأصل عدم زناها » (٣) .

(١) راجع : المصدر السابق (٢ : ١٨٨) .

(٢) راجع : المصدر السابق (١ : ١٩٣) .

(٣) راجع : المصدر السابق (٢ : ٥٩) .

وقد خلف لنا العز كتباً قليلة في أصول الفقه ، ورغم قلتها فهي قيمة وجليلة تدل على طول باعه في علم الأصول ، وبعد نظره ودقة فهمه . ويدل على ذلك كتابه « قواعد الأحكام في مصالح الأنام » حيث رجع الفقه كله إلى قاعدة كلية ، هي جلب المصالح ودرء المفاسد ، فعبر بالمصلحة عن الخير ، وبالمفسدة عن الشر ، وقرر في كتابه أن الشريعة حثت على الخير كله دقه وجله ونهت عن الشر كله دقه وجله ﴿ فن يعمل مثقال ذرة خيراً يره . ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴾ ، [الزلزلة : ٧ ، ٨] وطبق هذه القاعدة على جميع قضايا الفقه ومسائله بأسلوب واضح خالي من تعقيدات الفقهاء .

ومن مباحثه الأصولية النفيسة في هذا الكتاب - بحثه في بناء معظم أحكام الشرع على الظنون المعتمدة شرعاً حيث قال [٢ : ٦٠] : « وإنما عمل بالظنون في موارد الشرع ومصادره ، لأن كذب الظنون نادر وصدقها غالب . فلو ترك العمل بها خوفاً من وقوع نادر كذبها لتعطلت مصالح كثيرة غالبية خوفاً من وقوع مفسد قليلة نادرة . وذلك على خلاف حكمة الإله الذي شرع الشرائع لأجلها .

ولقد هدى الله أولى الألباب إلى مثل هذا قبل تنزيل الكتاب فإن معظم تصرفهم في متاجرهم وصنائعهم وإقامتهم وأسفارهم وسائر تقلباتهم مبنى على أغلب المصالح مع تجويز أندر المفاسد ، فإن المسافر مع تجويزه لتلفه وتلف ماله في السفر يبتنى سفره على السلامة الغالبة في ذلك ، وإن كان عطب نفسه وماله نادراً لغلبة السلامة عليه ، ونادرة الهلاك بالنسبة إليه . ولو قعد المرء في بيته مهملاً لمصالح دينه ودنياه خوفاً من أنه لو خرج لكدمه بعير أو رفسه بغل أو ندسه حمار أو قتله جبار مع ندرة هذه الأسباب لألحقه العقلاء بالحتمي والنوكي^(١) والمجانين . ولو كان له جبار يطلبه أو عدو يرهبه ،

(١) النوكى جمع أنوك ، وهو الأحق ، راجع اللسان « نوك » .

أو كلب عقور يقصده ليعضه فخرج على هؤلاء مغرراً بنفسه لعدده العقلاء من الحمقى والنوكى وللامته الشرائع » الخ .

ثم قال : « وإنما ذم الله العمل بالظن في كل موضع يشترط فيه العلم ، أو الاعتقاد الجازم ، كعرفة الإله ومعرفة صفاته ، والفرق بينهما ظاهر .
والحاصل أن معظم مصالح الذنوب والواجبات والمباح مبنى على الظنون المضبوطة بالضوابط الشرعية » الخ .

ثم قال : « فإن قيل ماذا تقولون في قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم ﴾ ، [الحجرات : ١٢] وفي قوله عليه السلام : « إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث » ؟ .

قلنا : أما الآية فلم ينه فيها عن كل ظن ، إنما نهى عن بعضه ، وهو أن نبني على الظن مالا يجوز بناؤه عليه ، مثل أن يظن بإنسان أنه زنى ، أو سرق ، أو قطع الطريق أو قتل نفساً أو أخذ مالا ، أو ثلب عرضاً ، فأراد أن يؤاخذه بذلك من غير حجة شرعية يستند إليها ظنه ، وأراد أن يشهد عليه بذلك على ظنه المذكور ، فهذا هو الإثم . وتقدير الآية : اجتنبوا كثيراً من اتباع الظن إن إلتباع بعض الظن إثم ، ويجب تقدير هذا لأن النهى عن الظن مع قيام أسبابه المثيرة له لا يصح ، لأنه تكليف لاجتناب مالا يطاق اجتنبه ، إذ لا يمكن الظان دفعه عن نفسه مع قيام أسبابه ، ولن يكلف الله نفساً إلا وسعها وأما الحديث فإن التقدير فيه : إياكم واتباع بعض الظن ، وإنما قدر ذلك لإجماع المسلمين على وجوب اتباع الظن فيما ذكرناه . وكذلك جواز اتباعه فيما أوردناه . واتباع هذه الظنون المذكورة سبب لعلاج الدنيا والآخرة . وإن ظننا هذه عاقبته خير من علم لا يجلب خيراً ، ولا يدفع ضيراً ، فأكرم به من ظن موجب لرضا الرحمن وسكنى الجنان .

وربما كان كثير من العلوم مؤدياً إلى سخط الديان وخلود النيران . وقد شاهدنا كثيراً من أرباب هذه العلوم قد فارقوا الإسلام ، ونبذوا الإيمان ، وذهموا علم الشرائع ، ومدحوا علم الطبائع ﴿ أولئك الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ﴾ ، [الكهف : ١٠٤] » الخ

فتقريره لهذا المبحث الأصولى بهذه العبارة السهلة الواضحة للدليل على سعة علمه وتمكنه وفهمه وبعد نظره .

والأمثلة على ذلك كثيرة فى كتابه « قواعد الأحكام » وكتاب « الإمام فى أدلة الأحكام » الذى أفرد فى علم الأصول . وسأبقى الكلام عليه ونقل نصوص منه عند الحديث على مؤلفاته فى الفقه والأصول . واكتفى بهذا خشية الإطالة .

اتجاهاته الفكرية في التصوف

اختلف المترجمون في الكلام عن تصوف العز : منهم من استطرد في ذلك ، فذكر أنه كان يحضر السماع ويرقص ويتواجد ، وله كرامات ظاهرة عديدة (١) .

ولبس خرقة التصوف من شهاب الدين السهروردي ، وأخذ عنه ، وكان يجتمع بأبي الحسن الشاذلي وأبي العباس المرسى ، ويعجب بطريقتهم ، وكان يدرس الرسالة القشيرية (٢) ، وهي من أهم كتب التصوف . قال ابن السبكي : « وقد كانت للشيخ عز الدين اليد الطولى في التصوف ، وتصانيفه قاضية بذلك (٣) » .

أما المترجمون المحدثون فمنهم من تكلم عن تصوفه مع شيء من التحفظ وتشكك في كراماته ، وراح يفسرها بما يتناسب مع العصر الحديث القائم على التجربة (٤) .

والذي دفعهم إلى ذلك التحفظ ما ذكرته كتب التاريخ عن بعض متصوفه ذلك العصر من شطحات ومخالفات للشرع ، ونبد للعمل ، وركون إلى الكسل . فراحوا يتحفظون في الكلام عن تصوفه ، وقالوا : إنه جمع فيه بين الحقيقة والشرعية ، كما دلت على ذلك نصوص كتبه ، ومنها قوله : « والطريق في إصلاح القلوب التي تصلح الأجساد بصلاحها ، وتفسد بفسادها تطهيرها من كل ما يباعد عن الله وترزينها بكل ما يقرب إليه ويزلفه لديه من الأحوال والأقوال والأعمال وحسن الآمال ولزوم الإقبال عليه والإصغاء إليه والمثول بين يديه في كل وقت من الأوقات وحال من الأحوال على

(١) راجع : فوات الوفيات (١ : ٥٩٥) وشذرات الذهب (٥ : ٣٠٢) .

(٢ ، ٣) راجع : طبقات الشافعية لابن السبكي (٨ : ٢١٤ ، ٢١٥) .

(٤) راجع : الدكتور رضوان الندوى في كتابه « العز بن عبد السلام » . ص ١٠٤ -

١١٥ ، ومحمد حسن عبد الله في كتابه « عز الدين بائع الملوك » ص ١٦٨ - ١٩٠ .

حسب الإمكان من غير أداء إلى السامة والملا ، ومعرفة ذلك هي الملقبة بعلم الحقيقة ، وليست الحقيقة خارجة عن الشريعة بل الشريعة طافحة بإصلاح القلوب بالمعارف والأحوال والعزوم والنيات ، وغير ذلك مما ذكرناه من أعمال القلوب . فعرفة أحكام الظواهر معرفة لجل الشرع ، ومعرفة أحكام البواطن معرفة لدق الشرع ، ولا ينكر شيئاً منهما إلا كافر أو فاجر « (١) .

ويذم بعض الصوفية الذين انحرفوا عن طريق المتصوفة الذين جمعوا بين الحقيقة والشريعة ، فيقول : « وقد يتشبه بالقوم من ليس منهم ، ولا يقاربههم في شيء من الصفات ، وهم شر من قطاع الطريق ، لأنهم يقطعون طريق الداهيين إلى الله تعالى ، وقد اعتمدوا على كلمات قبيحات يطلقونها على الله ، ويسبئون الأدب على الأنبياء والرسل ، وأتباع الأنبياء من العلماء الأتقياء ، وينهون من يصحبهم عن السماع من الفقهاء لعلمهم بأن الفقهاء ينهون عن صحبتهم ، وعن سلوك طريقهم » (٢) .

ويرى أن الشرع هو الميزان الذي توزن به أعمال الناس فيقول : « والشرع ميزان يوزن به الرجال ، وبه يتيقن الربح من الخسران ، فمن رجع في ميزان الشرع كان من أولياء الله ، وتختلف مراتب الرجحان ، ومن نقص في ميزان الشرع فأولئك أهل الخسران ، وتتفاوت خفتهم في الميزان ، وأخسها مراتب الكفار ، ولا تزال المراتب تتناقص حتى تنتهي إلى منزلة مرتكب أصغر الصغائر ، فإذا رأيت إنساناً يطير في الهواء ويمشي على الماء ، أو يخبر بالمغيبات ، ويخالف الشرع بارتكاب المحرمات بغير سبب محلل ، أو يترك الواجبات بغير سبب مجوز فاعلم أنه شيطان نصبه الله فتنة للجهلة ، وليس ذلك ببعيد من الأسباب التي وضعها الله للضلال ، فإن الدجال يحيى ويميت فتنة لأهل الضلال » الخ (٣) .

فالغز بقوله هذا يرى أن خرق العادة ليس دليلاً على الولاية . فإذا رأينا رجلاً تجرئ على يديه خوارق العادات فنعرض عمله على الكتاب والسنة

(٢٤١) راجع : كتابه « قواعد الأحكام » (٢ : ٢١٢) .

(٣) راجع بقية النص في المصدر السابق (٢ : ٢٢٩ ، ٢٣٠) .

فإن وافقهما فهو ولي من أولياء الله ، وإن خالفهما فهو شيطان نصبه الله
فتنة للناس .

والعز بقوله هذا لا ينكر كرامات الأولياء فقد أقرها بقوله : « وكذلك
اختص الأنبياء بالمعجزات والكرامات ، وشاركهم الأولياء في بعض
الكرامات » (١) .

ويرى أن المعارف والأحوال التي تجرى للأولياء خير من الكرامات
فيقول : « والمعارف والأحوال غير الكرامات وخرق العادات ، لتعلق
المعارف بالله تعالى ، وتعلق الكرامات بخرق العادات في بعض المخلوقات .
وفرق فيما تعلق برب الأرض والسموات ، وفيما تعلق بفك اطراد
العادات » (٢) الخ .

ويرى العز أن الغنى لا ينافي الزهد ، فيقول : « ويتحقق الزهد بقطع
تعلق القلب عما ذكرناه من المحرمات والمكروهات والمباحات وليس الزهد
عبارة عن خلو اليد من المال ، وإنما الزهد خلو القلب عن التعلق به ، فليس
الغنى بمناف للزهد » (٣) .

وقد فسر العز بعض الرموز التي يستعملها المتصوفة ويشكل ظاهرها
فقال : « ولهم ألفاظ يطلقونها يستعظمها سامعها ، منها : التجلى : وهو
عبارة عن العلم والعرفان ، وكذلك المشاهدة ومنها : الذوق : وهو عبارة
عن وجدان لذة الأحوال ووقع التعظيم والإجلال ، ومنها الحجاب : وهو
عبارة عن الجهل والغفلة والنسيان . ومنها قولهم : قال لى ربى ، وإنما ذلك
عبارة عن القول بلسان الحال دون لسان المقال ، كما قالت العرب :

امتلاً الحوض وقال قطنى » الخ (٤)

وقد فسر الفناء بقوله : « وحقيقة الفناء : غفلة وغيبة ، وفراغ القلب
عن الأكوان إلا عن السبب المفضى » (٥) .

(١ ، ٢) انظر : المصدر السابق (٢ : ٢٢٦) .

(٣) المصدر السابق (٢ : ٢٢٣) .

(٤) المصدر السابق (٢ : ٢١٩) .

(٥) المصدر السابق (٢ : ٢١٤) .

وقد قسم الغز السماع إلى خمسة أقسام وبين حكم كل منها فقال :
أحدها : من تحضره المعارف وأحوالها عند سماع القرآن ، وهؤلاء
أفضل أهل السماع .
الرتبة الثانية : من تحضره المعارف والأحوال عند سماع الوعظ
والتذكير ، وهؤلاء في الرتبة الثانية .

الرتبة الثالثة : من تحضره هذه المعارف والأحوال عند سماع الحداء
والنشيد ، وهذا في الرتبة الثالثة لارتياح النفوس والتذاذها بسماع المترن
من الأشعار والنشيد ، وفي هذا نقص من جهة ما فيه من حظ النفس .

الرتبة الرابعة : من تحضره هذه المعارف والأحوال المبنية عليها عند
سماع المطربات المختلف في تحليلها كسماع الدف والشبابات . فهذا إن اعتقد
تحريم ذلك فهو مسيء بسماعه محسن بما يحصل له من المعارف والأحوال ،
وإن اعتقد إباحتها تقليداً لمن قال بها من العلماء فهو تارك للورع باستماعها
محسن بما حضره من المعارف والأحوال الناشئة عنها .

الرتبة الخامسة : من تحضره هذه المعارف والأحوال عند سماع المطربات
الحرمية عند جمهور العلماء كسماع الأوتار والمزمار ، فهذا مرتكب لحرم
ملئذ النفس بسبب محرم فإن حضره معرفة وحال تناسب تلك المعرفة ، كان
مازجاً للخير بالشر والنفع بالضرر ، مرتكباً لحسنات وسيئات ولعل حسناته
لا تقي بسيئاته ، فإن انضم إلى ذلك نظر إلى مطرب لا يحل النظر إليه فقد
زادت شقوته ومعصيته » .

ثم قال : « وعلى الجملة فالسماع بالحذاء ونشيد الأشعار بدعة لا بأس
بسماع بعضها . وأما سماع المطربات المحرمات فغلط من الجهلة المتشيعين
المتشبهين المجترئين على رب العالمين ، ولو كان ذلك قرينة - كما زعموه -
لما أهمل الأنبياء أن يفعلوه ويُعَرِّفُوهُ لاتباعهم وأشباعهم ، ولم ينقل ذلك عن
أحد من الأنبياء ولا من أكابر الأولياء ، ولا أشار إليه كتاب من الكتب
المنزلة من السماء . وقد قال الله تعالى : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت
عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴾ [المائدة : ٣] . ولو كان السماع

بالملاهي المطربات من الدين لبينه رسول رب العالمين ، وقد قال عليه السلام :
« والذي نفسى بيده ما تركت شيئاً يقربكم من النار ويباعدكم عن الجنة
إلا نهيتكم عنه » (١) .

ما قيل في سماع العز :

ذكر بعض مترجمي العز كالذهبي والكتبي والياقنى أنه : « كان يحضر
السماع ويرقص ويتواجد » كما سبق ، ويرى الدكتور رضوان أن حضوره
للسماع لعله من النوع الثالث الذى سبق أن سماه : « بدعة لا بأس بسماع
بعضها ولا يمكن أن يكون من المحرم لأنه قد ذمه ووصف فاعله بالجهالة
والاجترأ على رب العالمين .

وأما الرقص فقد نقل عن الذهبي مع أنه اكتفى بذكر سماع العز ، ولم
ينص على الرقص والتواجد ، ثم الذين نقلوا منه بعد ذلك أضافوا نسبة الرقص
إليه (٢) .

وهذا النقل يعارض ما فى كلام العز من ذم الرقص وأنه منقصة لا تليق
بالعافل ، وإليك نص كلام العز حتى يتضح لك ذلك :

قال : « وأما الرقص والتصفيق فخفة ورعونة مشبهة لرعونة الإناث
لا يفعلها إلا راعن ، أو متصنع كذاب ، وكيف يتأتى الرقص المتزن بأوزان
الغناء ممن طاش لبه وذهب قلبه ، وقد قال عليه السلام : « خير القرون
قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » . ولم يكن أحد من هؤلاء الذين
يقتدى بهم يفعل شيئاً من ذلك .

ثم قال : « ومن هاب الإله وأدرك شيئاً من تعظيمه لم يتصور منه رقص
ولا تصفيق ، ولا يصدر التصفيق والرقص إلا من غبي جاهل ، ولا يصدران
من عاقل فاضل ويدل على جهالة فاعلهما أن الشريعة لم ترد بهما فى كتاب
ولا سنة ، ولم يفعل ذلك أحد الأنبياء ولا معتبر من اتباع الأنبياء ، وإنما

(١) المصدر السابق (٢ : ٢١٥ ، ٢١٦) .

(٢) راجع : كتابه « العز بن عبد السلام » ص ١٠٦ ، ١٠٧ .

يفعل ذلك الجهالة السفهاء الذين التبت عليهم الحقائق بالأهواء ، وقد قال تعالى : ﴿ ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء ﴾ [النحل : ٨٩] وقد مضى السلف وأفاضل الخلف ولم يلبسوا شيئاً من ذلك « الخ (١) .

ويرى الدكتور الفقير : « أن هذا تعارض شكلي ، وهذا التعارض يزول إذا حددنا الرقص الذي عناه كل فريق منهما . فالرقص الذي انصب عليه كلام العز : هو الرقص الذي كان معهوداً على أيامه من بعض المتصوفة ، حيث يجتمعون في مجالس خاصة ، ويقومون بحركات متفق عليها وموزونة ومتناسبة الحركات مع الشعر المنشود - ونستطيع أن نعبر عنه بأنه الرقص المتناسق مع الإيقاع الموسيقي والشعري الذي ينشدونه ، وقد يكون هذا الرقص مصحوباً بتصفيق الأيدي التي تصدر نوعاً من النغم والموسيقى التي تبعث على التكسر والتمايل في حلقات الذكر التي يقومون بها .

وهذا اللون من الرقص والتصفيق لا شك في بدعيته وأن من يقوم به أرعن متشبه بالنساء فلا يقره الشرع ولا يرتضيه عقل سليم .

وأما حدوث حركات عشوائية من إنسان إثر مشاهدته أو سماعه لأمر مبهج مفرح من تجلى أو مشاهدة أو حالة من الحالات التي تعترى المتصوف ، فما أظن حرمة ذلك ولا كراهته ، ولعل هذا اللون الذي أراده المترجمون له بقولهم : إنه كان يرقص ، وهذا اللون من الرقص له أصل من الشرع حيث ذكر ابن حجر الهيتمي في فتاواه الحديثية [ص ١٥٨] أن سيدنا جعفرأ - رضى الله عنه - رقص بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم لما قال له : « أشبهت خلقتي وخلقتي » وذلك من لذة هذا الخطاب ، ولم ينكر عليه صلى الله عليه وسلم .

ثم قال : وبهذا يزول اللبس بين حكم الإمام ونقول أهل التراجع عنه أنه كان يرقص . وقولى هذا أولى من القول بنفى ذلك بالكلية ، لأن القول بالنفى المطلق للرقص يؤدي إلى تكذيب علمائنا من النقلة والمؤرخين ولا داعي لمثل هذا التكذيب ، لأنه يؤدي إلى التشكك في أقوالهم الأخرى ، ولا يعقل

(١) راجع : كتابه « قواعد الأحكام » (٢ : ٢٢٠ ، ٢٢١) .

أن يجمع معظم النقلة القداى على أن الإمام العز قد رقص مع العلم أنهم قد اطلعوا على قواعده التي نص فيها على حكم الرقص والراقصين . وهذا تناقض كما لا يخفى ، وهم من الذكاء ما يباعدهم عن الوقوع في هذا التناقض الواضح الظاهر ، لولا أنهم أرادوا بالرقص ما ذكرته من التحركات العشوائية غير المنتظمة والتي تعبر عن إعجابه بما يشاهده الخ (١) .

وفيا قاله نظر لأن دعواه إجماع المؤرخين دعوى لا أساس لها ، ولأن الاستدلال بحديث جعفر لا يشهد له إذ أن ما حدث من جعفر هو مجرد حركة نشطة أراد أن يعبر بها عن سروره .

وقد ذكر من ترجم له شيئاً من كراماته (٢) ، وخصوصاً أصحاب طبقات الصوفية ، وقد ذكرت واحدة منها أثناء الكلام عن حادثة بيعه لأمرأ المالك ولولا خشية الإطالة للذكرت بعض كراماته .

وخلص القول في تصوفه :

من النصوص السابقة يتضح اتجاه العز في التصوف ، فقد كان معتدلاً ، فلم يغلب جانب الحقيقة على الشريعة فيشطح كما فعل بعض الصوفية ، بل جمع بينهما فليست الحقيقة عنده خارجة عن الشريعة ، بل الشريعة طافحة بإصلاح القلوب . فمعرفة أحكام الظواهر معرفة لجل الشرع ، ومعرفة أحكام البواطن معرفة لدق الشرع ، ولا ينكر شيئاً منهما إلا كافر فاجر .

والشرع عنده هو الميزان الذي توزن به أعمال الناس ، فمن وافق عمله الكتاب والسنة فهو من أولياء الله ، ومن خالفهما فهو من أعداء الله وإن جرت على يديه خوارق العادات . فقد بنى تصوفه على العلم والعمل ، وقد سار على هذا النهج في حياته ، فشارك في بناء مجتمعه بالتدريس والقضاء والإفتاء والخطابة والتأليف ، كما كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ولا يخاف من الله لومة لائم .

(١) راجع : رسالته « الإمام العز بن عبد السلام » (١ : ١٣٣ ، ١٣٤) .

(٢) راجع : طبقات ابن السبكي (٨ : ٢١٣ ، ٢١٦ ، ٢١٧) .

فهذا منهج المتصوفة العالمين العاملين ، وهو مخالف لمنهج بعض المتصوفة المتواكلين المتفوقين على أنفسهم المنعزلين عن مجتمعهم المغالين في علم الحقيقة على حساب الشريعة ، الذين يتساهلون في أداء الواجبات ويقعون في المحرمات ولهم شطحات .

وقد رأينا العز - في أثناء كلامه السابق - يذمهم ويصمهم بالجهل والغباء . ويرى أنهم شر من قطاع الطريق لأنهم يقطعون طريق الزاهبين إلى الله تعالى .

فألصق في عنده « من صمنت سريره ونارت بصيرته وعلت همته ونطقت حكمته وارتفعت رتبته ، وتعلم العلم وعلمه وطلبت من الله لا من غيره وأن يكون متصفاً بالرضا والسير في الطريق ومراعاة الرفيق : واخذى والتحقيق وفعل الخيرات وترك المنكرات وإقالة العثرات ، وأن يكون مجتهداً في العمل الصالح المرفوع وأن يكون متأدباً مع شيخه وإخوانه حافظاً لقائه غالباً على شيطانه » (١) .

(١) راجع كتابه : « مسائل الطريقة في علم الحقيقة » ص ٣٧ .

الفصل الرابع

التعريف بشيوخه وتلاميذه

١ - شيوخه وأثرهم فيه

٢ - تلاميذه وأثره فيهم

شيوخه وأثرهم فيه

١ - عبد الصمد الحرستاني :

هو القاضي جمال الدين أبو القاسم محمد بن علي بن عبد الواحد بن الحرستاني الأنصاري الخزرجي العبادي السعدي الدمشقي . أحد الأجلة من الفقهاء البارعين في المذهب الشافعي الزاهدين الورعين ، وكان من قضاة العدل . ولد سنة (٥٢٠ هـ) . وسمع الحديث من عبد الكريم بن حمزة وطاهر بن سهل ابن بشر الاسفرائيني ، وآخرين . وتفقه بحلب على أبي الحسن المرادي . ولى القضاء بدمشق نيابة عن أبي سعد بن أبي عصرون ، ثم ولى قضاء الشام في آخر عمره سنة (٦١٢ هـ) .

وكان قد امتنع من الولاية لما طلب إليها ، فألحوا عليه واستعانوا عليه بولده حتى أجاب . وكان صارماً عادلاً على طريقة السلف في لباسه وعفته ، قالوا : إنه لم تفته صلاة بجامع دمشق في جماعة إلا إن كان مريضاً .

ومما وقع له مما يدل على صرامته في الحق وعدله ، أنه تداعى إليه خصمان ، وجاء أحدهما بكتاب الملك العادل إلى القاضي يوصيه عليه ، فلم يفتحه ، وظهر الحق لخصم حامل الكتاب ، ففضى له عليه ، ثم فتح الكتاب وقرأه ورمى به إلى حامله ، وقال : كتاب الله قد حكم على هذا الكتاب . فبلغ العادل قوله ، فقال : صدق ، كتاب الله أولى من كتابي . توفي في ذي الحجة سنة (٦١٤ هـ) .

وقد تفقه عليه العز أولاً ، ثم انتقل إلى الشيخ فخر الدين بن عساكر ، وقد سأله تلميذه أبو شامة ، أيهما أفقه فخر الدين بن عساكر ، أو ابن الحرستاني ، فرجع ابن الحرستاني ، وقال : إنه كان يحفظ « وسيط الغزالي » ، وقال : « لم أر أفقه منه » (١) .

(١) راجع : طبقات ابن السبكي (٨ : ١٩٦ - ١٩٩) والنجوم الزاهرة (٦ : ٢٢٠) .

وكما أن العز تأثر به في فقهه ، فقد تأثر به في عدله وصرامته في تطبيق الحق ، ويدل على ذلك موقف العز من أمراء المالك حين حكم ببيعهم ، وأصر على تنفيذ حكم الله فيهم رغم معارضة الملك نجم الدين أيوب وغضبه ، ورغم ما للأمراء من سطوة وقوة حتى أنهم حاولوا الفتك به فنجاه الله منهم ، فصمد أمام ذلك كله حتى أقام فيهم حكم الله ، فباعهم ، ورد ثمنهم ليبت مال المسلمين .

٢ - فخر الدين بن عساكر :

هو أبو منصور عبد الرحمن بن محمد بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله ابن الحسين الدمشقي المعروف بابن عساكر ، ولد سنة (٥٥٥ هـ) ، وهو من أسرة علم وفضل ، تفقه بدمشق على الشيخ قطب الدين النيسابوري وزوجه بابنته ، وسمع الحديث من عميه الإمامين الحافظ الكبير أبي القاسم ، والصائغ هبة الله ، وجماعة .

وحدث بمكة ودمشق والقدس ، وله تصانيف في الفقه والحديث ، وغيرهما ، وبه تخرج العز بن عبد السلام وتأثر به كثيراً في علمه وزهده وورعه وسلوكه في الحياة .

وكان إماماً صالحاً عابداً ورعاً كثير الذكر . وكان شيخ الشافعية بالشام . وقد طلبه الملك العادل للقضاء فامتنع ، وقال الملك عين غيرك فعين له ابن الحرستاني .

وكان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ولا يجامل أحداً حتى ولو كان حاكماً فقد أنكر على الملك المعظم تضمين المكوس والخمور .
توفي في العاشر من رجب سنة (٦٢٠ هـ) (١) .

٣ - سيف الدين الأمدى :

هو علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي أبو الحسن المعروف بسيف الدين الأمدى أحد أذكىاء العالم ولد بعد سنة (٥٥٠ هـ) بيسير بمدينة آمد ،

(١) راجع : طبقات الشافعية للسبكي (٨ : ١٧٧ - ١٨٧) والنجوم الزاهرة (٦ : ٢٥٦)

وقرأ بها القرآن ، وحفظ كتاباً في مذهب الإمام أحمد بن حنبل ، ثم قدم بغداد فقرأ بها القراءات ، وتفقه على أبي الفتح بن المنّى الحنبلي ، ثم انتقل إلى مذهب الشافعي ، وصحب أبا القاسم بن فضلان ، وبرع عليه في الخلاف ، وتفنن في علم النظر ، وأحكم الأصولين والفلسفة وسائر العقليات . ثم دخل مصر وتصدر للإقراء ، وتخرج به جماعة ، ثم وقع التعصب عليه ، فخرج من القاهرة مستخفياً ، ثم قدم دمشق ، ودرس بالمدرسة العزيزية ، ثم أخذت منه . وتوفي بدمشق سنة (٦٣١ هـ) .

وله تصانيف تربو على العشرين كلها منقحة حسنة ، منها « الأبكار » في أصول الدين و « الأحكام » في أصول الفقه و « شرح جدل الشريف » . وقد درس عليه العز الأصول واستفاد منه كثيراً ، وتأثر به ، ويبدو ذلك في كتاب العز « قواعد الأحكام في مصالح الأنام » . وكان من المعجبين به وبطريقة تدريسه ومناظرته ، وقد نقلت عنه عبارات تشيد بذلك منها قول العز : (ما سمعت أحداً يلقي الدرس أحسن منه ، كأنه يخطب ، وإذا غير لفظاً من « الوسيط » للغزالي كان لفظه أمّس بالمعنى من لفظ صاحبه) وقال : « ما علمنا قواعد البحث إلا من سيف الدين الآمدي » . وقال : « لو ورد على الإسلام متزندق يشكك ما تعين لمناظرته غير الآمدي لاجتماع أهلية ذلك فيه » (١) .

٤ - القاسم بن عساكر :

هو الحافظ بهاء الدين أبو محمد القاسم بن الحافظ الكبير أبي القاسم علي بن عساكر . ولد سنة (٥٢٧ هـ) وهو من أسرة علم اشتهرت بالفضل والحفظ ، وقد سمع بدمشق من أبي الحسن السلمي ، ونصر الله المصيصي ، والقاضي أبي المعالي محمد بن يحيى القرشي ، وعمه الصائغ وجد أبويه وخلق ، وأجازه أكثر الشيوخ ، وكتب الكثير حتى أنه كتب تاريخ والده مرتين ، وأملى كثيراً وحدث . وكان ناصراً للسنة مجداً في إمارة البدعة ، وقد دخل مصر وانتفع به أهلها .

(١) راجع : طبقات الشافعية لابن السبكي (٨ : ٣٠٦ - ٣٠٨) والنجوم الزاهرة (٦ : ٢٨٥) والمختصر لأبي الفداء (٥ : ١٥٥) .

وله كتاب « فضل المدينة » وكتاب « فضل المسجد الأقصى » . توفي سنة (٦٠٠ هـ) ، وله ثلاث وسبعون سنة .

وقد سمع منه العز الحديث (١) .

٥ - عبد اللطيف بن شيخ الشيوخ :

هو أبو الحسن ضياء الدين عبد اللطيف بن إسماعيل بن شيخ الشيوخ أبي سعد البغدادي ، ولد سنة (٥٢٣ هـ) ، وسمع الحديث من والده أبي البركات إسماعيل ، ومن قاضي المارستان ، وابن السمرقندي وآخرين ، وكان صالحاً ثقة صوفياً ، وكان شيخ الرباط الذي بالمشرفة شرق بغداد ، ورحل إلى مصر والقدس والخليل ، وقدم دمشق وتوفي بها سنة (٥٩٦ هـ) وقد سمع منه العز الحديث (٢) .

٦ - الخشوعي :

هو أبو طاهر بركات بن إبراهيم بن طاهر الخشوعي ، كان حافظاً واعياً وكان مسند الشام في وقته توفي سنة ٥٩٨ هـ وله من العمر تسع وثمانون سنة وقد سمع منه العز الحديث (٣) .

٧ - حنبل الرضافي :

هو أبو علي حنبل بن عبد الله بن الفرج بن سعادة الكبير بجامع الرصافة ، وكان فقيراً جداً في أول حياته ثم حصل ما لا طائلا ، وقد سمع مسند الإمام أحمد من ابن الحصين ، وهو آخر من رواه عنه ، وقد رحل إلى أربل والموصل ودمشق ، وأسمع المسند بهذه البلاد وقد سمع منه الملك المعظم عيسى بن العادل في جمع كثير في الجامع الأموي ، وكان كثير الأمراض ، توفي ببغداد سنة أربع وستائة ، وله تسعون سنة وآل ماله إلى بيت المال لأنه لا وارث له . وقد سمع منه العز الحديث (٤) .

(١) راجع طبقات الشافعية لابن السبكي (٨ : ٣٥٢) والنجوم الزاهرة (٦ : ١٨٦)

(٢) راجع ذيل الروضتين لأبي شامة ص ١٧ ، والنجوم الزاهرة (٦ : ١٥٩) .

(٣) راجع : الذيل على الروضتين ص ٢٨ وتاريخ دول الإسلام (٢ : ١٠٧)

والنجوم الزاهرة (٦ : ١٨١) .

(٤) راجع : الذيل على الروضتين (ص ٦٢) ، وتاريخ دول الإسلام (٢ : ١١١)

والنجوم الزاهرة (٦ : ١٩٥) .

٨ - عمر بن طبرزد :

هو أبو حفص عمر بن محمد بن يحيى المعروف بابن طبرزد الدارقزى ، ولد سنة (٥١٦ هـ) وسمع حديثاً كثيراً من أبي غالب بن البناء وأبي القاسم ابن الحصين . وكان معلماً للصبيان بدار القز ببغداد ، وسافر مع حنبل إلى الشام ، ثم عاد إلى بغداد ، وقد جمعاً مالا كثيراً ؟ وتوفي سنة ٦٠٧ هـ وعاد ماله إلى بيت المال ، لأنه لا وارث له (١) .

هؤلاء أهم شيوخ الغز الذين ذكرهم ابن السبكي في ترجمته ، وقد تأثر الغز بالثلاثة الأول منهم كثيراً واستفاد منهم وتخرج عليهم ، كما أنه تأثر بسلوكهم في الحياة ، أما الشيوخ الآخرون فقد سمع منهم الحديث وهناك شيوخ غيرهم سمع منهم الغز كما أشار إلى ذلك ابن السبكي ولم يذكر أسماءهم . فن العسير حصر جميع الشيوخ الذين أخذ عنهم .

كما أن الغز تأثر بشيوخ لم يلتق بهم لأنهم ماتوا قبل ولادته بزمن لكنه درس كتبهم فتأثر بها واستفاد منها وضمن كتبه نقولا منها ، ومن أهم هؤلاء الماوردى .

أبو الحسن الماوردى :

هو على بن محمد بن حبيب البصرى ، المعروف بالماوردى نسبة إلى بيع الماورد الفقيه الشافعى ، كان من وجوه الفقهاء الشافعية ومن كبارهم ، أخذ الفقه عن أبي القاسم الصيمرى بالبصرة ، ثم عن الشيخ أبي حامد الاسفرائينى ببغداد ، وكان حافظاً للمذهب ، وله فيه كتاب « الحاوى » الذى لم يطالعه أحد إلا وشهد له بالتبحر والمعرفة التامة بالمذهب . وفوض إليه القضاء ببلدان كثيرة ، واستوطن بغداد ، وروى عنه الخطيب أبو بكر صاحب « تاريخ بغداد » وقال : كان ثقة .

قال ابن خيرون : كان رجلاً عظيماً القدر ، مقدماً عند السلطان ، أحد الأئمة ، له التصانيف الحسان فى كل فن ، وقد اتهمه ابن الصلاح بالاعتزال فى بعض المسائل بحسب ما فهمه عنه من تفسيره فى موافقة المعتزلة فيها ،

(٢) راجع : الذيل على الروضتين ص ٧٠ ، والنجوم الزاهرة (٦ : ٢٠١) .

ولا يوافقهم في جميع أصولهم ، ومما خالفهم فيه أن الجنة مخلوقة . نعم يوافقهم في القول بالقدر ، وهي بلية غلبت على البصريين .

وقال ابن السبكي : والصحيح أنه ليس معتزلياً ، ولكنه يقول بالقدر فقط وسيأتى تحقيق ذلك في الباب الثاني الخاص بدراسة تفسير العز وهو اختصار تفسير الماوردي .

كما أن العز قد اعتنى بكتاب الماوردي « الحاوي » فألف كتاباً بعنوان « الجمع بين الحاوي والنهاية » وكتاب النهاية لإمام الحرمين الجويني . وهذان الكتابان من أعظم الكتب وأكثرها توسعاً في المذهب الشافعي .

ومن تصانيفه « الإقناع في الفقه » وهو مختصر ، و « أدب الدين والدنيا » و « دلائل النبوة » و « الأحكام السلطانية » وقد ترجم هذا الكتاب إلى عدة لغات ، و « قانون الوزارة وسياسة الملك » .

توفي في شهر ربيع الأول سنة (٤٥٠ هـ) ، ودفن في مقبرة باب حرب ببغداد . وعمره (٨٦) سنة رحمه الله تعالى (١) .

(١) راجع : وفيات الأعيان لابن خلكان (٣ : ٢٨٢ - ٢٨٤) وطبقات ابن السبكي (٥ : ٢٦٧ - ٢٨٥) وطبقات المفسرين للداودي (١ : ٤٢٣) ورسالة « الإمام الماوردي وأثره في الفقه الدستوري » لمحمد بن علي الغلاييني حصل بها على الدكتوراه من كلية الشريعة والقانون بجامعة الأزهر عام ١٣٩٤ هـ وكتاب « الإمام أبو الحسن الماوردي » للدكتور محمد سلمان وفؤاد عبد المنعم . ورسالة « أبو الحسن الماوردي وأثره في الدعوة » لعبد الخالق إبراهيم إسماعيل حصل بها على الدكتوراه من كلية أصول الدين بجامعة الأزهر عام ١٣٩٧ هـ .

تلاميذه وأثره فيهم

١ - شيخ الإسلام ابن دقيق العيد :

هو تقي الدين أبو الفتح محمد بن مجد الدين علي بن وهب بن مطيع القشيري . ولد في الخامس والعشرين من شعبان سنة (٦٢٥ هـ) وتفقّه ببلده قوص - إحدى مدن صعيد مصر - على والده ، وكان مالكي المذهب ، ثم رحل إلى القاهرة ، وتفقّه على العز بن عبد السلام فحقّق المذهبين . قال ابن السبكي في ترجمته : « شيخ الإسلام الحافظ الزاهد الورع الناسك المجتهد المطلق ذو الخبرة التامة بعلوم الشريعة الجامع بين العلم والدين والسالك سبيل السادة الأقدمين ، أكمل المتأخرين » الخ (١) .

وقد ولي قضاء القضاة على مذهب الشافعي بمصر بعد تقي الدين عبد الرحمن ابن عبد الوهاب بن بنت الأعز بعد إباء شديد ، وعزل نفسه أكثر من مرة ثم يعاد . توفي في حادى عشر صفر سنة (٧٠٢ هـ) .

ومن مصنفاته : الإمام في الحديث . قال عنه ابن السبكي : « وهو جليل لم يصنف مثله » ، وشرح عمدة الأحكام وله ديوان شعر صغير . وكان من أكثر تلاميذ العز اتصالاً به واستفادة منه ، وقد لقب العز بـ « سلطان العلماء » وقد تأثر به في علمه فكان متقناً دقيقاً في عبارته عميقاً في علمه وفهمه علمه أكثر من تصنيفه ، متمكناً من الفقه وأصوله والعربية ، حسن المحاضرة بال نوادر والأشعار .

كما تأثر به في زهده وورعه وحياته العملية ، وجرأته في قول الحق وعدم تبجيله للسلطين فمن ذلك أنه كان يخاطب عامة الناس ، السلطان فمن دونه بقوله : « يا إنسان » . وهذا شبيه بموقف العز حينما دخل على الملك الصالح أيوب في يوم العيد ، والجنود الغفيرة تحتف به ، فناداه باسمه المجرد « يا أيوب » طالباً منه تغيير منكر كما سبق بيانه ص ٣٠ .

(١) راجع : كتابه طبقات الشافعية (٩ : ٢٠٧) .

ومن ذلك موقفه من السلطان محمد بن قلاوون حينما أراد أن يجمع المال من الرعية لحرب التتار ، وقد أفناه بجواز ذلك ابن الخشاب ، ولكن ابن دقيق العيد منعه من ذلك « لأن الأمراء لديهم الأموال والذهب وأن فيهم من جهز ابنته لتزف إلى زوجها وأنه عمل في شوارها الجواهر والآلى والحلى والذهب واتخذ لها الأواني من الفضة ، وأن منهم من رصع مداس زوجته بالجواهر » (١) .

وهذا شبيه بموقف العز من الملك المظفر قطز حينما أراد أن يأخذ المال من الرعية لحرب التتار فمنعه العز من ذلك حتى يحضر الأمراء ما عندهم من الذهب والفضة والسروج المذهبة وغيرها . كما سبق بيانه ص ٢٥ . ومن ذلك أنه كان عادلا في قضائه ، متشدداً في تطبيق الحق ، ولو كان على السلطان ، لا يخاف في الله لومة لائم . لذا نجده عزل نفسه أكثر من مرة ثم يعاد (٢) ، وهذا شبيه بموقف العز حينما عزل نفسه في حادثة بيع أمراء المماليك فأعادها الملك نجم الدين أيوب . كما سبق تفصيله ص ٦٤ .

٢ - جلال الدين الدشناوى :

هو أحمد بن عبد الرحمن بن محمد الكندى . ولد سنة (٦١٥ هـ) بدشنا بلد بصعيد مصر . وسمع الحديث من الحافظ عبد العظيم المنذرى ، وتفقه على العز بن عبد السلام ، وقرأ الأصول على الشيخ شمس الدين الأصفهاني شارح « المحصول » .

وكان زاهداً ورعاً فقيهاً أصولياً . انتهت إليه رئاسة المذهب الشافعى بقوص بلد بصعيد مصر . وحكى : أن النصير بن الطباخ المشهور بالفقيه . قال للشيخ عز الدين بن عبد السلام : ما أظن في الصعيد مثل هذين الشايين . يعنى الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد ، والشيخ جلال الدين الدشناوى . فقال له ابن عبد السلام : ولا في المدينتين .

(١) راجع : ابن دقيق العيد ، حياته وديوانه ص ٧٩ .

(٢) راجع : طبقات الشافعية لابن السبكي (٩ : ٢٠٧) والنجوم الزاهرة (٨ : ٢٠٦) وشذرات الذهب (٦ : ٥) .

وقد صنف شرحاً على « التنبيه » وصل فيه إلى الصيام . وكتاباً في « مناسك الحج » و « مقدمة في النحو » . توفي في رمضان سنة سبع وسبعين وستمائة بقوص (١) .

٣ - عبد اللطيف بن العز بن عبد السلام :

ولد سنة (٦٢٨ هـ) وسمع الحديث عن ابن اللّثيّ ، وتفقه على والده ، وتميز في الفقه والأصول ، وكان يعرف تصانيف والده معرفة حسنة . وقد روى عنه ابن السبكي طرفاً من أخبار والده ، والخلاف بينه وبين الملك الأشرف في مسألة الكلام التي عرفت في التاريخ بفتنة الحنابلة ، وفتواه فيها التي تسمى بـ « ملحّة الاعتقاد » .

توفي بالقاهرة في شهر ربيع الآخر سنة خمس وتسعين وستمائة . رحمه الله (٢) .

٤ - شرف الدين أبو محمد الدميّاطي :

هو عبد المؤمن بن خلف ، ولد سنة (٦١٣ هـ) وتفقه ببلده دميّاط ، ثم انتقل إلى القاهرة ، والتقى بحافظها عبد العظيم المنذرى ، وتخرج عليه في الحديث وكان حافظاً فقيهاً أصولياً لغوياً نسابه شافعي المذهب ، قال الكتبي : إنه خرّج للعز أربعين حديثاً عوالى سكن دمشق مدة ، ثم ارتحل إلى مصر . وتوفي سنة (٧٠٥ هـ) .

ومن مؤلفاته : كتاب الصلاة الوسطى . وكتاب الخيل ، وكتاب قبائل الخزرج . وكتاب الأربعين المتباينة في الإسناد في حديث أهل بغداد (٣) .

(١) راجع : طبقات الشافعية لابن السبكي (٨ : ٢٠ - ٢٢) وحسن المحاضرة (١ : ٤١٧) .
(٢) راجع : طبقات ابن السبكي (٨ : ٣١٢) وطبقات الاسنوى (٢ : ١٩٩) وحسن المحاضرة (١ : ٤٢٠) .

(٣) راجع : فوات الوفيات (١ : ٥٩٤ ، ٢ : ٣٧) وطبقات الشافعية لابن السبكي (١٠٢ - ١٢٣) وطبقات الشافعية للاسنوى (١ : ٥٥٢ - ٥٥٤) وحسن المحاضرة (١ : ٣٥٧) وطبقات المفسرين للداودي (١ : ٣٠٩) .

٥ - شهاب الدين أبو شامة :

هو عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الأصل الدمشقي الشافعي ، ولد سنة (٥٩٩ هـ) أو (٥٩٦ هـ) .

وختم القرآن وله دون عشر ، وقرأ الروايات على العالم السخاوي وتفقه على العز بن عبد السلام وقد لازمه ورحل معه إلى المقدس في شعبان سنة (٦٢٤ هـ) لزيارة الأقصى والخليل وما بتلك الديار من الآثار ورجعا إلى دمشق بعد أربعة عشر يوماً (١) . وكتب كثيراً من أخباره وقد أنقن الفقه ، واعتنى بالحديث ، ودرّس وأفتى وبرع في العربية . وولى مشيخة دار الحديث الأشرفية ، والأقراء بالتربة الأشرفية . قال الأسنوي : « كان عالماً راجحاً في العلم فقيهاً مقرئاً محدثاً نحوياً ، يكتب الخط المليح المتقن ، وفيه تواضع واطراح كثير جداً » .

وله مصنفات في علوم كثيرة منها : « اختصار تاريخ دمشق » لابن عساكر ، فقد اختصره مرتين ، الأولى في عشرين مجلداً . وكتاب « الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية » و « الذيل عليه » وله « ارجوزة في العروض » و « نظم مفصل الزمخشري » وكتاب « البسمة الأكبر والأصغر » و « الباعث على إنكار البدع والحوادث » و « ضوء القمر الساري إلى معرفة البارى » و « نور المسرى في تفسير آية الإسراء » وقد نقل ابن السبكي في ترجمته نماذج من هذا الكتاب .

وقد امتحن في موته بأن دخل عليه رجلان في صورة المستفتين فضرباه ضرباً مبرحاً ، فاعتل به إلى أن مات في سنة (٦٦٥ هـ) وسجل في تاريخه هذه الحنة وذكر تفويض أمره إلى الله ، وعدم مؤاخذه من فعل ذلك . رحمه الله (٢) .

٦ - الإمام علاء الدين أبو الحسن الباجي :

هو علي بن محمد بن عبد الرحمن بن خطاب . ولد سنة (٦٣١ هـ) وتفقه

(١) راجع : كتابه « الذيل على الروضتين » ص ١٥١ .

(٢) راجع : فوات الوفيات (١ : ٥٢٧) وطبقات ابن السبكي (٨ : ١٦٥) وطبقات الأسنوي (٢ : ١١٨) وبغية الوعاة (٢ : ٧٧) والنجوم الزاهرة (٧ : ٢٢٤) .

على العز بن عبد السلام بالشام . وكان إماماً في الأصلين والمنطق ، وله الباع الواسع في المناظرة ، وهو من أعلم الناس بمذهب الأشعرى . وكان فقيهاً متقناً . قال بعض أصحابه : كان لا يفتى بمسألة حتى يقوم عنده الدليل عليها ، فإن لم ينهض عنده قال : مذهب الشافعى كذا ، أو الأصح عند الأصحاب كذا ، ولا يجزم .

وكان شيخ الإسلام ابن دقيق العيد كثير التعظيم له ، ويقول له إذا ناداه : يا إمام ، ويقول لابن الرفعة يا فقيه ، ويقول للسلطان فن دونه ، يا إنسان . ومع اتساع باعه في المباحث لم يوجد له كتاب أطال فيه النفس غير كتاب « الرد على اليهود والنصارى » بل له مختصرات ليست على مقداره ، منها كتاب « التحرير مختصر المحرر » في الفقه و « مختصر في الأصول » و « مختصر في المنطق » . قيل ما من علم إلا وله فيه مختصر .

وقد ولى قضاء الكرك قديماً ، ثم استقر بالقاهرة ، وتوفى بها في سادس ذى القعدة سنة (٧١٤ هـ) (١) .

٧ - تاج الدين الفركاح :

هو عبد الرحمن بن إبراهيم بن ضياء بن سباع الفزارى لقبه تاج الدين وكنيته أبو الحسن ، المعروف بالفركاح ولد في ربيع الأول سنة (٦٢٤ هـ) وتفقه على العز بن عبد السلام . وروى صحيح البخارى عن ابن الزبيدى وسمع من ابن الصلاح . وهو فقيه أهل الشام ، وكان إماماً مدققاً نظاراً . وكان العز يسميه « الدؤيبك » لحسن بحثه . وهو شافعى المذهب قال الكتبى : « وكان قليل المعلوم كثير البركة » . توفى سنة (٦٩٠ هـ) .

ومن مصنفاته « الإقليد للبرّ التقليد » شرحاً على « التنبيه » لم يتمه . و « شرح الورقات » لإمام الحرمين في أصول الفقه (٢) .

(١) راجع : فوات الوفيات (٢ : ١٥٠) وطبقات ابن السبكي (١٠ : ٣٣٩ - ٣٦٦) وطبقات الاسنوى (١ : ٢٨٦) .

(٢) راجع : فوات الوفيات للكتبى (١ : ٥٢٢) وطبقات الشافعية لابن السبكي (٨ : ١٦٣) .

٨ - العلامة أبو محمد هبة الله القفطى :

هو هبة الله بن عبد الله بن سيد الكل ، لقبه بهاء الدين ، وكنيته أبو القاسم كما فى ترجمته فى طبقات ابن السبكى وغيرها ، ولكن حينما ذكره ابن السبكى فى ترجمة العز كناه بأبى محمد . اختلف فى مولده فقليل : سنة (٦٠١ هـ) أو (٥٩٧ هـ) . وهو غير القفطى أبى الحسن على بن يوسف صاحب كتاب « انباء الرواة على أنباء النحاة » المولود سنة (٥٦٨ هـ) والمتوفى سنة (٦٤٦ هـ) .

قدم قوص فتنقه على الشيخ مجد الدين بن دقيق العيد القشبرى وقرأ الأصول على قاضىها الإمام شمس الدين الأصهبانى ، وبرع فى الفقه والأصول والنحو والفرائض والجبر . وانتهت إليه رئاسة المذهب الشافعى بقوص ، ثم توجه إلى إسنا ونشر السنة بها بعدما كان التشيع فاشياً بها ، وصنف كتاباً فى ذلك سماه « النصائح المفترضة فى فضائح الرفضة » ، وهما بقتله : فجاه الله تعالى منهم ، وتاب على يده خلق وأخذ العلم عنه خلق كثير ، منهم شيخ الإسلام تقي الدين بن دقيق العيد ولد شيخه ، وكان يحله ويقول : لولا البهاء بالصعيد لتخرج أهله بسبب الفتيا .

وقد صنف فى التفسير كتاباً وصل فيه إلى سورة كهيعص ، وله « شرح الهادى » فى الفقه خمس مجلدات ، و « شرح عمدة الطبرى » و « شرح مختصر أبى شجاع » وكتاب « الأنباء المستطابة فى فضائل الصحابة والقراة » . وقد توفى بإسنا سنة (٦٩٧ هـ) رحمه الله (١) .

هؤلاء من أهم تلاميذ العز ، وقد تتلمذ عليه كثير وذن من الصعب حصرهم .

(١) طبقات ابن السبكى (٨ : ٣٩٠ - ٣٩٢) وطبقات الاسنوى (٢ : ٣٣١) وبغية الوعاة (٢ : ٣٢٥) وحسن المحاضرة (١ : ٤٢٠) .

الفصل الخامس مؤلفاته وما نسب إليه

- ١ - مؤلفاته .
- ٢ - كتب نسبت إليه .

مؤلفاته

لقد نبغ العز في علوم الشريعة واللغة العربية ، فترك فيها مؤلفات كثيرة غالبها رسائل صغيرة ، فهو من الذين قيل فيهم علمهم أكثر من مصنفاتهم ، لا من الذين عبارتهم دون درايتهم . وسأتكلم عن مؤلفاته إجمالاً ، ثم أفصل القول فيها .

مؤلفاته إجمالاً

أولاً : التفسير وعلومه :

- ١ — اختصار تفسير الماوردي « النكت والعيون » . « خ »
- ٢ — تفسير القرآن العظيم من تأليفه . « خ »
- ٣ — أمالي عز الدين بن عبد السلام . « خ »
- ٤ — فوائد في مشكل القرآن . « ط »
- ٥ — الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المحجاز . « ط »

ثانياً : الحديث :

- ٦ — شرح حديث « لا ضرر ولا ضرار » .
- ٧ — شرح حديث أم زرع . « خ »
- ٨ — مختصر صحيح مسلم .

ثالثاً : العقيدة :

- ٩ — رسالة في علم التوحيد . « خ »
- ١٠ — وصية الشيخ عز الدين . « خ »
- ١١ — نبذة مفيدة في الرد على القائل بخلق القرآن . « خ »
- ١٢ — الفرق بين الإسلام والإيمان . « خ »
- ١٣ — بيان أحوال الناس يوم القيامة .
- ١٤ — ملحة الاعتقاد أو العقائد . « ط »

رابعاً : الفقه وأصوله :

- ١٥ - قواعد الأحكام في مصالح الأنام . « ط »
١٦ - القواعد الصغرى . « خ »
١٧ - الإمام في بيان أدلة الأحكام . « خ »
١٨ - مقاصد الصلاة . « خ »
١٩ - الترغيب عن صلاة الرغائب الموضوعة . « ط »
٢٠ - مقاصد الصوم . « خ »
٢١ - مناسك الحج . « خ »
٢٢ - أحكام الجهاد وفضله . « خ »
٢٣ - الغاية في اختصار نهاية المطلب في دراية المذهب لإمام
الحرمين الجويني . « خ »
٢٤ - الجمع بين الحاوى والنهاية .
٢٥ - شرح منتهى السؤل والأمل في علمى الأصول والجدل
لأبى عمرو بن الحاجب المالكي .

خامساً : الفتاوى :

- ٢٦ - الفتاوى الموصلية . « خ »
٢٧ - الفتاوى المصرية . « خ »

سادساً : التصوف :

- ٢٨ - شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال . « خ »
٢٩ - الفتن والبلايا والحن . « خ »
٣٠ - رسالة في القطب والأبدال الأربعين .
٣١ - مقاصد الرعاية لحقوق الله للحارث المحاسبى . « خ »
٣٢ - مسائل الطريقة في علم الحقيقة . « ط »

سابعاً : السيرة :

- ٣٣ - بداية السؤل في تفضيل الرسول عليه السلام أو غايات
الأصول فيما سنع من تفضيل الرسول . « خ »

٣٤ - قصة وفاة النبي صلى الله عليه وسلم . « خ »
ثامناً : علوم أخرى :

- ٣٥ - مجلس في ذم الحشيشة . « خ »
٣٦ - نهاية الرغبة في أدب الصحبة . « خ »
٣٧ - ثلاثة وثلاثون شعراً في مدح الكعبة . « خ »
٣٨ - ترغيب أهل الإسلام في سكنى الشام . « ط »

مؤلفاته تفصيلاً

سأحدث عن مؤلفاته على وجه التفصيل معرفاً بها ، ومبيناً المطبوع منها والمخطوط ، ومكان وجوده معتمداً في ذلك على بعض هذه المؤلفات نفسها وطبقات الشافعية لابن السبكي ، وتاريخ الأدب العربي لبروكلمان (١ : ٤٨٨ - ٥٥٤) وذيله (١ : ٧٦٦ - ٧٦٩) ، وكشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة ، وفهارس المكتبات .

وسأقتل نماذج من بعضها لإيضاح أسلوب العز وطريقة معالجته للموضوع . وسأقوم بدراسة مختصرة لكتابه « قواعد الأحكام » و « الإشارة إلى الإيجاز » لا تحقق من قول ابن السبكي : إنهما شاهدان بإمامة العز وعظيم منزلته في علوم الشريعة (١) .

أولاً : التفسير وعلومه :

يوجد للعز تفسيران :

أحدهما : اختصار تفسير الماوردي « النكت والعيون » ، يوجد منه نسخة واحدة بدار الكتب المصرية برقم (٣٢) تفسير ، تقع في (٢٣٠) ورقة أي (٤٦٠) صفحة .

وقد بدأ تفسيره هذا بمقدمة ذكر فيها أسماء القرآن ، ومعنى السورة والآية والأحرف السبعة والإعجاز بكلام موجز ، ثم شرع في تفسير القرآن سورة سورة من الفاتحة إلى سورة الناس .

(١) راجع : كتابه « طبقات الشافعية » (٨ : ٢٤٧) .

وقد قمت بدراسة هذا التفسير دراسة مفصلة تشتمل على مصادره ، وتأثر المفسرين به ، ومنهجه ، وستأق في الباب الثاني .

كما قمت بتحقيقه تحقيقاً علمياً بتخريج الأحاديث والأشعار التي استشهد بها ، والتعريف بالأعلام الواردة فيه ، وبيان غريبه ، والتعليق عليه ، وهو تحت الطبع وسيصدر قريباً إن شاء الله .

الثاني : تفسير كامل للقرآن العظيم من تأليفه ، ويوجد منه ثلاث نسخ ، إليك وصفها ، ومكان وجودها . :

النسخة الأولى : توجد في مكتبة دماذ إبراهيم باشا باستنبول برقم (١١٥) . وتقع في مجلد صغير يحتوى على تفسير جميع سور القرآن الكريم في (٣٦٣) ورقة . ومكتوب بجزوار العنوان ترجمة مختصرة للعز بن عبد السلام ، وفي آخر النسخة هذه العبارة : « علقه في مدة آخرها العاشر من جماد الأولى من سنة ثلاث وتسعين وسبعائة بالشرفية بحلب إبراهيم سبط ابن العجمى عفا الله عنه وكرمه ، والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم » . وخطها صغير سيء تصعب قراءته ، وأوائل الآيات مكتوبة بالحمرة . عدد الأسطر (١٩) وكلمات السطر (١١) والمقاس (١٩ × ١٤) سم .

النسخة الثانية : توجد في مكتبة قليج على باشا باستنبول برقم (٤٣) . وتقع في مجلد متوسط الحجم بعنوان « تفسير القرآن العظيم » يحتوى على تفسير جميع سور القرآن في (٢٨٦) ورقة إلا أن بعض أوراقه مسودّة ومتأكلة نتيجة سوء التخزين ، وهذه الأوراق في حدود خمس النسخة . وهى غير مرقمة ، وخطها جيد ، وقد نسخت سنة (١٨٨١ هـ) .

النسخة الثالثة : تقع في مجلدين ، ويوجد منها المجلد الثاني في مكتبة قطر برقم (٢٥ : ٧٢٣) ويشتمل على تفسير النصف الأخير من القرآن من أول سورة مريم إلى سورة الناس . مكتوب عليه : « الجزء الثانى وهو النصف من كتاب تفسير القرآن العزيز تأليف الشيخ العلامة الإمام شيخ الإسلام سلطان الأعلام والعلماء أبو محمد عز الدين بن عبد السلام رحمه الله تعالى وإيانا أمين أمين أمين » .

ويقع في (٢٤٨) ورقة مقاس ٢١ ١/٢ × ١٥ ١/٢ سم ، عدد الأسطر في

الصفحة (١٧) وكلمات السطر (١٢) كلمة تقريباً . مخطوط بقلم عمر بن محمد القادري مسلكا الشافعي مذهبا في سابع عشر شوال سنة ثلاث وسبعين وثمانمائة . وخطه نسخ جميل واضح ، الفواصل وأسماء السور بالمداد الأحمر . ورقه صقيل جيد بعضه أصفر والبعض الآخر أبيض ، وعليه مطالعة لأحمد التاجر سنة (١٠٢٢ هـ) وترقيم أوراقه متأخر ، يبدو أنه من فعل مصنف المكتبة ، وبه خرم في ورقة (١٠١) .

وقد قابلت بين هذه النسخ فتيين أنها ثلاث نسخ لتفسير العز بن عبد السلام ، وهو تفسير كامل للقرآن الكريم من تأليفه بعبارة مختصرة ، اهتم فيه ببيان معاني الكلمات ، وذكر الوجوه اللغوية وبعض الوجوه النحوية والتكات البلاغية مع العناية بالأحكام الفقهية .

وستأتى في الباب الثاني مقارنة بينه وبين تفسيره الذي اختصر فيه تفسير الماوردي .

وقد ذكر بروكلمان أنه يوجد لتفسير العز بن عبد السلام نسخة في مكتبة دماذ زادة باستنبول برقم (٨١) (١) وبعد اطلاعي عليها تبين أنها نسخة لتفسير السلمي أبي عبد الرحمن « الحقائق والإشارات » كما يوجد له نسخة أخرى في نفس المكتبة برقم (٨٢) .

٣ - آمالي عز الدين بن عبد السلام :

يوجد لهذا الكتاب خمس نسخ مخطوطة ، كل نسخة عليها عنوان يخالف الأخرى ، وهي كالآتي :

الأولى : نسخة المتحف البريطاني برقم ٧٧١٣ - ٥٧٠ وعنوانها « مسائل وأجوبة في علوم متعددة من القرآن والحديث والفقه » . وقد نسخت في ٢٢ صفر سنة (٨٤٥ هـ) .

الثانية : نسخة أخرى في المتحف البريطاني برقم ٩٦٩١ - Add ضمن مجلد يتعلق بالفقه مكتوب بخط مغربي جميل ، من ورقة (١١٢) إلى

(١) راجع : ذيل كتابه « تاريخ الأدب العربي » (١ : ٧٦٦ - ٧٦٩) ، ترجم ل ذلك الأستاذ: المرحوم رشاد عبد المطلب سكرتير معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية .

(١٦١ ب) وليس لها عنوان ، لكن القسم الذى يحتوى على التفسير ينتهى بالملاحظة التالية : « هنا ينتهى ما أملاه الشيخ فى تفسير القرآن » وقد سقط منها عشر ورقات من وسطها ، وليس عليها تاريخ النسخ .

الثالثة : نسخة دار الكتب المصرية برقم (٧٧ تفسير م) وعنوانها « فوائد العز بن عبد السلام » وتسمى - أيضاً - بإعجاز القرآن . مخطوطة سنة (٩٨٢ هـ) بخط أحمد خطاب المنشاوى الشعراوى ، وخطها جيد . عدد أوراقها ١٦٦ ورقة .

وتمتاز النسختان السابقتان على هذه النسخة بأن الفوائد فيهما مرتبة فأولاً فوائد فى القرآن مرتبة حسب ترتيب الآيات والسور ، ثانياً : فوائد فى الحديث ، ثالثاً : فوائد فى الفقه . بينما هذه النسخة الفوائد فيها متداخلة ففائدة فى القرآن تليها فائدة فى الفقه أو الحديث ، وهكذا .

وقد اعتمد الدكتور رضوان الندوى على هذه النسخ الثلاث فى تحقيق القسم الأول من الكتاب ، وهو الفوائد المتعلقة بالقرآن .

وقد عثرت على نسختين أخريين :

إحداهما : نسخة مخطوطات الخزانة الأלוسية فى مكتبة المتحف العراقى ، وعنوانها : « فوائد فى علوم القرآن » برقم (٨٧٥٤) ، وخطها جيد مرققة الصفحات وهى ٢٣٤ صفحة ، مقاس (٢٠ × ١٤ سم) عدد الأسطر (٢١) .

والأخرى : نسخة مكتبة كوبرللى باستنبول برقم (٤٤) وعنوانها : « آمالى عز الدين بن عبد السلام على القرآن العظيم » ، ومكتوب بعد العنوان : « تضمن أحكام وأبحاث على شىء من المشكل وأجوبه عنها ، وعلى شىء من الحديث الشريف له - أيضاً - وقواعد وفوائد » .

ومعلوماتها مرتبة كالنسختين السابقتين ، وخطها لا بأس به ، وليس عليها اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ ، عدد أوراقها (٩٣) ورقة ، مقاس ٢٦ × ١٦ وفى الصفحة (٢٣) سطراً ، وفى السطر (١٢) كلمة تقريباً .

وقد ذكرت هذه « الأمالى » هنا لأن غالب ما ورد فيها فى التفسير وعلومه

حتى أن بعض النسخ وردت بعنوان « آمالي عز الدين بن عبد السلام على القرآن العظيم » .

٤ - فوائد في مشكل القرآن :

هذا الكتاب مطبوع بوزارة الأوقاف في الكويت عام ١٩٦٧م بتحقيق الدكتور رضوان الندوى .

وهو القسم الأول من « الأمالي » المتعلق بالقرآن .

ولعل العز أملاه في دروسه في التفسير التي أشار إليها مترجموه إذ قالوا : « وهو أول من ألقى التفسير دروساً بمصر » .

وطريقته في هذا الكتاب أنه يصور أشكالا حول آية من آيات القرآن الكريم في مسألة ، ثم يجيب عنها بجواب موجز مفيد . وقد تناول في هذه المسائل بعض الآيات من سور القرآن مرتبة من سورة الفاتحة إلى سورة الناس .

وأكثر هذه المسائل في اللغة والنحو والبلاغة قد اعتمد على مصادر أصيلة مشهورة . فمن مصادره « معاني القرآن » للفراء (ت ٢٠٧ هـ) ، و « الحجة في القراءات السبع » لأبي علي الفارسي (ت ٣٧٧ هـ) ويقتبس منه أكثر من المصدر الأول ، و « المحرر الوجيز » لابن عطية (ت ٥٤١ هـ) ، و « الكشف » للزخشرى (ت ٥٢٨ هـ) ويتعقبه كثيراً وإليك أمثلة من هذا الكتاب لبيان منهج العز وأسلوبه :

المثال الأول : تفسيره لقوله تعالى : ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ قال (ص ١٤) : « وقدم ﴿ إياك نعبد ﴾ على ﴿ وإياك نستعين ﴾ لأن ﴿ إياك نستعين ﴾ خبر بمعنى الدعاء ، فيكون من النصف المختص بالعبد ، والعبادة مختصة بالله تعالى ، وقد قال عليه السلام حكاية عن الله سبحانه وتعالى : « قسمت الصلاة بيني وبين عبدى نصفين » ، ثم قال : « وإذا قال العبد : إياك نعبد وإياك نستعين قال الله : هذه بيني وبين عبدى ولعبدى ما سأل » فقدم إياك نعبد ليقع ما لله في نصفه ، وما للعبد في نصفه ، أو قدم اهتماماً بذكر العبادة ، لأنهم يقدمون الأهم فالأهم » .

المثال الثاني : تصويره لأشكال حول آية وإجابته عليه حيث قال (ص ٢٨) : « في قوله عز وجل ﴿ ذلك الكتاب لا ريب فيه ﴾ . [البقرة : ٢] فيه سؤالان :

أحدهما : كيف يقول : ﴿ لا ريب فيه ﴾ وقد وقع الريب فيه من أهل الملل ؟ .

الثاني : أن الريب في المرتاب لأن الريب الشك ، وهو في الشاك لا في المشكوك فيه ، ونفيه عن الكتاب يستلزم صحة وقوعه فيه ، وليس كذلك ؟ والجواب عن الأول يجوز أن يكون عاماً مخصوصاً بأهل الكفر ، أو على حذف مضاف تقديره : لا سبب ريب فيه . يعنى من الركافة والمعنى والتناقض والاختلاف ، أو يكون خبراً بمعنى الأمر كقوله : ﴿ فلا رث ولا فسوق ﴾ [البقرة : ١٩٧] أى لا ترفثوا ولا تفسقوا .

وعن الثاني : أن معنى قولنا : ارتبت في كذا شككت فيه واحترت فيه وأكثرت النظر فيه ، وما أشبه ذلك مما يستحيل فيه ظرفية هذه المعاني ولكنها تتعلق بالمشكوك فيه تتعلق المظروف الجسمى بالظرف الجسمى « . من المثالين السابقين يتضح تمكن العز من اللغة العربية وفهمه للفروق الدقيقة بين معانى الألفاظ والحروف وإدراكه للنكات البلاغية .

٥ - الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز :

ويذكر في مصادر قديمة بـ « مجاز القرآن » . وقد لخصه مع زيادات كثيرة السيوطى (ت ٩١١ هـ) في كتاب سماه « مجاز الفرسان إلى مجاز القرآن » (١) ، ولكنه لم يصل إلينا .

وقد طبع كتاب العز في استنبول مرتين سنة ١٣١١ هـ وسنة ١٣١٣ هـ ، وهذه الطبعة تقع في ٢٩٦ صفحة ، وقد صُورت هذه الطبعة بالأوفست بمطبعة دار الفكر بدمشق وقد اعتمدت عليها في التعريف به .

وموضوعه في علم البيان والمعاني ، وقد قال ابن السبكي : إنه وكتاب

(١) راجع : كتابه « الإتيان في علوم القرآن » (٢ : ٣٦) .

« قواعد الأحكام » شاهدان بإمامة العز وعظيم منزلته في علوم الشريعة (١) .
لذا رأيت أن أتوقف عند هذين الكتابين ، وأتأمل فيهما لأتحقق مما قاله
ابن السبكي .

ويتكون كتاب العز « الإشارة إلى الإيجاز » من مقدمة ، وبابين فيهما
فصول كثيرة .

وهذه المقدمة قصيرة تقع في خمسة أسطر ، ومما قاله فيها تعريف الاختصار
وهو : « الاقتصار على ما يدل على الغرض مع حذف ، أو إضمار ، والعرب
لا يحذفون ما لا دلالة عليه ولا وصلة إليه ، لأن حذف ما لا دلالة عليه مناف
لغرض وضع الكلام من الإفادة والإفهام . وفائدة الحذف : تقليل الكلام
وتقريب معانيه إلى الأفهام » .

والباب الأول في أنواع الحذف . وقد ذكر فيه تسعة عشر نوعاً ،
منها :

- ١ - حذف المضاف .
- ٢ - حذف المفعولات .
- ٣ - حذف الموصوفات .
- ٤ - حذف الأقوال .
- ٥ - حذف الشروط .
- ٦ - حذف أجوبة الشروط .
- ٧ - حذف جواب لو الخ .

ثم تحدث عن كل نوع من أنواع الحذف وأدلته ومثل له من القرآن
والحديث وكلام العرب وشعرهم .

فقال في (ص ٧) : « النوع الأول : حذف المضافات ، وله أمثلة
منها نسبة التحليل والتحريم والكراهة والإيجاب والاستحباب إلى الأعيان ،
فهذا من مجاز الحذف ، إذ لا يتصور تعلق الطلب بالإجرام ، وإنما تطلب
أفعال يتعلق بها . فتحريم الميتة تحريم لأكلها وتحريم الخمر تحريم لشربها ،
وتحريم الحرير تحريم لاستعماله ، وكذا تحريم أواني الذهب والفضة ، وتحريم
الصدقة في قوله عليه السلام « لا تحل الصدقة لنحمد ولا لآل محمد » وفي قوله :
« لا تحل الصدقة لغني » تقديره فيهما : لا يحل أخذ الصدقة ، أو تناول الصدقة .

(١) راجع : كتابه « طبقات الشافعية » (٨ : ٢٤٧) .

والمراد بالصدقة ههنا : الزكاة ، إذ لا تحرم صدقة التطوع على الغنى ولا على ذى المرة السوى . وكذلك قوله تعالى : ﴿ حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم ﴾ . [النساء : ١٦٠] أى حرمنا عليهم أكل طيبات أحل لهم أكلها ، أو تناولها ، وتقدير التناول أولى ليدخل فيه شرب ألبان الإبل فإنها من جملة ما حرم عليهم .

ففى هذا النص بين النوع الأول من أنواع الحذف ، وهو حذف المضافات ، ومثل له من القرآن والحديث . ويلاحظ أن ثقافته الفقهية والأصولية قد أثرت على بحثه البلاغى هنا .

وقال فى ص (١٤) : « فائدة : ليس حذف المضاف من المجاز ، لأن المجاز استعمال اللفظ فى غير ما وضع له أولاً . والكلمة المحذوفة ليست كذلك وإنما التجوز فى أن ينسب إلى المضاف إليه ما كان منسوباً إلى المضاف كقوله تعالى : ﴿ وأسأل القرية التى كنا فيها والعير التى أقبلنا ﴾ . [يوسف : ٨٢] ، فنسبة السؤال إلى القرية والعير هو التجوز ، لأن السؤال موضوع لمن يفهمه ، فاستعماله فى الجادات استعمال اللفظ فى غير موضعه فكونهما مسؤولين من جهة اللفظ دون المعنى هو المجاز .

ومصحح هذا المجاز ما بين أهل القرية وأصحاب العير من ملازمتها ، وشرط مجاز الملازمة أن تقع الملازمة فى غالب الأمر ولا يشترط عدم الانفكاك » .

فى هذا النص بيّن أن حذف المضاف ليس من المجاز ، وقد وجه ذلك بتوجيه دقيق فى عبارة واضحة وموجزة . وأسلوب سلس ، ومثل لذلك بآية من القرآن ، وطبق عليها ما قرره .

فتطرق لهذا المبحث الدقيق من المجاز وتقريره وشرحه على هذا النحو الذى لا يصل إليه إلا أصحاب الاختصاص ، دليل على سعة علمه بهذا الفن وتمكنه منه .

وبالباب الثانى فى المجاز ، وقد عرفه وفرق بينه وبين الحقيقة بقوله فى (ص ٢٨) : « المجاز فرع للحقيقة ، لأن الحقيقة استعمال اللفظ فيما وضع دالا عليه أولاً . والمجاز استعمال لفظ الحقيقة فيما وضع دالا عليه ثانياً لنسبة وعلاقة

بين مدلولي الحقيقة والحجاز ، فلا يصح التجوز إلا بنسبة بين مدلولي الحقيقة والحجاز ، وتلك النسبة متنوعة على ما سنذكره ، فإذا قوى التعلق بين محلي الحقيقة ، والحجاز فهو الظاهر الواضح ، وإذا ضعف التعلق بينهما إلى حد لم تستعمل العرب مثله ولا نظيره في الحجاز فهو مجاز التعقيد فلا يحمل عليه شيء من الكتاب والسنة ولا ينطق به فصيح . وقد تقع علاقة بين الضعيفة والقوية فن العلماء من يتجوز بها لقوتها بالنسبة إلى العلاقة الضعيفة ، ومنهم من لا يتجوز بها لانحطاطها عن العلاقة القوية . مثال العلاقة القوية قول الرجل لامرأته : اعتدى ، واستبرئى رحمك ، يريد بذلك الطلاق ، فهذا مجاز قوى من جهة أن الاستبراء والاعتداد مسببان عن الطلاق ، والتعبير بلفظ المسبب عن السبب كثير في كلام العرب . ومثال العلاقة الضعيفة : قول الزوج لامرأته : بارك الله فيك ، أو اطعميني ، أو اسقيني ، أو تنعمي ينوى بذلك الطلاق ، فهذا لا يقع به طلاق لضعف العلاقة المصححة للتجوز إذ لم تستعمل العرب مثله » الخ .

في هذا النص عرّف الحقيقة والحجاز وقسم الحجاز — باعتبار علاقته — إلى ثلاثة أقسام : أحدها : الظاهر الواضح ، والثاني : المعقد ، والثالث بينهما . ومثل لذلك ، وطبق على الأمثلة ما قرره وشرحه .

كل ذلك بعبارة سهلة واضحة موجزة ، وما ورد في هذا النص دليل على سعة علمه وطول باعه في هذا الفن ، كما فيه أثر ثقافته الفقهية والأصولية على بحثه البلاغي . وهذا مؤكد لما سبق ذكره .

ثم قال في (ص ٣٠) : « وقد تجوز العرب في الأسماء والحروف والأفعال » ثم فصل أنواع ذلك ، ومثل عليها من القرآن والحديث وكلام العرب وشعرهم .

ومن فصول هذا الباب الفصل السادس والأربعون في مجاز الحجاز ، قال في (ص ١٤٥) : « وهو أن يجعل الحجاز المأخوذ عن الحقيقة بمثابة الحقيقة بالنسبة إلى مجاز آخر ، فتجوز بالحجاز الأول عن الثاني لعلاقة بينه وبين الثاني ، مثال ذلك قوله تعالى : ﴿ ولكن لا تواعدوهن سرا ﴾ [البقرة : ٢٣٥] ، فإنه مجاز عن مجاز ، فإن الوطاء يتجوز عنه بالسرا ، لأنه لا يقع

غالباً إلا في السر ، فلما لازم السر في الغالب سمي سرّاً ، ويتجاوز بالسر عن العقد لأنه سبب فيه ، فالمصحح للمجاز الأول الملازمة ، والمصحح للمجاز الثاني التعبير باسم المسبب الذي هو السر عن العقد الذي هو سبب ، كما سمي عقد النكاح نكاحاً لكونه سبباً في النكاح ، وكذلك سمي العقد سرّاً لأنه سبب في السر الذي هو النكاح ، فهذا مجاز عن مجاز مع اختلاف المصحح ، فعني قوله : ﴿ ولكن لا تواعدوهن سرّاً ﴾ لا تواعدوهن عقد نكاح .

ففي هذا النص تناول العز مسألة من أدق مسائل المجاز ، وهي مجاز المجاز ، فبينها أوضح بيان في عبارة سلسلة موجزة لا يقدر عليها إلا أصحاب الاختصاص .

ومن فصول هذا الباب الفصل الثامن والأربعون في أمثلة من حذف المضافات على ترتيب السور والآيات .

وهذا الفصل من أطول فصول الكتاب حيث بدأ من (ص ١٤٩) إلى (ص ٢٥٧) وهو فصل تطبيقي فقد طبق فيه العز أنواع الحذف التي شرحها وقررها في الباب الأول . فقال في (ص ١٤٩) : « سورة البقرة : ﴿ لا ريب فيه ﴾ أى لا تشكوا في إنزاله . أو في هدايته . أو لا سبب ريب فيه ، كالتناقض والاختلاف . أو لا ريب فيه عند المؤمنين تعبيراً بالعام عن الخاص . ﴿ ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر ﴾ أى آمنا بوحداية الله ، وبإتيان اليوم الآخر : أو لا حاجة إلى حذف في قوله : ﴿ وباليوم الآخر ﴾ » .

وختم هذا الفصل بقوله في (ص ٢٥٧) : « فهذا ما حضر من المضافات المحذوفة ، ووراء ما ذكرته حذف كثير في مضافات خفية . ومهما تردد المضاف بين المجاز والحقيقة نظرت إلى أحسنهما وقدرته محذوفاً ، فإن استويا نظرت إلى أيهما أشد ملائمة للسياق وموافقة له فقدرته ، وقد يتردد المضاف بين أن يكون مجملاً أو مبيناً ، وتقدير المبين أحسن ، مثاله قوله تعالى : ﴿ وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث ﴾ . [الأنبياء : ٧٨] ، والمراد بالحرث الزرع ، أو الكرم ، لك أن تقدر إذ يحكمان في أمر الحرث ، ولك أن تقدر إذ يحكمان في تضمين الحرث ، وهذا أولى لتعينه ، والأمر

مجمّل مرّد بين أنواع ، ومهما ترّد المخرّف بين الحسن والأحسن وجب تقدير الأحسن ، لأن الله وصف كتابه بأنه أحسن الحديث فليكن مخرّفه أحسن المخرّفات كما أن ملفوظه أحسن الملفوظات .

فهذه الخلاصة التي ذكرها العز في ختام هذا الفصل من الفوائد الجليلة النافعة ، فعلى من يتصدى لتفسير كتاب الله أن يتدبر ما جاء فيها ، ويسير على نهجه حتى يقدر كتاب الله حق قدره ويضعه في منزلته .

وقد ختم العز كتابه بفصول في مقاصد القرآن وبيان اللغات التي نزل بها ،
وأسمائه ، وإعجازه ، وأنواع الحمد ، وأقسام التفسير من صفحة ٢٥٩
إلى آخر الكتاب .

بعد هذه الجولة الممتعة السريعة في هذا الكتاب يستطيع البحث أن يقول : إن العز بلغ في كتابه مبلغاً عظيماً ، وحقق نتائج جليلة ، وأبرز ما اشتمل عليه كتاب الله من فنون البيان والمعاني ، وحقق ما فيه من إعجاز لم يستطع العرب الفصحاء أن يأتوا بمثله رغم ما كانوا يجيدون من فنون القول .

وقد ركز العز في كتابه على القرآن الكريم ، وتناول أثناء ذلك بعض الأحاديث ، فهو من الكتب التي أفردت مجاز القرآن بالدرس والبحث والتطبيق .

وأول كتاب ألف في هذا الشأن كتاب الشريف الرضى « تلخيص البيان في مجازات القرآن » (١) . ولكن كتاب الغز يمتاز عليه حيث جمع بين ذكر قواعد المجاز ومصطلحاته وتطبيق ذلك على آيات القرآن مع الشرح والتقرير ، بينما اقتصر الشريف الرضى على التطبيق فقط ، ولم يتقيد بمصطلحات علماء البلاغة ، قال الدكتور طه محمد الزيني : « فإن الشريف رحمه الله لم يتقيد بما اصطلح عليه علماء البلاغة من أسماء الاستعارة والتشبيه والكناية والمجاز وغيرها . فهو يجعل التشبيه مجازاً مرة ، واستعارة مرة أخرى ، ولا يبين الاستعارة التصريحية من المكنية ولا الأصلية من التبعية ، ولا يفرق بين

(١) راجع : مقدمة تحقيقه للأستاذ محمد عبد الغني حسن ص ٣٠ .

التشبيه البليغ والتشبيه المرسل ، ولا بين المجاز العقلي والمرسل » (١) اهـ .

قلت : وللشريف العذر في ذلك ، فقد عاش في القرن الرابع والبلاغة لم تستكمل أبحاثها ولم تنضج بعد ، فلم يأت الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) صاحب كتاب « أسرار البلاغة » و « دلائل الإعجاز » والسكاكي (ت ٦٢٦ هـ) صاحب كتاب « مفتاح العلوم » ، وابن الأثير (ت ٦٣٧ هـ) صاحب كتاب « المثل السائر » و « البرهان في علم البيان » . أما العز فقد جاء بعد هؤلاء الأساطين الذين قعدوا القواعد وحرروا المصطلحات فنهل من علمهم ، واستطاع أن يهضمه بما وهبه الله من ذكاء حاد ، ويعالج به أساليب كتاب الله فيظهر ما فيها من روعة وجمال .

وسوف أنقل لك نبذة من كتاب الشريف الرضى حتى يتضح لك الفرق بين منهج الكتاتين :

قال الشريف في (ص ١٧٣) : « قوله سبحانه : ﴿ واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها ﴾ . [يوسف : ٨٢] ، وهذه استعارة من مشاهير الاستعارات ، والمراد : واسأل أهل القرية التي كنا فيها ، وأصحاب العير التي أقبلنا فيها . ومما يكشف عن ذلك قوله تعالى في السورة التي يذكر فيها الأنبياء عليهم السلام : ﴿ ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث لأنهم كانوا قوم سوء فاسقين ﴾ . [٧٤] والقرية هي الأبنية المفروشة والخطط المسكونة لا يصح منها عمل الخبائث فعلم أن المراد بذلك أهلها » .

فقارن هذا النص بنص العز السابق في أن حذف المضاف ليس من المجاز فقد استدلل بهذه الآية ، فقال : إن قدرنا المضاف المحذوف في الآية ، وهو الأهل فليس فيها مجاز ، لأن توجيه السؤال إلى أهل القرية وأهل العير استعمال حقيقى للفظ ، وإنما التجوز في عدم تقدير المضاف فيتوجه السؤال إلى القرية والعير ، وهى لا تعقل ، فيكون اللفظ استعمال في غير ما وضع له .
بينما ذكر الشريف أن في الآية استعارة من مشاهير الاستعارات وأن المراد أهل القرية ، ولم يتناول التفاصيل الدقيقة التي جاء بها العز .

(١) راجع : مقدمة تحقيقه لكتاب الشريف الرضى « المجازات النبوية » صفحة (د ، هـ) .

من هذه المقارنة السريعة يتضح أن الرجلين يختلفان في المنهج ، فالشريف يبين المجاز في آيات القرآن من كل سورة بالترتيب ، ولا يعنى بتقرير قواعد المجاز ومصطلحات علماء البلاغة ، بل يكتفى بالتطبيق ، بينما العز يقرر القاعدة ثم بعد ذلك يطبقها على آيات من القرآن من سور مختلفة .
وهناك أمثلة كثيرة تدل على نتائج هذه المقارنة السريعة تركتها خشية الإطالة .

ثانياً - الحديث :

١ - شرح حديث « لا ضرر ولا ضرار » :

نسبه إليه رضوان الندوى (١) .

٢ - شرح حديث « أم زرع » الذى روته أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها :

يوجد بمكتبة الفاتح باستنبول برقم (١١٤١) ويقع فى ثلاث ورقات ، وفى الصفحة (٢١) سطراً ، وفى السطر تسع كلمات تقريباً وهو ملحق بمجلد كبير به مختصر صحيح مسلم للمحافظ المنذرى (ت ٦٥٦ هـ) مخطوط فى منتصف جمادى الآخر سنة (٧١٥ هـ) بدمشق بيد محمد بن الحسين الحنفى . وخطه جميل مقاس ٢٧×١٨ سم وقد طبع هذا المختصر بتحقيق الألبانى عام ١٣٩٧ هـ .

وأول الشرح قوله : « بسم الله الرحمن الرحيم : شرح حديث أم زرع وهو قول النسوة اللآتى اجتمعن وتعهدن أن لا يكتمن من أخبار أزواجهن شيئاً ، قول الأولى زوجى لحم جمل غث يعنى المهزول على رأس جبل تصف قلة خيره وبعده مع القلة كالشئ فى قلة الجبل الصعب ، لا ينال إلا بالمشقة ، قال الخطابى : معنى البعد فى هذا أن يكون وصفته بسوء الخلق والترفع فى نفسه ، والذهاب بهاتها وكبرا تريد أنه مع قلة خيره ونزارته قد يتكبر على العشيرة فيجمع إلى منع الرغد الأذى وسوء الخلق » . وهكذا ينقل عن أبى عبيدة والأصمعى والهروى وابن الإعرابى وغيرهم .

(١) راجع : كتابه « العز بن عبد السلام » ص ٧٥ .

وفي آخره « تم شرح حديث أم زرع والحمد لله وحده وصلوات الله على سيدنا محمد وآله أجمعين عنى به الشيخ الإمام العلامة الفقير إلى الله تعالى عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمى نور الله مضجعه » .

٣ - مختصر صحيح مسلم :

نسبه ابن السبكي (١) إليه ، ولم يذكر أحد من المترجمين له مكان وجوده - حسب علمي - ولعله مما نسب إليه خطأ لأنني اطلعت على رسالة الغز في شرح حديث أم زرع ملحقة في آخر مختصر صحيح مسلم للمحافظ المنذرى المعاصر للغز - كما سبق بيانه - ففعل الذى نسبته إلى الغز اطلع على آخر الكتاب فنسبه كله إليه بدون تحقيق . والله أعلم .

ثالثاً : العقيدة :

١ - رسالة في علم التوحيد :

توجد نسخة منها في مكتبة برلين برقم (٢٤٢٦) ، ونسخة أخرى في المكتبة الظاهرية بدمشق برقم (٥٢٠٧) ضمن مجموع من ورقة ٨ - ٩ ، وهى ورقة فقط عدد أسطرها (٤٥) سطراً ، عدد كلمات السطر (١٣) كلمة تقريباً مقاس ٢٠,٥ × ١٤ سم خطها صغير وواضح .

وقد ذكر الدكتور على مصطفى أنها تقع في (٢٣) ورقة ، وهذا خطأ لأننى قد اطلعت على نسخة المكتبة الظاهرية في ورقة واحدة فقط ، وهو لم يطلع عليها كما قال (٢) .

وقد جاء في أولها « بسم الله الرحمن الرحيم قال شيخ الإسلام عز الدين ابن عبد السلام - رحمه الله تعالى - : أما بعد فإننى نظرت فرأيت دابر الشقاوة والسعادة يدور على مراكز الإرادة وبينهما دقيق يدق عن التحقيق ومضيق يفترق صاحبه إلى رفيق التوفيق ، فالإرادة تهب والإرادة تنهب فما وهبه الأمر نهبته الإرادة ، والأمر يقول افعل والإرادة تقول لا تفعل والفعال لما يريد

(١) راجع : كتابه « طبقات الشافعية » (٨ : ٢٤٨) .

(٢) راجع : رسالته « الإمام الغز بن عبد السلام » (١ : ٢٣٢) .

لا يُسأل عما يفعل . قوم علقوا بالأمر فزلوا ، وقوم علقوا بالإرادة فضلوا وقوم جمعوا بين الأمر والإرادة فهدوا إلى الصراط المستقيم واستقلوا » . وهكذا أخذ يفصل مذهب كل فريق وفي آخر الرسالة قال « ثم اعلم أن هذه المسألة المشكلة المعضلة هي أصل منشأ الهدى والضلالة ومفرق طريق العلم والجهالة ، ولقد تورط في تحقيقها كثير من الجاهل وعمى عن طريقها أعم من الضلال ، والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم » .

٢ - وصية الشيخ عز الدين :

هذه رسالة صغيرة في العقيدة موجودة بالمكتبة الظاهرية برقم (٥٢٥٨) ضمن مجموع من الورقة ١٨٨ - ١٨٩ . وهي ورقتان ، في الصفحة (١٦) سطراً وفي السطر سبع كلمات تقريباً مقاس ١٨ × ١٢,٥ سم وخطها واضح . أولها : « اعلم أن حقوق الله تعالى على القلوب منقسمة إلى المقاصد والوسائل فأما المقاصد : فمعرفة ذات الله تعالى وصفاته . وأما الوسائل فمعرفة أحكامه تعالى فإنها ليست مقصودة لغيرها وإنما هي مقصودة للعمل بها ، وكذلك الأحوال قسمان : أحدهما : مقصود لنفسه ، كالمهابة والإجلال ، والثاني : وسيلة إلى غيره كالخوف والرجاء ، فإن الخوف وازع عن المخالفات لما رتب عليها من العقوبات .

والرجاء حاث على تكثير الطاعات لما رتب عليها من المثوبات والحقوق المتعلقة بالقلوب أنواع . النوع الأول : معرفة ذات الله تعالى ، وما يجب لها من الأزلية والأبدية والأحدية وانتفاء الجوهرية والعرضية والجسمية والاستغناء عن الموجب والموجد والتوحد بذلك عن سائر الذوات النوع السادس عشر : النظر في تعرف ذلك واعتقاده ، وهو واجب وجوب الوسائل . تمت العقيدة بحمد الله وحسن توفيقه » .

وهذه الوصية أو العقيدة قد ذكرها العز في كتابه « قواعد الأحكام في مصالح الأنام » : (١ : ١٩٨ - ٢٠٥) ، وسيأتى في الدراسة الموجزة لهذا الكتاب التنبيه على أن إيرادها في كتاب يركز على الأحكام الفقهية من قبيل الاستطراد .

وفي إيراد العز لهذه الوصية في كتابه « قواعد الأحكام » رد على الدكتور
على مصطفى الفقيه حيث نفي نسبتها إليه ونسبها إلى عز الدين بن عبد السلام،
المقدسي (١) .

٣ - نبذة مفيدة من الرد على القائل بخلق القرآن :

موجودة بدار الكتب المصرية برقم (٢٠٧٤٠) ضمن مجموع من
ورقة ٤٤ - ٤٦ .

٤ - الفرق بين الإسلام والإيمان :

توجد منه عدة نسخ كالآتي :

- (أ) نسخة بدار الكتب المصرية برقم (٦٥١) علم الكلام .
- (ب) نسخة مصورة بمعهد مخطوطات جامعة الدول العربية مع كتاب .
آخر للعز وهو شجرة المعارف برقم (٣٨٣) تصوف .
- (ج) فهرس مكتبة اسكوريال ج ٢ رقم ٢ : ١٥٣٦ .
- (د) مكتبة قيروان ١٨٤ .

٥ - بيان أحوال الناس يوم القيامة :

نسبه إليه رضوان النوى (٢) .

٦ - ملحة الاعتقاد أو العقائد :

هذه رسالة مطبوعة ضمن ترجمة العز في طبقات الشافعية لابن السبكي
(٢١٩ - ٢٣٤) نقلا عن الشيخ عبد اللطيف بن العز . كما طبع قسم
منها ضمن رسالة بعنوان : « إيضاح الكلام فيما جرى للعز بن عبد السلام
في مسألة الكلام » بقلم ابنه الشيخ عبد اللطيف . طبع دار الأنوار بالقاهرة
سنة ١٣٧٠ هـ .

(١) انظر رسالته « الإمام العز بن عبد السلام » (١ : ٢٥٥) .

(٢) راجع : كتابه « العز بن عبد السلام » ص ٨٣ .

ومنها نسخة مخطوطة في مكتبة ليبزغ برقم (٨٨١) (١) وفي برلين برقم (٢٨٠) (٢) .

وسبب تأليفها مسألة الكلام التي وقع فيها خلاف كبير بينه وبين بعض الحنابلة الذين يقولون في كلام الله بالصوت والحرف ، وأثروا على الملك الأشرف واعتقد بما يقولون ثم وشوا بالشيخ عنده وقالوا إنه أشعري لا يقول بالصوت والحرف ، ويقول بقول الأشعري إن الماء لا يروى والخبز لا يشيع والنار لا تحرق فاستهول الأشرف ذلك ، ولم يصدقهم ولكنهم كتبوا بذلك فتيا وقدموها للشيخ فعلم أنها مكيدة له ، ولكنه أصر أن يجب عليها بمر الحق ، فعرضوا ذلك على الأشرف فغضب على الشيخ ونال منه في مجلسه ، وكان ذلك في رمضان عند الإفطار بحضرة العلماء ولم يتكلموا بشيء خشية من غضب السلطان ، وامتحن الشيخ بسبب هذه الفتنة . إذ كتب إليه الأشرف ألا يفتي ، ولا يجتمع بأحد ، ويلزم بيته ، وبقي على ذلك ثلاثة أيام إلى أن ذهب الإمام جمال الدين الحصري . شيخ الحنفية في زمانه . إلى الأشرف وبين له أن ما عليه ابن عبد السلام هو « اعتقاد المسلمين وشعار الصالحين ويقين المؤمنين » . فقال الأشرف : « نحن نستغفر الله مما جرى ، ونستدرك الفارطة في حقه ، والله لأجعلنه أغنى العلماء ، وأرسل إلى الشيخ ، وأستر ضاه ، وطلب محالته ومخالته » . راجع تفاصيل ذلك في المصدرين السابقين . وقد تقدم الاستشهاد بنصوص من هذه الرسالة في مبحث « اتجاهاته الفكرية في العقيدة » .

رابعاً : الفقه وأصوله :

١ - قواعد الأحكام في مصالح الأنام :

هذا الكتاب اسمه في المصادر القديمة « القواعد الكبرى » ويوجد منه نسخ خطية كثيرة في مكتبات العالم (٣) .

(١) راجع : « العزيز بن عبد السلام » للدكتور رضوان ص ٧٥ .

(٢) راجع : « تاريخ الأدب العربي » لبروكلمان (١ : ٤٨٨ - ٥٥٤) .

(٣) راجع : « تاريخ الأدب العربي » لبروكلمان (١ : ٤٨٨) و « العزيز بن عبد

السلام » لرضوان الثنوي ص ٧٨ ، ٧٩ .

وقد طبع ثلاث طبعات في جزأين بالقاهرة ، الأولى : طبعة المكتبة الحسينية سنة ١٣٥٣ هـ . والثانية : طبعة المكتبة التجارية . والثالثة : طبعة دار الشرق سنة ١٣٨٨ هـ ، ١٩٦٨ م . وقد اعتمدت على الطبعة الأخيرة ، وتقع في جزأين في (٥٢٦) صفحة وفيها أخطاء كثيرة . وهذا الكتاب جدير بأن يخرج في طبعة محققة تحقيقاً علمياً خالية من الأخطاء .

وهذا الكتاب وكتاب « الإشارة إلى الإيجاز » شاهدان بإمامة العز وعظيم منزلته في علوم الشريعة كما قال ابن السبكي (١) .

لذا رأيت أن أتوقف عند هذا الكتاب ، وأأمل فيه كثيراً ، وأدرس بعض مسأله كما فعلت في الكتاب الآخر لأتئين إمامة العز وعظمته في علوم الشريعة . وموضوع هذا الكتاب بيان الأحكام الشرعية باعتبار جلب المصالح ودفع المفاسد .

وقد أوضح العز مقاصد كتابه بقوله (١ : ١٠) : « الغرض بوضع هذا الكتاب بيان مصالح الطاعات والمعاملات وسائر التصرفات ليسعى العباد في تحصيلها ، وبيان مقاصد المخالفات ليسعى العباد في درئها ، وبيان مصالح العبادات ليكون العباد على خبر منها ، وبيان ما يقدم من بعض المصالح على بعض ، وما يؤخر من بعض المفاسد على بعض ، وما يدخل تحت اكتساب العبيد دون ما لا قدرة لهم عليه ولا سبيل لهم إليه » .

وقال في بيان حقيقة المصالح والمفاسد (١ : ١١ ، ١٢) « المصالح أربعة أنواع : لذات وأسبابها ، والأفراح وأسبابها . والمفاسد أربعة أنواع : الآلام وأسبابها والغموم وأسبابها . وهي منقسمة إلى دنيوية وأخروية ، فأما لذات الدنيا وأسبابها وأفراحها وآلامها وأسبابها ونجومها وأسبابها فمعلومة بالعادات ، ومن أفضل لذات الدنيا لذات المعارف وبعض الأحوال ، ولذات بعض الأفعال في حق الأنبياء والأبدال ، فليس من جعلت قرعة عينه في الصلاة كمن جعلت الصلاة شاقة عليه ، وليس من يرتاح إلى إيتاء الزكاة كمن يبذلها وهو كاره لها .

(١) راجع : كتابه « طبقات الشافعية » (٨ : ٢٤٧) .

وأما لذات الآخرة وأسبابها وأفراحها وأسبابها ، وآلامها وأسبابها
وغمومها وأسبابها فقد دل عليه الوعيد (١) ، والزجر والتهديد ، وأما اللذات
فمثل قوله : ﴿ وفيها ما تشبه الأنفس وتلذ الأعين ﴾ : [الزخرف : ٧١]
وقوله : ﴿ يطاف عليهم بكأس من معين بيضاء لذة للشاربين ﴾ . [الصافات :
٤٥ ، ٤٦] وأما الأفراح ففي مثل قوله تعالى : ﴿ ولقاهم نصره وسرورا ﴾ .
[الإنسان : ١١] وقوله : ﴿ فرحين بما آتاهم الله من فضله ﴾ . [آل عمران :
١٧٠] وفي مثل قوله ﴿ يستبشرون بنعمة من الله وفضل ﴾ . [آل عمران :
١٧١] .

وأما الآلام ففي مثل قوله : ﴿ ولهم عذاب أليم ﴾ . [المائدة : ٣٦]
وقوله : ﴿ ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ومن ورائه عذاب غليظ ﴾
[إبراهيم : ١٧] وأما الغموم ففي مثل قوله : ﴿ كلما أرادوا أن يخرجوا منها
من غم أعيدوا فيها ﴾ . [الحج : ٢٢] .

ثم شرع بعد ذلك يذكر قواعد في المصالح والمفاسد ويقررها بالشرح
ثم يوضحها بالأمثلة الكثيرة المتنوعة .

ومن أمثلة ذلك ما ذكره في اجتماع المصالح المجردة عن المفاسد فقال
(١ : ٦٢) : « إذا اجتمعت المصالح الأخروية الخالصة ، فإن أمكن تحصيلها
حصلناها ، وإن تعذر تحصيلها حصلنا الأصلاح فالأصلح والأفضل فالأفضل
لقوله تعالى : ﴿ فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ﴾ . [الزمر :
١٧ ، ١٨] وقوله : ﴿ واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم ﴾ . [الزمر :
٥٥] وقوله : ﴿ وأمر قومك يأخذوا بأحسنها ﴾ . [الأعراف : ١٤٥]
فإذا استوت مع تعذر الجمع تخيرنا ، وقد يقرع ، وقد يختلف في التساوي
والتفاوت ، ولا فرق في ذلك بين المصالح والواجبات والمندوبات . ولييان
الأفضل وتقديم الفاضل على المفضول أمثلة :

أحدها : تقديم العرفان بالله وصفاته على الإيمان بتلك ، ويقوم الاعتقاد
في حق العامة مقام العرفان ، ويقوم الإيمان المبني على العرفان لتعذر وصول
العامة إلى العرفان وما يتبعه من الإيمان الخ .

(١) هكذا في المطبوعة ولعل الصواب « الوعد » .

« المثال الثاني من تقديم الفاضل على المفضول : تقديم بعض الفرائض على بعض كتقديم الصلاة الوسطى على سائر الصلوات .

المثال الثالث : تقديم كل فريضة على نوعها من النوافل ، كتقديم فرائض الطهارات على نوافلها ، وفرائض الصلوات على نوافلها ، وفرائض الصدقات على نوافلها الخ .

وهكذا استمر يذكر أمثلة لتوضيح هذه القاعدة ويفرع عليها فروعاً حتى ذكر ثلاثة وعشرين مثالا . في تقديم الفاضل على المفضول .

وقال في تساوى المصالح مع تعذر جمعها (ص ٨٨) : « إذا تساوت المصالح مع تعذر الجمع تخيرنا في التقديم والتأخير للتنازع بين المتساويين ولذلك أمثلة :

أحدها : إذا رأينا صائلا يصول على نفسين من المسلمين متساويين وعجزنا عن دفعه عنهما نتخير .

المثال الثاني : لو رأينا من يصول على بضعين متساويين وعجزنا عن الدفع عنهما فإننا نتخير . ولو وجدنا من يقصد غلاماً باللواط وامرأة بالزنا ففي هذا نظر وتأمل . فيجوز أن يدفع الزاني ، لأن مفسد الزنا لا يتحقق مثله في اللواط ، ولأن العلماء اتفقوا على حد الزنا واختلفوا في حد اللواط . ويجوز أن يبدأ بدفع اللواط لأن جنسه لم يحلل قط ولما فيه من إذلال الذكور وإبطال شهادتهم ، ويجوز أن يتخير في ذلك .

المثال الثالث : لو رأينا من يصول على مالين متساويين لمسلمين معصومين متساويين نتخيرنا » .

وهكذا استمر في التمثيل حتى ذكر إحدى عشر مثالا . ثم ذكر فصلا في الإقراع عند تساوى الحقوق فقال (١ : ٩٠) : « وإنما شرعت القرعة عند تساوى الحقوق دفعاً للضغائن والأحقاد وللرضا بما جرت به الأقدار وقضاه الملك الجبار ، فمن ذلك الإقراع بين الخلفاء عند تساويهم في مقاصد الخلافة ، ومن ذلك الإقراع بين الأئمة عند تساويهم في مقاصد الإمامة . ومن ذلك تقارعهم على الأذان عند تساوى المؤذنين الخ .

ثم ذكر فصلا في اجتماع المفاسد المجردة عن المصالح فقال (١ : ٩٣) :
« إذا اجتمعت المفاسد المحضة فإن أمكن درؤها درأنا ، وإن تعذر درء الجميع
درأنا الأفسد فالأفسد والأرذل فالأرذل ، فإن تساوت فقد يتوقف وقد يتخير
وقد يختلف في التساوي والتفاوت ، ولا فرق في ذلك بين مفاسد المحرمات
والمكروهات ، ولا اجتماع المفاسد أمثلة :

أحدها : أن يكره على قتل مسلم بحيث لو امتنع منه قتل فيلزمه أن يدرأ
مفسدة القتل بالصبر على القتل ، لأن صبره على القتل أقل مفسدة من إقدامه
عليه ، وإن قدر على دفع المكروه بسبب من الأسباب لزمه ذلك لقدرته
على درء المفسدة ، وإنما قدم درء القتل بالصبر لإجتماع العلماء على تحريم القتل
واختلافهم في الاستسلام للقتل . فوجب تقديم درء المفسدة للجمع على وجوب
درئها على درء المفسدة المختلف في وجوب درئها . وكذلك لو أكره على الزنا
واللواط فإن الصبر يختلف على جوازه ، ولا خلاف في تحريم الزنا واللواط « الخ
وقد استمر في التمثيل على ذلك حتى ذكر سبعة أمثلة .

ثم ذكر فصلا في اجتماع المصالح مع المفاسد فقال (١ : ٩٨) : « إذا
اجتمعت مصالح ومفاسد فإن أمكن تحصيل المصالح ودرء المفاسد فعلنا ذلك
امثالاً لأمر الله تعالى فيهما لقوله سبحانه وتعالى : ﴿ فاتقوا الله ما استطعتم ﴾
[التغابن : ١٦] وإن تعذر الدرع والتحصيل فإن كانت المفسدة أعظم من
المصلحة درأنا المفسدة ولا نبالي بفوات المصلحة قال الله تعالى : ﴿ يسألونك
عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما ﴾ .
[البقرة : ٢١٩] حرمهما لأن مفسدتهما أكبر من منفعتهما .

أما منفعة الخمر فبالتجارة ونحوها ، وأما منفعة الميسر فبما يأخذه القامر
من المقمور . وأما مفسدة الخمر فبإزالتها العقول ، وما تحدثه من العداوة
والبغضاء والصد عن ذكر الله وعن الصلاة ، وأما مفسدة القمار فبإيقاع
العداوة والبغضاء والصد عن ذكر الله وعن الصلاة ، وهذه مفاسد عظيمة
لا نسبة إلى المنافع المذكورة إليها . وإن كانت المصلحة أعظم من المفسدة
حصلنا المصلحة مع التزام المفسدة ، وإن استوت المصالح والمفاسد فقد
يتخير بينهما وقد يتوقف فيهما ، وقد يقع الاختلاف في تفاوت المفاسد .

ثم ذكر أمثلة على ذلك .

ثم ذكر فصلاً في بيان الوسائل إلى المصالح ، فقال (١ : ١٢٣) :
« يختلف أجر وسائل الطاعات باختلاف فضائل المقاصد ومصالحها ،
فالوسيلة إلى المقاصد أفضل من سائر الوسائل ، فالتوسل إلى معرفة الله تعالى
ومعرفة ذاته وصفاته أفضل من التوسل إلى معرفة أحكامه ، والتوسل إلى
الجهاد أفضل من التوسل بالسعى إلى الجمعات ، والتوسل بالسعى إلى الجمعات
أفضل من التوسل بالسعى إلى الجماعات في الصلوات المكتوبات »

ثم ذكر فصلاً في بيان وسائل المفاسد فقال (١ : ١٢٦) : « يختلف
وزن وسائل المخالفات باختلاف رذائل المقاصد ومفاسدها ، فالوسيلة إلى
أرذل المقاصد أرذل من سائر الوسائل ، فالتوسل إلى الجهل بذات الله وصفاته
أرذل من التوسل إلى الجهل بأحكامه ، والتوسل إلى القتل أرذل من التوسل
إلى الزنا ، والتوسل إلى الزنا أقبح من التوسل إلى أكل بالباطل ، والإعانة
على القتل بالإمساك أقبح من الدلالة عليه ، وكذلك مناولة آلة القتل أقبح
من الدلالة عليه » الخ

وقال في آخر الجزء الثاني في (ص ١٨٩) مؤكداً ما سبق من أن الله
أمر بكل خير ونهى عن كل شر ، فالخير يعبر به عن جلب المصالح والشر
يعبر به عن جلب المفاسد ، ومن المصالح والمفاسد ما لا يعرفه إلا كل ذى فهم
سليم وطبع مستقيم .

فقال : « ولو تتبعنا مقاصد ما في الكتاب والسنة لعلمنا أن الله أمر بكل
خير رَدَقَه وجله ، وزجر عن كل شر دَقَه وجله ، فإن الخير يعبر به عن جلب
المصالح ودرء المفاسد ، والشر يعبر به عن جلب المفاسد ودرء المصالح ،
وقد قال تعالى : ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ . وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ
شَرًّا يَرَهُ ﴾ . [الزلزلة : ٧ ، ٨] . وهذا ظاهر في الخير الخالص والشر
المحض . وإنما الإشكال إذا لم يعرف خير الخيرين وشر الشرين ، أو يعرف
ترجيح المصلحة على المفسدة ، أو ترجيح المفسدة على المصلحة أو جهلنا
المصلحة والمفسدة ، ومن المصالح والمفاسد ما لا يعرفه إلا كل ذى فهم
سليم وطبع مستقيم يعرف بهما دق المصالح والمفاسد وجلهما وأرجحهما من

مرجوحهما ، وتفاوت الناس في ذلك على قدر تفاوتهم فيما ذكرته ، وقد يغفل الحاذق الأفضل عن بعض ما يطلع عليه الأخرق المفضول ولكنه قليل .

وأجمع آية في القرآن للبحث على المصالح كلها والزجر عن المفساد بأسرها قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ . [النحل : ٩٠] « ١٥٠ » .

وأسلوب الكتاب جيد واضح خالي من تعقيدات الفقهاء فيه يجمع غير متكلف ، وأثر التصوف ظاهر عليه ، فنجده في بعض المواضع يغلب عليه أسلوب الوعظ والخطابة .

ومن أمثلة ذلك ما قاله في كلام طويل اجتزئ منه قوله (١ : ١٣) : « وعلى الجملة فن أقبل على الله أقبل الله عليه ومن أعرض عن الله أعرض الله عنه ، ومن تقرب إلى الله شبراً تقرب منه ذراعاً ، ومن تقرب منه ذراعاً تقرب منه باعاً ، ومن مشى إليه هرول إليه ، ومن نسب شيئاً إلى نفسه فقد زل وضل ، ومن نسب الأشياء إلى خالقها المنعم بها كان في الزيادة لأن الله تعالى قال : ﴿ لئن شكرتم لأزيدنكم ﴾ . [إبراهيم : ٧] ، ﴿ وسنجزى الشاكرين ﴾ . [آل عمران : ١٤٥] وأفضل ما تقرب به التذلل لعزة الله والتخضع لعظمته والإيحاء لهيئته والتبري من الحول والقول إلا به ، وهذا شأن العارفين ومن خرج عنه فهو طريق الجاهلين أو الغافلين ، وقد تمت الحكمة ، وفرغ من القسمة ، وسينزل كل أحد في دار قراره حكماً عدلاً وحقاً قصداً وفضلاً ، وما ثبت في القدم لا يخلفه العدم ، ولا تغيره الهمم بعد أن جرى به القلم وقضاه العدل الحكم ، فأين المهرب وإلى أين المذهب ، وقد عز المطلب ، ووقع ما يذهب . فيا خيبة من طلب ما لم تجر به الأقدار ، ولم تكتبه الأفلام ، يا لها من مصيبة ما أعظمها ، وخيبة ما أفحمها ، أين المهرب من الله وأين الذهاب عن الله ، وأين الفرار من قدرة الله ؟ بينما يرى أحدهم قريباً دانياً إذ أصبح بعيداً نائياً لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرراً ولا حفظاً ولا رفعاً .

بأى نواحي الأرض نرجوا وصالكم وأنتم ملوك ما لقصدكم نحو
والله لن تصل إلى شيء إلا بالله فكيف توصل بغيره »

وروح العز بارزة في كتابه هذا ، فالقارئ له يشعر كأن العز أمامه يناقش الأقوال ويرجح ويستدل ويرد قول المخالف ، كما يلحظ القارئ سعة علمه وقوة جدله في بيان ما ترجح له .

ومن أمثلة ذلك ما نقله عن الإمام مالك - رضى الله عنه - من أنه يفضل المدينة المنورة على مكة المكرمة ، فدلل العز على أن مكة تفضل المدينة باثني عشر دليلاً ، ورد على ما استدل به المخالف . راجع (١ : ٤٥ - ٥٠)
ويمتاز العز في كتابه هذا أنه يخرج بعض الأحاديث التي يستدل بها . ومن أمثلة ذلك النص الآتي . قال (١ : ٣٥) : « وما يدل على أن الثواب لا يترتب على قدر النصب في جميع العبادات ما روى أبو الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليكم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والورق ، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم) قالوا : بلى ، قال : ذكر الله) . قال معاذ بن جبل : ما شئ أنجي من عذاب الله من ذكر الله . رواه الترمذى .

وما يدل على ذلك - أيضاً - ما رواه أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (من قال حين يصبح وحين يمسي سبحان الله وبحمده مائة مرة لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به إلا أحد قال مثل ما قال أو زاد عليه) . أخرجه مسلم في صحيحه .

وكذلك قوله عليه السلام فيما رواه أبو هريرة - أيضاً - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم) . أخرجه في الصحيحين .

والحاصل بأن الثواب يترتب على تفاوت الرتب في الشرف ، فإن تساوى العملان من كل وجه كان أكثر الثواب على أكثرهما . لقوله تعالى : ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴾ . [الزلزلة : ٧] .

والكتاب يركز على الأحكام الفقهية يجمعها تحت قواعد أصولية فهو

من كتب الفقه والأصول ولكنه - أحياناً - يستطرد فيبحث أموراً في العقيدة أو التصوف .

ومن أمثلة ذلك قوله (١ : ١٩٩) : « والحقوق المتعلقة بالقلوب أنواع :

النوع الأول : معرفة ذات الله سبحانه وتعالى وما يجب لها من الأزلية والأبدية والأحدية وانتفاء الجوهرية والعرضية والجسمية والاستغناء عن الموجب والموجد والتوحد بذلك عن سائر الذوات .

النوع الثاني : معرفة حياته بالأزلية والأبدية والأحدية والاستغناء عن الموجب والموجد والتوحد بذلك عن غيرها من الحياة .

النوع الثالث : معرفة علمه بالأزلية والأبدية والأحدية والاستغناء عن الموجب والموجد ، والتعلق بكل واجب وجائز ومستحيل والتوحد بذلك عن سائر العلوم » .

وهكذا استمر يعدد هذه الأنواع ويفصلها فذكر أربعة عشر نوعاً تتعلق بالتوحيد ، ثم ذكر اختلاف الناس في صفات الله وخلقه لأفعال العباد ، وذكر تفاصيل في ذلك محلها كتب التوحيد .

وقال في التصوف (١ : ٢٠٦) : « النوع الرابع والعشرون : الأحوال الناشئة عن معرفة الصفات : اعلم أن الخوف ناشئ عن معرفة شدة النعمة ، والرجاء ناشئ عن معرفة سعة الرحمة ، والتوكل ناشئ عن معرفة تفرد الرب بالضرور والنفع والخفض والرفع ، والمحبة تنشأ تارة عن معرفة الإحسان والإنعام وتارة عن معرفة الجلال والجمال ، والمهابة ناشئة عن معرفة كمال الذات والصفات » الخ .

وهكذا نجد في أثناء كتابه يبحث أموراً في العقيدة أو التصوف بل إنه أفرد آخر الجزء الثاني من ص (٢١٢ - ٢٣٨) بفصول في التصوف .

ويلاحظ في كتابه تكرار بعض الأمور في مواضع متعددة وقد اعتذر عن ذلك بقوله (١ : ١٦١) : « وإنما أتيت بهذه الألفاظ في هذا الكتاب التي أكثرها مترادفات ، وفي المعاني متلاقيات حرصاً على البيان والتقرير في الجنان كما تكررت المواعظ والقصص والأمر والزجر والوعد والوعيد .

والترغيب والترهيب وغير ذلك في القرآن ، ولا شك أن في التكرير والإكثار من التكرير في القلوب ما ليس [في] الإيجاز والاختصار ، ومن نظر إلى تكرير مواضع القرآن ووصاياه ألفاها كذلك ، وإنما كررها الإله لما علم فيها من إصلاح العباد ، وهذا هو الغالب المعتاد ، ولو قلت في حق العباد هو أن يجلب إليهم كل خير ، ويدفع عنهم كل ضير لكان ذلك جامعاً عاماً ولكن لا يحصل به من البيان ما يحصل بالتكرير وتنويع الأنواع . وكذلك لو قلت في حق الإله هو أن يطيعوه ولا يعصوه لكان مختصراً عاماً ولكن لا يفيد ما يفيد الإطناب والإسهاب . وكذلك لو قلت في بعض حقوق المرء على نفسه هو أن يتفعا في دينها ودنياها ولا يضرها في أولها وأخرها لكان ذلك شاملاً لجميع حقوق المرء . وقد يظن بعض الجهلة الأغبياء أن الإيجاز والاختصار أولى من الإسهاب والإكثار ، وهو مخطئ في ظنه لما ذكرنا من التكرير الواقع في القرآن والعادة شاهدة بخطئه في ظنه ، وما دلت العادة عليه ، وأرشد القرآن إليه أولى مما وقع للأغبياء الجاهلين الذين لا يعرفون عادة الله ولا يفهمون كتاب الله ، وفقنا الله لاتباع كتابه وفهم خطابه » اهـ .

وخلاصة القول : أن العز بحث في كتابه هذا مصالح الطاعات والمعاملات وسائر التصرفات ليسعى العباد في تحصيلها ، ومقاصد المخالفات ليسعى العباد في درئها .

وطريقته في ذلك أنه يذكر القاعدة الأصولية في المصالح والمفاسد ، ويقررها بالشرح ، ثم يوضحها بالأمثلة الفقهية الكثيرة المتنوعة . فهو من كتب الفقه التي تربط الفروع الفقهية بالقواعد الأصولية . وأسلوبه سهل واضح خالي من التعقيدات ، فيه سجع غير متكلف ، وأثر التصوف ظاهر عليه ، فيغلب عليه في بعض المواضع أسلوب الوعظ والخطابة ، كما أن روحه بارزة في كتابه ، فهو يناقش الأقوال ويرجحها ويوجه ما يرجحه ، ويرد قول المخالف . كما يلحظ القارئ له سعة علمه وقوة جدله في بيان ما ترجح له ، وفكره الثاقب الذي يلحظ دقائق الأمور .

٢ - القواعد الصغرى :

في هذا الكتاب اختصر العز كتابه السابق « قواعد الأحكام » فترك بعض

الفروع الفقهية والاستطرادات والتعليقات ، وما عدا ذلك نجد نفس الكتاب بأبوابه وفصوله وموضوعاته . ويوجد منه نسخة في دار الكتب المصرية برقم (٨٤٦) فقه شافعى (١) .

ونسخة أخرى في المكتبة الظاهرية بدمشق برقم (٦٠) فقه شافعى وهناك نسخ أخرى متفرقة في مكتبات العالم (٢) .

٣ - الإمام في بيان أدلة الأحكام :

ويذكر في بعض المصادر بعنوان : « الدلائل المتعلقة بالملائكة والنبين عليهم السلام والخلق أجمعين » .

وقد عدهما ابن السبكي كتابين للعر (٣) ، والصواب أنهما اسمان لكتاب واحد ، والاسم الثاني مكمل للأول ، بدليل ما جاء في أول الكتاب ، وهو : « بسم الله الرحمن الرحيم . قال الشيخ الإمام العالم العلامة الحافظ المجتهد الشيخ عز الدين بن عبد السلام رحمه الله : هذا بيان لأدلة الأحكام المتعلقة بالملائكة والمرسلين وسائر العالمين » الخ .

وهذا الكتاب مخطوط ، وتوجد منه نسخ متفرقة في مكتبات العالم كالآتى :

- (أ) نسخة في مكتبة برلين برقم (٤٧٨٧) في (٤٢) ورقة .
- (ب) نسخة مصورة بمعهد مخطوطات جامعة الدول العربية برقم (٣٦) توحيد .
- (ج) نسخة أخرى بالمعهد برقم (٢٤) فقه شافعى .
- (د) نسخة في مكتبة جامعة استنبول برقم (١١٩٧) .

وقد اطلعت على هذه النسخة وتقع في (٥٤) ورقة ، مقاس ١٣ × ١٨ سم ، وفي الصفحة (١٧) سطراً ، وفي السطر سبع أو ثمان كلمات تقريباً .

-
- (١) راجع : رسالة عبد العظيم فوده « عز الدين بن عبد السلام » ص ١٥٨
 - (٢) راجع : تاريخ الأدب العربى لبروكلمان (١ : ٤٨٨ - ٥٥٤) وكتاب رضوان الندوى « العز بن عبد السلام » ص ٨٠ .
 - (٣) راجع : كتابه « طبقات الشافعية » (٨ : ٢٤٨) .

وخطها واضح ، ورؤوس المواضيع مكتوبة بالحرمة . وعليها تملك لعبد السلام
ابن قاسم بن موسى بن علي رحمه الله .

وموضوع الكتاب بيان وجه دلالة آيات الأحكام على الأحكام من
أمر ونهي وتخيير وإباحة . وهو من كتب أصول الفقه وقد أخطأ الدكتور
رضوان حيث عده من كتب العقيدة (١) . ويدل على ذلك ما سيأتي من
نصوص هذا الكتاب .

وقد قسم العز الأحكام إلى قسمين في هذا الكتاب فقال : « والأحكام
ضربان : أحدهما : ما كان طلباً لاكتساب فعل أو تركه ، والثاني : ما لا طلب
فيه كالإباحة ونصب الأسباب والشرائط والموانع والصحة والفساد وضرب
الآجال وتقدير الأوقات والحكم بالقضاء والأداء والتوسعة والتضييق والتعيين
والتخيير ونحو ذلك من الأحكام الوضعية الخبرية » .

ثم قسم أدلة الأحكام إلى قسمين ، فقال (٣ ق) : « ثم أدلة الأحكام
ضربان . أحدهما : لفظي يدل بالصيغة تارة ، وبلفظ الخبر أخرى . والثاني :
معنوي يدل دلالة لزوم إما بواسطة ، وإما بغير واسطة . فكل فعل طلبه
الشارع أو أخبر عن طلبه أو مدحه أو مدح فاعله لأجله أو نصبه سبباً لخير
عاجل أو آجل فهو مأمور به . وكل فعل طلب الشارع تركه أو أخبر أنه
طلب تركه أو ذمه أو ذم فاعله لأجله أو نصبه سبباً لشر عاجل أو آجل فهو
منهى عنه .

وكل فعل خير الشارع فيه مع استواء طرفيه أو أخبر عن تلك التسوية
فهو مباح . ويتصرم عرض هذا الكلام بعشرة فصول . الفصل الأول في
الدلالة اللفظية : أما الصيغة فكقوله تعالى : ﴿ خذوا زينتكم عند كل مسجد
وكلوا واشربوا ولا تسرفوا ﴾ . [الأعراف : ٣١] فخذوا أمر . وكلوا
واشربوا إباحة . ولا تسرفوا نهى الخ .

الفصل الثاني في تقريب أنواع الأمر : كل فعل كسبي عظمه الشرع
أو مدحه أو مدح فاعله لأجله أو فرح به أو أحبه أو أحب فاعله أو رضى به

(١) راجع : كتابه « العز بن عبد السلام » ص ٧٦ .

أو رضى عن فاعله أو وصفه بالاستقامة أو البركة أو الطيب أو أقسم به أو بفاعله ، أو نصبه سبباً لمحبه ، أو لثواب عاجل أو آجل أو نصبه سبباً لذكره أو لشكره أو لهدايته أو لإرضاء فاعله أو لمغفرة ذنبه أو لتكفيره أو لقبوله أو لنصرة فاعله أو بشارته ، أو وصف فاعله بالطيب أو وصفه بكونه معروفاً أو نفي الحزن أو الخوف عن فاعله أو وعده بالأمن أو نصبه سبباً لولاية الله تعالى أو وصف فاعله بالهداية أو وصفه بصفة مدح كالحياة أو النور والشفاء ، أو دعا الله به الأنبياء فهو مأمور به . فنذكر بعض أمثلة هذه الأنواع ، وهى ثلاثة وثلاثون مثالا :

المثال الأول : تعظيم الفعل وتوقيره ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾ [فاطر : ١٠] ، ﴿هى أشد وطأ وأقوم قبلا﴾ . [المزمل : ٧] وكذلك الإقسام بالفعل ضرب من تعظيمه وتوقيره ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾ . [القلم : ٤] الخ .

وهكذا استمر فى ذكر بقية الأمثلة والفصول ، ويتخلل هذه الفصول فوائد كثيرة . ونلاحظ أن هذه الفصول شبيهة بالفصول التى ختم بها كتابه «الإشارة إلى الإيجاز فى بعض أنواع المحجاز» . فراجع ص ٢٥٩ - ٢٧٦ تجد نفس المادة العلمية مع اختلاف فى طريقة العرض . وقد لاحظت عليه تكرار بعض المواضيع فى كتب أخرى .

وهذا الكتاب يدل على طول باع العز فى أصول الفقه ، وسعة علمه بمقاصد كتاب الله تعالى ، ومعرفته لدلالة الألفاظ واختلافها وتمكنه من اللغة العربية .

٤ - مقاصد الصلاة :

وهى رسالة صغيرة توجد منها عدة نسخ متفرقة فى مكتبات العالم كالاتى :

(أ) نسخة فى مكتبة باريس برقم (٢ : ١١٧٨) (١)

(ب) نسخة فى مكتبة أسكوريال برقم (٤ : ٦٧٩) وأخرى برقم (١١٧٨) (٢)

(١ ، ٢) راجع : تاريخ الأدب العربى لبروكلمان (١ : ٤٨٨ - ٥٥٤) وذيله (١ : ٧٦٦ - ٧٦٩) .

(ج) ثلاث نسخ في دار الكتب المصرية برقم (٢ مجاميع) و (٢٦ مجاميع)
و (٣٦٦ مجاميع) .

(د) نسخة في مكتبة شهيد على باشا باستنبول برقم (١٣٧٢) وهذه
النسخة تقع في ثمان ورقات . في الصفحة (١٩) سطرأ ، وفي السطر
تسع كلمات تقريباً خطها جيد ، وهي غير مؤرخة بمقاس ٢٢ X ١٥ سم .
وموضوعها فضل الصلاة وبيان شرفها وأنها أفضل العبادات بعد الإيمان
بالله لأنها قد اشتملت من أفعال القلوب واللسان والجوارح ندباً وفرضاً
ما لم تشتمل عليه عبادة أخرى وفيها من الأعمال ما هو خاص لله تعالى وخاص
بالعبد وخاص بالرسول صلى الله عليه وسلم وبالمؤمنين . ثم فصل ذلك في
سورة الفاتحة التي تقرأ في الصلاة ، وحديث (قسمت الفاتحة بيني وبين عبدی
قسمين) « وهكذا تكلم عن أفعال الصلاة كلها حتى ختمها بالكلام عن التحيات
ومعناها والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وآله والصلاة على إبراهيم وآله ،
ثم أثار إشكالا فقال « فإن قيل هذا يشعر بأن إبراهيم أفضل من نبينا فإن المشبه
دون المشبه به ولا شك أن من كانت الصلاة عليه أكثر كان أفضل والجواب
عنه من وجهين أحدهما : أنه شبه الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم
بالصلاة على إبراهيم . والثاني وهو أقرب أنه شبه الصلاة على النبي وآله
بالصلاة على إبراهيم وآله فيحصل لنبينا صلى الله عليه وسلم ولآله من آثار
الرحمة والرضوان ما يقارب ما حصل لإبراهيم ولآل إبراهيم ومعظم الأنبياء
من آل إبراهيم ، ثم تنقسم الجملة على محمد وعلى آل محمد ولا يحصل
لآل محمد من الجملة ما حصل لآل إبراهيم لأنهم أنبياء ولن يبلغ آل محمد
إلى مراتب الأنبياء فيتوفر ما بقي من آثار الرحمة الشاملة لإبراهيم وآله على محمد
صلى الله عليه وسلم فيكون ذلك مشعراً بأن محمداً صلى الله عليه وسلم أفضل
من إبراهيم »

وقد ورد ذكر هذه الرسالة بتنويه عظيم في أخبار الشيخ عبد اللطيف
عن والده العز . حيث ذكر أنها قرئت على الملك الأشرف فاستحسنها ،
وأمر بتكرار قراءتها كلما دخل عليه أحد من خواصه . ولما دخل عليه الشيخ
شمس الدين سبط ابن الجوزي ، وكان واعظ زمانه ، ويحضر له الألوף

من الناس ناوله إياها فقرأها واستحسنها ، وقال : لم يصنف أحد مثلها ، فأمره الملك بأن يطرز مجلسه بالحديث عنها ، ويحث الناس على قراءتها . فلما علم الناس بها أعجبهم ، وقصدوا العز يستنسخونها ويسمعونها منه (١) .

٥ - الترغيب عن صلاة الرغائب الموضوعة ، وبيان ما فيها من مخالفة السنن المشروعة :

هذه رسالة صغيرة طبعت بالمكتب الإسلامي بدمشق بتحقيق محمد ناصر الدين الألباني ، ومحمد زهير الشاويش ، بعنوان « مساجلة علمية بين الإمامين الجليلين العز بن عبد السلام وابن الصلاح » . وقد اشتملت هذه المساجلة على ثلاث رسائل وفتوى للإمام النووي ، وهي كالآتي :

(أ) الترغيب عن صلاة الرغائب الموضوعة ، وبيان ما فيها من مخالفة السنن المشروعة للعز بن عبد السلام .

(ب) الرد على الترغيب عن صلاة الرغائب الموضوعة ، وبيان ما فيها من مخالفة السنن المشروعة لابن الصلاح .

(ج) رسالة للعز بن عبد السلام في تنفيذ رد ابن الصلاح .

(د) فتوى للإمام النووي ، ألحقها الناسخ نقلا عن أحد تلامذة النووي ، الشيخ نجم الدين حسن النباهي .

وقد ذكر ابن السبكي في ترجمة العز هذه الرسالة (٢) إلا أن فيها نقصاً كثيراً عما في المطبوعة .

وصلاة الرغائب هي اثنتا عشرة ركعة تصلى في أول ليلة جمعة من شهر رجب ، يقرأ المصلي في كل ركعة الفاتحة مرة ، وسورة القدر ثلاث مرات ، وسورة الإخلاص اثنتي عشرة مرة ، ويفضل فيها بين كل ركعتين بتسليمة ، فإذا انتهى من صلاته صلى على النبي صلى الله عليه وسلم سبعين مرة ، ثم يسجد

(١) راجع : طبقات الشافعية لابن السبكي (٨ : ٢٣٩) وإيضاح الكلام فيما جرى

للعز في مسألة الكلام ص ١١ - ١٢ .

(٢) راجع : كتابه « طبقات الشافعية » (٨ : ٢٥١ - ٢٥٥) .

ويقول في سجوده سبوح قدوس رب الملائكة والروح سبعين مرة ، ثم يرفع رأسه فيقول : رب اغفر لي وارحم وتجاوز عما تعلم إنك أنت العزيز الأعظم سبعين مرة ، ثم يسجد الثانية فيقول مثل ما قال في السجدة الأولى ، ثم يسأل الله تعالى حاجته ، فإنها تقضى .

وقد ورد في هذه الصلاة حديث مطول ذكره ابن الجوزي في كتابه «الموضوعات» (٢ : ١٢٤) وقال : « هذا حديث موضوع على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اتهموا به ابن جهيم ، ونسبوه إلى الكذب » .

لذا منع منها العز وقال : إنها بدعة مكروهة لأن الحديث الوارد فيها موضوع ، ولم يقل بها أحد من العلماء السابقين وأئمة الدين ، وصلاتها على هذا النحو في ليلة مخصوصة ابتداع في الدين لا يجوز لقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « من أحدث في أمرنا ما ليس فيه فهو رد » ، وقوله : « كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار » .

أما ابن الصلاح فإنه يجذبها ويرغب فيها لأن الناس اعتادوها ، فنهيم عنها ربما يشغلهم في غير عبادة . وهي وإن كان الحديث الوارد فيها موضوع إلا أن الأحاديث الواردة في الصلاة ، وأنها نور وخير ترشد إليها .

وقد رد عليه العز بأن الأحاديث الواردة في الصلاة بأنها نور وخير مخصوصة بالصلاة المشروعة ، وصلاة الرغائب مخالفة للصلاة المشروعة ، فهي بدعة مخالفة للشرع وأمور العبادات مبناها على الاتباع لا على الابتداع .

٦ - مقاصد الصوم :

رسالة صغيرة يوجد منها نسخة في مكتبة اسكوريال برقم (٢ : ١٥٣٦) (١) ونسخة أخرى في معهد مخطوطات جامعة الدول العربية برقم (٢٥٣) فقه شافعي . وتقع هذه الرسالة في خمس ورقات تحدث فيها العز عن الصوم وفوائده وفوائده الدنيوية والأخروية ، وما اختص به من الأحكام ، ومكانته عند الله في الدنيا والآخرة وتطرق في النهاية إلى مفسدات الصوم ، وما يوجب

(١) راجع : ذيل تاريخ الأدب العربي لبروكلمان (١ : ٧٦٦ - ٧٦٩) وكتاب رضوان التلوي « العز بن عبد السلام » ص ٧٧ .

منها الكفارة ، وما يوجب القضاء وصيام التطوع وأيامه والآثار الواردة في ذلك . ثم تناول الاعتكاف وسننه وآدابه والمرغبات فيه (١) .

٧ - مناسك الحج :

هذه رسالة صغيرة توجد نسخة منها في مكتبة اسكوريال برقم (٦ : ١٥٣٦) (٢) ، ونسخة أخرى بمعهد مخطوطات جامعة الدول العربية برقم (٢٥٣) فقه شافعي .

وهذه الرسالة تقع في خمس ورقات تحدث فيها العز عن الحج والعمرة ، وآداب السفر وأدعيته المأثورة ، وكيفية الإحرام والتلبية والطواف والسعي ، وأعمال الحج من أولها إلى آخرها (٣) .

٨ - أحكام الجهاد وفضله :

يوجد منه نسخة في مكتبة برلين برقم (٤٠٨٨) تقع في ٥٣ ورقة مقاس ١٣,٥ × ١٨,٥ سم ، وفي الصفحة (١٧) سطراً . وهو كتاب مهم كما يظهر من وصفه في فهرس مكتبة برلين (٤) .

٩ - الغاية في اختصار نهاية المطلب في دراية المذهب لإمام الحرمين الجويني (ت ٤٧٨ هـ) :

يوجد منه نسخة في دار الكتب المصرية برقم (١٨٩) تقع في خمسة أجزاء من الحجم الكبير ينقصها الجزء الثالث لا الرابع كما قال رضوان الندوى (٥) ويوجد نسخة أخرى في مكتبة جوته برقم (٩٤٩) بخط المؤلف

-
- (١) راجع : رسالة علي مصطفى « الإمام العز بن عبد السلام » (١ : ٢٣٦) .
(٢) راجع : ذيل تاريخ الأدب العربي لبروكلمان (١ : ٧٦٦ - ٧٦٩) وكتاب رضوان « العز بن عبد السلام » ص ٧٧ .
(٣) راجع : رسالة علي مصطفى « الإمام العز بن عبد السلام » (١ : ٢٣٦) .
(٤) راجع : تاريخ الأدب العربي لبروكلمان (١ : ٤٨٨ - ٥٥٤) وكتاب رضوان « العز بن عبد السلام » ص ٧٧ .
(٥) راجع : كتابه « العز بن عبد السلام » ص ٧٧ .

سنة (٦٤٥ هـ) (١) ويوجد الجزء الأول من نسخة أخرى في معهد مخطوطات جامعة الدول العربية مصور على ميكرو فلم عن نسخة خطية في مكتبة سراى أحمد الثالث باستنبول. وقد اختصر العز في كتابه هذا « نهاية المطلب في دراية المذهب » لإمام الحرمين الذى يقع فى (٢٧) مجلداً وتوجد نسخة خطية منه فى معهد مخطوطات جامعة الدول العربية ينقصها بعض الأجزاء . وقد قام إمام الحرمين باختصار كتابه ، وسماه « المختصر » وقد اتجهت جهود العلماء إلى هذا المختصر شرحاً واختصاراً ، ولعل العز اختصر مختصر إمام الحرمين لا كتابه الأصيل (٢) .

وطريقة العز فى اختصاره أنه يترك التفرعات والاستطرادات ، البعيدة عن الموضوع ، ويهتم بذكر الموضوع الفقهى تحت باب أو فصل خاص ثم يذكر الأدلة الواردة فيه ، ثم يذكر أقوال أئمة المذهب وأدلتهم ، وكذلك رأى الإمام الجوينى ودليله ، وأحياناً نجد الشيخ عز الدين يذكر رأيه هو ودليله الذى قد يتفق فيه مع رأى الإمام الجوينى ، أو يختلف معه ، وقد يذكر فى بعض الأحيان رأى الإمام الشافعى الذى يختلف معه فيه مع بيان حجته ودليله .

فهو ليس اختصاراً تقليدياً يعتمد فيه على الكتاب الأصيل فقط ، ولكنه اختصار فيه نوع من الاجتهاد بحيث يذكر الآراء ويعلق عليها إما بالموافقة ، أو الرافض مع ذكر الحجة والدليل (٣) .

١٠ - الجمع بين الحاوى والنهاية :

ذكره ابن السبكى ، وقال عنه : « وما أظنه كمل » (٤) . ولم أعر على مكان وجوده فى المصادر التى تغنى بذلك ، ولعله مفقود .

(١) راجع : بروكلمان (١ : ٤٨٨ - ٥٥٤) .

(٢) راجع : رسالة على مصطفى « الإمام العز بن عبد السلام » (١ : ٢٣٣) وقد اعتمد عليه فى معظم آراء العز التى درسها فى القسم الفقهى من رسالته .

(٣) راجع : رسالة عبد العظيم فوده « عز الدين عبد السلام وأثره فى الفقه والأصول » ص ١٦١ .

(٤) راجع : كتابه « طبقات الشافعية » (ص ٨ : ٢٤٨) .

وهو كتاب يجمع فيه العز بين الحاوى للماوردى (ت ٤٥٠ هـ) ، الذى يقع فى (٢٣) جزءاً ، وتوجد منه نسخة كاملة بدار الكتب المصرية برقم (٨٢) فقه شافعى ، كما توجد منه نسخ غير كاملة وأجزاء متفرقة فى مكاتب العالم (١) .

وقد طبع منه ما يتعلق بالقضاء فى جزأين بعنوان « أدب القاضى » بتحقيق محيى هلال السرحان .

أما « النهاية » فهى نهاية المطلب فى دراية المذهب لإمام الحرمين (ت ٤٧٨) ويقع فى (٢٧) مجلداً ، وقد اختصره العز كما سبق بيانه ، وهنا جمع بينه وبين الحاوى .

وهذان الكتابان من أعظم الكتب وأكثرها توسعاً فى المذهب الشافعى .

١١ - شرح منتهى السؤل والأمل فى علمى الأصول والجدل لأبى عمرو ابن الحاجب المالكى (ت ٦٤٦ هـ)

نسبه إلى العز رضوان الندوى (٢) .

خامساً : الفتاوى :

١ - الفتاوى الموصلية :

يوجد منها نسختان فى المكتبة الظاهرية بدمشق ، الأولى برقم (٧٨٢٦) تقع فى (٢٣) ورقة ، فى الصفحة (٢٤) سطراً ، وفى السطر عشر كلمات تقريباً ، مقاس ١٧ × ١٢,٥ سم . نسخت سنة ٧٦٧ هـ ، وخطها جيد .

والنسخة الثانية برقم (٦٩٦٢) ضمن مجموع من ورقة (٤٤ - ٧٠) فى الصفحة ٢١ سطراً ، وفى السطر ١٧ كلمة تقريباً مقاس ٢١,٥ × ١٥,٥ سم نسخت سنة ٨٧٨ هـ . خطها ردىء ، رؤوس المسائل مكتوبة بالمداد الأحمر .

(١) راجع : مقدمة تحقيق كتاب « أدب القاضى » للسرحان ، وقد ذكر أسماء هذه المكاتب وأرقام الكتاب فيها .

(٢) راجع : كتابه « العز بن عبد السلام » ص ٨٠ .

ويوجد نسخة ثالثة فى مكتبة برلين برقم (٤٩٨٦) (١) .
ونسخة رابعة بدار الكتب المصرية برقم (١٤) مجاميع اشتملت عليها
وعلى الفتاوى المصرية كما سياتى .
وقد أجاب العز بهذه الفتاوى على تسعين سؤالاً وردت من خطيب
الموصل شمس الدين عبد الرحيم الطوسى سنة (٦٥٤) بالقاهرة . وهى
متضمنة لمعظم أبواب الفقه ، ويتخللها أسئلة قليلة فى علم الكلام والحديث
والتفسير وموضوعات أخرى .

٢ - الفتاوى المصرية :

توجد نسخة منها فى دار الكتب المصرية برقم (١٤ مجاميع) وقد اشتملت
على « الفتاوى الموصلية » أيضاً .
ونسخة أخرى فى مكتبة برلين برقم (٤٩٨٦) (٢) .
وهذه الفتاوى أجوبة على أسئلة فى الفقه والتفسير وعلم الكلام ،
وموضوعات أخرى .

سادساً : التصوف :

- ١ - شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال :
هذا الكتاب فى التصوف ، قال عنه ابن السبكى : « حسن جداً »
وتوجد منه النسخ الآتية :
(أ) نسخة فى مكتبة برلين برقم (٢٣٠٤) تقع فى (١٥١) ورقة مقاس
١٦ ٢/٣ × ٢٤ ١/٢ سم (٣) .
(ب) نسخة فى مكتبة اسكوريال برقم (١ : ١٥٣٦) (٤) .
(ج) نسخة مصورة بمعهد مخطوطات جامعة الدول العربية برقم (٣٨٣)
تصوف :

(١ ، ٢ ، ٣ ، ٤) راجع : بروكلمان (١ : ٤٨٨ - ٥٥٤) وكتاب رضوان « العز
ابن عبد السلام » ص ٧٨ .

(وقد تكلم العز في هذا الكتاب على صفات الله وكيفية توحيده وتنزيهه ، والوجه الأسلم في ذلك ، وكيفية التخلق بصفات الله سبحانه وتعالى . وجاء هذا الكتاب في عشرين باباً وفصولاً تمهيدية .

تكلم في الفصول التمهيدية عن القربات وآداب القرآن ، وبيان فضائل الأعمال الظاهرة والباطنة ، وبيان رتب الوسائل والأسباب وثمرات المعارف وفوائدها وما يتفاضل به العباد . وهذه الفصول موجودة في مقدمة وخاتمة كتابه « قواعد الأحكام في مصالح الأنام » .

ثم تكلم في الباب الأول في التخلق بصفات الرحمن على حسب الإمكان . أما الباب الثاني فقد تكلم فيه عن كل صفة من صفات الرب مع ذكر دليلها وثمرتها ومعرفتها وكيفية التخلق بها .

وفي الباب الرابع تكلم عما يتعلق بالقلوب والجوارح من الأحكام من المأمورات والمنهيات والمعفوات والمباحات .

أما الباب الخامس ففي المأمورات الباطنة . وفيه ستة وخمسون ومائة فصل . تتعلق بكل ما أمر الله به من الأعمال الباطنة كالتوكل على الله . والتعزز بالله ، والتذلل لأولياء الله ، وذكر الدليل على كل خلق من هذه الأخلاق من القرآن والسنة .

وأما الباب السادس فقد تكلم فيه عن المنهيات الباطنة كالجهل بما يجب تعلمه ، وانسراح الصدر بالباطل ، وفي محبة الكفار والأنداد ، وما شابه ذلك . وتكلم فيه في ثلاثة ومائة فصل .

وأما الباب الثامن عشر في تعرف المصالح والمفاسد وما يقدم فيها عند التعارض وهذا تكرار لما هو موجود في أول كتاب « قواعد الأحكام » .

وفي الباب التاسع عشر تكلم عن حسن العمل بالظنون الشرعية ، وهو تكرار لما هو موجود في قواعده أيضاً .

وختم الكتاب بالباب العشرين في الورع في العبادات والمعاملات (انتهى باختصار (١) .

(١) راجع : رسالة الدكتور علي مصطفى «الإمام العز بن عبد السلام» (١ : ٢٤٧ - ٢٤٩)

وقد اشتبّه هذا الكتاب على الباحث عبد العظيم فودة (١) بكتاب عز الدين ابن عبد السلام بن أحمد بن غانم المقدسى (ت ٦٧٨ هـ) . وهو بعنوان « الشجرة » أو « شجرة الإيمان » ، وقد اطلع على نسخة منه برقم (٢٦٠ فنون متنوعة) في معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية فراح يعرف به وينقل نصوصاً منه على أنه كتاب شيخى العز بن عبد السلام السلمى ، ومما نقله منه قوله : « إني نظرت إلى الكون وتكوينه فرأيت الكون كله شجرة أصل بذرتها من حبة (كن) وأما فروع هذه الشجرة وثمارها فهو ما يحدث في الكون من الحوادث كالتقص والزيادة والغيب والشهادة والكفر والإيمان والطاعة والعصيان » الخ .

وقد قابلت ما نقله من نصوص ، وما قاله عن هذا الكتاب فوجدته منطبقاً على نسخة مصورة عندي من مكتبة جامعة استنبول برقم (٣٨١٦) Ay لكتاب عز الدين المقدسى فتبين لى ما وقع فيه من الاشتباه والوهم .

٢ - الفتن والبلايا والحن والرزايا :

ويوجد في مصادر قديمة أخرى بعنوان « فوائد البلوى والحن » توجد منه نسخة في مكتبة اسكوريال برقم (٧ : ١٥٣٦) ونسخة مصورة في معهد مخطوطات جامعة الدول العربية بالقاهرة برقم (٤٩٧ توحيد) .

ونسخة أخرى بالمعهد مع مجموع برقم (٢٥٣ فقه شافعى) « وهى رسالة صغيرة تقع في ورقتين ، ذكر فيها العز الفوائد التى يحجبها المسلم من جراء إصابته بالبلايا والرزايا والحن والمصائب . وذكر سبعة عشرة فائدة ، منها معرفة ذلة العبودية وكسرها ، ومعرفة الربوبية وقهرها ، والإخلاص لله إذ لا مرجع في دفع الشدائد إلا إليه ، والإنابة إلى الله والإقبال عليه » (٢) .

٣ - رسالة في القطب والابدال الأربعين :

بين العز في هذه الرسالة بطلان قول الناس فيهم ، وعدم وجودهم

(١) راجع : رسالته « عز الدين بن عبد السلام وأثره في الفقه والأصول » ص ١٤٨ .

(٢) راجع : رسالة على مصطفى « الإمام العز بن عبد السلام وأثره في الفقه الإسلامى »

(١ : ٢٥٠) .

كما زعموا ، ومن الذين أشاروا إليها حاجي خليفة (١) ، ولم أعر على مكان وجودها .

٤ - مقاصد الرعاية لحقوق الله للحارث المحاسبي :

ذكره ابن السبكي في طبقاته ، وتوجد منه نسخة في تشتريني برقم (٢ : ٣١٨٤) (٢) .

٥ - مسائل الطريقة في علم الحقيقة : (٣)

هذه رسالة صغيرة تقع في (١١) صفحة مطبوعة بمصر ضمن كتاب « تحفة الإخوان » لأحمد الدرديري وقد اشتهرت بالسنتين مسألة ، لأنها عبارة عن أسئلة في التصوف والجواب عنها بعبارة موجزة ، وقد بين الغز أهمية هذه المسائل والغرض منها بقوله : « فهذه مسائل حقيقية مأخوذة من علم التوحيد يجب على كل متصوف أن يعرفها ، لأنهم قالوا من تشرع ولم يتحقق فقد تفسق ، ومن تحقق ولم يتشرع فقد تزندق ، وقد جمعها ليكون المستول حاضر الجواب » .

ومن هذه العبارة يتضح منهجه في التصوف ، وهو الجمع بين الشريعة والحقيقة ، واذم الفصل بينهما ، كما سبق بيانه في « مبحث اتجاهاته الفكرية في التصوف » .

وإليك بعض المسائل من هذا الكتاب حتى يتضح لك أسلوبه وموضوعه :
« مسألة : إذا قيل لك : ما الإيمان ، وما رأس الإيمان ، وما وسط الإيمان ، وما شجرة الإيمان ، وما ماء الإيمان ، وما نهر الإيمان ؟
فالجواب : أن تقول : الإيمان هو الصدق . ورأسه التقوى . ووسطه الطاعة واليقين . وعروقه الصلاة والإخلاص ، وشجرته الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وغصنه التوحيد وثمرته الزكاة . وأرضه المؤمنون ، وماؤه كلام الله ، ونهره العلم .

(١) راجع : كتابه « كشف الظنون » (١ : ٨٨٣) .

(٢) راجع : رسالة على مصطفى « الإمام الغز بن عبد السلام » (١ : ٢٥٠) .

(٣) منسوبة إليه خطأ والصواب أنها لغز الدين عبد السلام المقدسي .

مسألة : إن قيل لك : لكل شيء جوهرة ، وجوهرة الإنسان العقل ، وما جوهرة العقل ؟ .

فقل : جوهرة العقل الصبر ، والعمل بحركات القلوب عند مطالعة الغيوب . وأصل الطاعة الورع . وأصل الورع التقوى . وأصل التقوى محاسبة النفس بالخوف والرجاء من الله تعالى .

مسألة : إن قيل لك : ما الذى يجب على الشيخ فى حق المريد ، وما الذى يجب على المريد فى حق الشيخ ؟

فالجواب أن تقول : على الشيخ ثلاثة أشياء : التسليك فى البداية والتبليغ فى النهاية . والحفظ فى الرعاية . والمريد يجب عليه ثلاثة أشياء : امتثال أمره وكتمان سره وتعظيم قدره .

سابعاً : السيرة :

١ - بداية السؤل فى تفضيل الرسول صلى الله عليه وسلم :

هذه رسالة صغيرة ، توجد منها عدة نسخ متفرقة فى المكتبات كالاتى :
(أ) أربع نسخ بدار الكتب المصرية برقم (٢ ، ٢٦ ، ٢٠٧ مجاميع)
و (٥٠ حديث) .

(ب) نسخة فى مكتبة برلين برقم (٢٥٦٨) (١) .

(ج) نسخة فى مكتبة اسكوريال برقم (٥ : ١٤١١) وعنوانها « غايات الأصول فيما سنع من تفضيل الرسول » .

(د) نسختان فى معهد مخطوطات جامعة الدول العربية برقم (٤٧ توحيد)
و (٧٨ تاريخ) .

وهذه الرسالة تقع فى خمس ورقات تقريباً ، وقد ذكر العز فيها اثنين وثلاثين وجهاً لتفضيل الرسول صلى الله عليه وسلم على سائر المخلوقات .
ومن الوجوه التى ذكرها فى تفضيل الرسول صلى الله عليه وسلم ما يلى :

(١) راجع : بروكلمان (١ : ٤٨٨ - ٥٥٤) .

(أ) أن الله أخبره بأنه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، ولم ينقل أنه أخبر أحداً من الأنبياء بمثل ذلك .

(ب) أنه أول شافع وأول مشفع ، وهذا يدل على تخصيصه وتفضيله .

(ج) أن الله أقسم بحياته ﴿ لعمر ك أنهم لنى سكرتهم يعمهون ﴾ [الحجر : ٧٢] ، للدلالة على شرف حياته وعزتها عند الله عز وجل .

(د) أن الله سبحانه ناداه بأحب أسمائه وأسمى صفاته بقوله : ﴿ يا أيها النبي ﴾ ﴿ يا أيها الرسول ﴾ وهذه التخصيص لم تثبت لغيره ، فجميع الأنبياء ناداهم الله بأسمائهم المجردة ، يا إبراهيم ، يا موسى الخ (١) .

وهكذا استمر العز يذكر وجوه تفضيل النبي محمد صلى الله عليه وسلم على سائر الخلق ومكانته عند الله ، ويرى أن هذه الأدلة إشارات تكفى العاقل الذكى لمعرفة منزلة الرسول عليه السلام ، ويدعو فى النهاية إلى اتباعه فى سنته وطريقته وجميع أخلاقه .

٢ - قصة وفاة النبي صلى الله عليه وسلم :

توجد نسخة منها فى مكتبة برلين برقم (٩٦١٤) H (٢) .

ثامناً : علوم أخرى :

١ - مجلس فى ذم الحشيشة :

يوجد منه نسخة فى مكتبة برل (ليدن) برقم (٢ : ١٠٥٦) (٣) .

٢ - نهاية الرغبة فى أدب النصيحة :

يوجد منه نسخة فى مكتبة باريس برقم (٢٥ : ١١٧٦) (٤) .

(١) راجع : رسالة عبد العظيم فوده « عز الدين بن عبد السلام » ص ١٣٧ ، ١٣٨ .

(٢) راجع : تاريخ الأدب العربى لبروكلمان (١ : ٤٨٨ - ٥٥٤) .

(٣) راجع : ذيل كتاب بروكلمان (١ : ٧٦٦ - ٧٦٩) وكتاب رضوان « العز

ابن عبد السلام » ص ٨٣ .

٣ - ثلاثة وثلاثون شعراً في مدح الكعبة :

يوجد منها نسخة في مكتبة برلين برقم (٦٠٦٨) (١) .

ولعل هذه الأبيات نسبت إليه خطأ كما نسب إليه كتب أخرى - وسيأتى بيان ذلك - لأن ابن السبكي روى عن الإمام فخر الدين عثمان بن بنت أبي سعد أن العز أنشد بيتاً من لفظه لنفسه للطلبة ، وقال لهم : أجزوه ، ولا يعرف له من النظم غيره ، وهو :

لو كان فيهم من عراه غرام ما عنفوني في هواه ولا موا (٢)
كما أن المصادر القديمة لم تذكر هذه الأبيات ضمن مؤلفاته رغم حرصها على ذكر جميع مؤلفاته .

٤ - ترغيب أهل الإسلام في سكنى الشام :

هذه رسالة صغيرة تقع في (١٦) صفحة ، مطبوعة بالمطبعة التجارية بالقدس في ٢٠ جمادى الأولى سنة ١٣٥٩ هـ الموافق ٢٦ حزيران سنة ١٩٤٠ م بتحقيق أحمد سامح الخالدي الديري ، وقد اعتمد في نشرها على نسخة المكتبة الخالدية المخطوطة في ربيع الأول سنة ٨٢٢ هـ (١٤١٩ م) .

وقال المحقق عن أهمية هذه الرسالة : إنها (ترجع أولاً : لقرب عهد المؤلف بالسلطان صلاح الدين . ثانياً : لأنه جاء ذكرها غير مرة في كتاب « إتحاف الأخصا في فضائل المسجد الأقصى » للشمس السيوطي المتوفى سنة ٩٠٦ هـ وقد نقل عنها الإتحاف فهي مصدر مهم عن الشام وفضائله ، واعتقد أن صاحب « مثير الغرام » استعان بها وإن لم يذكرها . وكذلك « الأنس الجليل » والمئيني في كتابه « الاعلام في فضائل الشام » وغيرهم . ثالثاً : لأنها تبين لنا إحدى الاتجاهات الفكرية في الحروب الصليبية فقد أراد بها المؤلف أن يشيد بذكر الشام وخطره وما ورد فيه من الآيات لتشجيع المسلمين على سكنه والتمسك به والمدافعة عنه) ص ٣ ، ٤ .

(١) راجع : المصدرين السابقين .

(٢) راجع : كتابه « طبقات الشافعية » (٨ : ٢٤٦) .

وقد ذكر المحقق ترجمة مختصرة عن العز نقلا عن طبقات ابن السبكي .
وقد اشتملت هذه الرسالة على أحاديث وأخبار الله أعلم بصحتها ، فكان
الأولى بالمحقق ، بل هو من منهج التحقيق أن يخرج هذه الأخبار ويعرف
بالأعلام الواردة في هذه الرسالة ، وإليك نموذجاً من هذه الرسالة حتى
يتضح لك أسلوب العز وموضوعه ، قال بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة
على رسوله صلى الله عليه وسلم (ص ٧ ، ٨) « فإن الله جعلنا من أهل الشام
الذى بارك فيه للعالمين وأسكنه الأنبياء والمرسلين والأولياء والمخلصين والعباد
والصالحين وحفه بملائكته المقربين وجعله في كفالة رب العالمين وجعل أهله
على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم إلى يوم الدين وجعله معقل المؤمنين
وملجأ الهاربين ، ولا سيما دمشق الموصوفة في القرآن المبين بأنها ربوة ذات
قرار ومعين ، وكذا روى عن سيد المرسلين وجماعة من المفسرين . وبها
ينزل عيسى بن مريم عليه السلام لإعزاز الدين ونصرة الموحدين وقتل الكافرين
ولإبادة الملحدين وبغوطتها عند الملاحم فسطاط المسلمين » . ثم شرع بعد ذلك
في ذكر الآيات والأحاديث والأخبار التي تدل على فضل الشام .

كتب نسبت إليه

١ - كشف الإشكالات عن بعض الآيات :

هذه رسالة صغيرة موجودة بدار الكتب المصرية برقم (٨٣٦) وتقع في (١٢) ورقة مخطوطة بخط رقعة جيد . وقد نسبها مفهرس الدار إلى العز ابن عبد السلام . وفيها ورقة من مدير الدار يرجو من القراء ذكر المؤلف الحقيقي لهذه الرسالة .

وقد حققها الدكتور رضوان الندوى ، وأخرجها في ملحق لكتاب العز « فوائد في مشكل القرآن » ونبه على أنها ليست للعز وإنما هي تعقيب عليه من أحد العلماء المتأخرين عنه ، واستدل على ذلك بأنه ورد فيها نقل عن أبي السعود المفسر ، وهو متأخر عن العز .

ثم اجتهد في التعرف على المؤلف فترجح له أنه ناسخها « إسماعيل بن الشيخ محمد الشاش » .

ولكنني عثرت على نسخة أخرى في الدار برقم (٢٩٧) تيمورية مكتوب عليها اسم المؤلف الحقيقي مع العنوان كالاتى : « أجوبة على استشكالات وقعت للعز بن عبد السلام تأليف محمد بن أحمد بن عبد الهادى » المتوفى سنة (٧٤٤ هـ) . مخطوطة سنة ١٣١٧ هـ بخط جميل واضح وناسخها : « إسماعيل ابن الشيخ محمد الشاش » وتقع في عشر ورقات . وعليها ختم مكتوب فيه : « وقف على أحمد بن على بن محمد تيمور بمصر » . وقد اشتملت على ثمانية عشر إشكالا وقعت للعز ، وقد أجاب عنها المؤلف من عنده وتارة ينقل من الكشاف للزمخشري ، أو المغنى لابن هشام ، أو أبى السعود .

وأولها : « الحمد لله الذى أهلى لكشف القناع عن وجوه المشكلات من معانى كتابه العظيم ، وأوصلنى إلى استجلاء عرايس الخفيات من مباني

نظمه الكريم والصلاة والسلام على سيد الكل فى الكل محمد المبعوث بالدين القويم ، وعلى آله وأصحابه الذين عرجوا معارج التكريم ما تفتحت أكمال المسائل بنسيم الفكر المستقيم . وبعد فقد وقفت على أسئلة نفيسة لسلطان العلماء العز بن عبد السلام تتعلق بكلام الملك العلام فسرحت النظر فيها الخ .

٢ - العباد فى موارىث العباد :

هذا الكتاب مخطوط من تأليف الشيخ عز الدين بن أحمد بن محمد بن عبد السلام المصرى الشافعى المنوفى (١) ، وقد ذكر فى بطاقات فهرس المخطوطات الظاهرية برقم (٦٦٩٠) من بين مؤلفات شيخى العز بن عبد السلام ، وهذا خطأ ، وسببه تشابه الإسمين . وقد سها عنه الأستاذ الباحث عمر رضا كحالة فنقل هذا الخطأ فى كتابه « معجم المؤلفين » فى ترجمة شيخى العز (٢) .

٣ - فرائد الفوائد وتعارض القولين لمجتهد واحد :

هذا الكتاب ذكره بروكلمان من بين مؤلفات شيخى العز بن عبد السلام ، وذكر أنه موجود بمكتبة برلين برقم (٤٣٥٩) وفهرس دار الكتب المصرية (١ : ٥٣٢) (٣) . وتابعه فى ذلك رضوان الندوى وقد رجعت إلى فهرس الدار ، واطلعت على هذا الكتاب فوجدته من تأليف شمس الدين بن محمد السلمى الشافعى الشهير بالمناوى . فنسبته إلى شيخى العز خطأ ، وسببه اشتراك الإسمين فى « السلمى » .

٤ - حل الرموز ومفاتيح الكنوز :

هذا كتاب صغير قد اشتمل على فصول فى التصوف وسبب تأليفه حل الرموز التى يستعملها المتصوفة مما فيه غموض يشكل ظاهره عند غيرهم . وقد ذكره بروكلمان ضمن مؤلفات شيخى العز بن عبد السلام وذكر له

(١) راجع : كشف الظنون لحاجى خليفة (٢ : ٩١١) .

(٢) راجع : كتاب رضوان الندوى « العز بن عبد السلام » ص ٨٤ .

(٣) راجع : كتابه « تاريخ الأدب العربى » (١ : ٤٨٨ - ٥٥٤) .

نسخة مخطوطة في رام بور بالهند برقم (١ : ٣٣٥) (١) . وقد طبع هذا الكتاب بمطبعة جريدة الإسلام في مصر سنة ١٣١٧ هـ ، كما طبع بالمطبعة اليوسفية بطنطا . وقد نسب إلى شيخى العز في كلا الطبعتين ، وكتبت عليه ترجمته . والصواب أنه لعز الدين عبد السلام ابن الشيخ أحمد المقدسى الواعظ (ت ٦٧٨ هـ) لأننى قد اطلعت على ثلاث نسخ مخطوطة لهذا الكتاب في مكتبة جامعة استنبول واحدة برقم (٣٦٢٣) Ay وأخرى برقم (٢٧٨٦) Ay ، وثالثة برقم (١٤٦٨) Ay ، وكلها مكتوب عليها اسم المؤلف الحقيقى للكتاب وهو عز الدين المقدسى .

كما يوجد نسخ أخرى للكتاب فتوجد نسخة بمكتبة بايزيد باستنبول برقم (٣٣٢٩ : ٦٨) ونسخة أخرى بالمكتبة الظاهرية بدمشق برقم (١٦) تصريف ، ونسخة أخرى بمعهد مخطوطات جامعة الدول العربية برقم (١٤٣) توحيد ، وهذا الخطأ في نسبة الكتاب قد أوقع بعض المترجمين لشيخى العز في الوهم ، فذكروه من بين مؤلفاته في التصوف ، وعلى أنه يمثل اتجاهه الفكرى ومسلكه في التصوف . ومن وقع في ذلك الدكتور على صافى حسين (٢) ومحمود رزق سليم (٣) ، ومحمد حسن عبد الله (٤) . وعبد العظيم فوده (٥) ، ومحمود الشرقاوى (٦) وقد أطنبوا في الكلام على تصوف العز من خلال هذا الكتاب ، وحاول محمد حسن أن يوفق بين ما جاء في هذا الكتاب من تفريق بين الحقيقة والشرعية وبين ما جاء في كتاب العز « قواعد الأحكام » الذى جمع فيه بين الحقيقة والشرعية .

كما أن الدكتور رضوان الندوى نسب إليه في كتابه « العز بن عبد السلام » (ص ٨١) ، ولكنه تذبذب إلى ذلك الخطأ فنسبه إلى مؤلفه الحقيقى في مقدمة تحقيقه لكتاب العز « فوائد في مشكل القرآن » .

-
- (١) راجع : ذيل كتابه « تاريخ الأدب العربى » (١ : ٧٦٩) .
 - (٢) راجع : كتابه « ابن دقيق العيد حياته وديوانه » ص ٥٠ .
 - (٣) راجع : كتابه « عصر سلاطين المماليك وإنتاجه العلمى والأدبى » ص ٣٠ .
 - (٤) راجع : كتابه « عز الدين بن عبد السلام بائع الملوك » ص ١٧٣ وما بعدها .
 - (٥) راجع : رسالته للماجستير « عز الدين بن عبد السلام » ص ١٤٠ - ١٤٥ .
 - (٦) راجع : كتابه « سلطان العلماء » ص ٦٧ - ٧١ .

٥ - كشف الأسرار عن حكم الطيور والأزهار :

هذا الكتاب لعز الدين عبد السلام بن أحمد المقدسي الواعظ . وقد ذكره رضوان الندوى (١) ضمن مؤلفات شيخى العز ، وهذا خطأ ، وسببه تشابه الإسمين . وهذا الكتاب مطبوع فى رجب سنة ١٢٨٧ هـ بمطبعة وادى النيل ، وعليه اسم مؤلفه الحقيقى « عز الدين المقدسى » ويقع فى (٨٠) صفحة ، وهو كتاب طريف كتبه مؤلفه موعظة لأهل الاعتبار ، وتذكرة لنوى الأبصار والاستبصار فأكثر فيه من ضرب الامثال وذكر الحكايات والأشعار والألغاز كما اشتمل على فوائد فى اللغة والنحو .

٦ - نخبة العربية فى ألفاظ الأجرومية فى النحو :

هذا الكتاب نسبه الدكتور رضوان الندوى إلى العز اعتقاداً على كتاب « إيضاح المكنون » (٢) . والصواب أنه لغيره وقد حقق ذلك الدكتور على الفقير فقال : « ومما يؤيد أنه ليس من مؤلفات إمامنا العز أن ابن أجروم مؤلف متن الأجرومية كان قد ولد عام (٦٧٢ هـ) أى بعد وفاة الإمام العز باثني عشر عاماً ومن المستحيل أن يكون إمامنا العز قد شرح الأجرومية بعد وفاته ، فلا بد من أن يكون غيره هو الشارح ،

وقد ذكر هذا صاحب كشف الظنون فقال : مقدمة الأجرومية فى النحو لأبى عبد الله محمد بن محمد أبى داود الصنهاجى المعروف بابن أجروم .

ثم قال : وشرحها أحمد بن محمد بن عبد السلام شرحين أحدهما سماه (النخبة العربية فى حل ألفاظ الأجرومية) والآخر سماه (الجواهر المضية فى حل ألفاظ الأجرومية) » (٣) .

(١) راجع : كتابه « العز بن عبد السلام » ص ٧٧ .

(٢) راجع كتابه « العز بن عبد السلام » ص ٨٣ .

(٣) راجع : رسالته « الإمام العز بن عبد السلام » (١ : ٢٥٤ ، ٢٥٥) .

الباب الثاني

منهج العز في التفسير

يتكون من تمهيد وثلاثة فصول

التمهيد : التعريف بتفسير الماوردي والعز
الفصل الأول : مصادر تفسير الماوردي وتأثر المفسرين
به .

الفصل الثاني : منهج العز في تفسيره المختصر .

الفصل الثالث : مقارنة بين تفسيري العز .

التمهيد

التعريف بتفسير الماوردي والعز

١ - التعريف بتفسير الماوردي « النكت والعيون » :

بدأت بالتعريف بتفسير الماوردي لأن تفسير العز اختصار له ، وهو تفسير كامل للقرآن الكريم اقتصر فيه مؤلفه على تفسير ما خفى من آيات القرآن الكريم ، أما الجلي الواضح فتركه لفهم القارئ ، وقد جمع فيه بين أقاويل السلف والخلف ، كما أضاف إلى ذلك ما ظهر له من معنى محتمل .

وربته ترتيباً بديعاً ، فهو يحصر الأقوال الكثيرة في تأويل الآية في عدد ، ثم يفصلها الأول فالثاني فالثالث الخ . وينسب كل قول إلى قائله غالباً ، مع توجيه لبعض الأقوال وترجيح ، كما أنه يترك كثيراً منها بدون توجيه وترجيح .

وقد اعتنى فيه بالتفسيرات اللغوية ، فيذكر أصول الكلمات ، ويوضحها بضرب الأمثال ، والاستشهاد عليها بالشعر ، ويربطها بالمعنى المراد من الآية في عبارة موجزة ناصعة البيان .

قال الماوردي مبيناً لمنهجه (١) : « ولما كان الظاهر الجلي مفهوماً بالتلاوة ، وكان الغامض الخفي لا يعلم إلا من وجهين [نقل وا] (٢) جهاد ، جعلت كتابي هذا مقصوراً على تأويل ما خفى علمه ، وتفسير ما غمض تصويره ، جعلته جامعاً بين أقاويل السلف والخلف ، وموضحاً عن المؤلف والمختلف ، وذاكراً [ما سنح] (٣) به الخاطر من معنى محتمل ، عبرت عنه بأنه محتمل

(١) راجع مقدمة تفسيره (ق ١ : ١ ب) .

(٢ ، ٣) ما بين المكوفين من (ك ١ : ١ ب) وقد سقط من (ق) .

ليتميز ما قيل مما قلته ، ويعلم ما استخرج مما استخرجته ، وعدلت عما ظهر معناه من فحواه اكتفاء بفهم قارئه وتصور تاليه من أقرب مأخذاً وأسهل مطلباً ، وقدمت لتفسيره فصولاً تكون لعلمه أصولاً ، يتضح منها ما اشتبه تأويله ، وخفي دليله ، وأنا استمد من الله - تعالى - حسن معونته ، وأسأله الصلاة على محمد وآله وصحابه .

ولا يزال هذا التفسير مخطوطاً ، وقد نال شهرة كبيرة ، لانتشار نسخه الخطية في الشرق والغرب ، ونقل من جاء بعده من المفسرين عنه ، كالقرطبي الذي اعتمد عليه كثيراً وابن الجوزي والفخر الرازي وغيرهم . كما أن بعض العلماء قام باختصاره وتهذيبه . فقد ذكر حاجي خليفة (١) ، أن الشيخ أبا الفيض محمد بن علي بن عبد الله الحلبي قد اختصره ، ولكن هذا المختصر لم يصل إلينا . ولم يذكر حاجي خليفة اختصار العزله .

٢ - التعريف بتفسير العز :

هو اختصار لتفسير الماوردي ولم يبين العز سبب اختصاره ، ولا منهجه في الاختصار . فلم يزد في مقدمته على قوله : « الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله » ثم شرع في الاختصار .

ولعل سبب اختصاره ما يلي :

- ١ - قيمة تفسير الماوردي العلمية وأهميته ونفاسته .
- ٢ - ما فيه من تطويل يحتاج إلى اختصار وتهذيب .
- ٣ - مجارة للعصر الذي عاش فيه العز ، فقد كثرت فيه المختصرات ، لأن العلوم قد كملت تقريباً ونضجت . فالمطلع على مؤلفات العز يجد أن بعضها مختصرات ، حتى أنه اختصر كتابه « قواعد الأحكام » في كتاب « القواعد الصغرى » .

وهكذا شاعت المختصرات في هذا العصر . كما سبق بيانه في الحالة العلمية في عصر العز .

(١) انظر : كتابه « كشف الظنون » (١ : ٤٥٨) .

وقد حافظ العز في اختصار تفسير الماوردي على ما امتاز به من جمع أقاويل السلف والخلف في تفسير الآية ، ولكنه لا يحصرها في عدد ثم يفصلها الأول فالثاني فالثالث ... الخ كما الماوردي . فالعز يذكرها بعطف بعضها على بعض بـ « أو » ، وقد يحذف بعض الأقوال اختصاراً ، كما أنه — أحياناً — لا يلتزم بترتيب الماوردي للأقوال ، فيقدم ما أخره ولعله بتصرفه هذا يميل إلى ترجيح ما قدمه . ويترك نسبة كثير من الأقوال التي نسبها الماوردي إلى قائلها ، ويترك تفسير بعض الآيات التي فسرها الماوردي ، أو يقتصر على تفسير جزء منها . ولا يعتنى بالقراءات كناية الماوردي .

كما أنه يحذف صورة الأشكال أو صيغة السؤال التي أوردتها الماوردي على بعض الآيات ، فيقتصر العز على إيراد الجواب فقط . ويختصر بعض أسباب النزول التي أطال فيها الماوردي في عبارة موجزة تؤدي الغرض . والماوردي — أحياناً — يستطرد في ذكر بعض الأخبار الإسرائيلية ، أو تفصيل بعض الأحكام الفقهية . ولكن العز يهذب ذلك في عبارة مختصرة كما اعتنى العز بالتفسيرات اللغوية التي امتاز بها تفسير الماوردي ، فذكرها في عبارة موجزة مفصلة واضحة تاركاً بعض الاستطرادات التي لا لزوم لها ، وقد اقتصر على بعض الشواهد الشعرية ، ولم يكثر منها كما الماوردي .

وهكذا قدم العز تفسير الماوردي في أسلوب جيد في أقرب عبارة وأخصرها متوخياً الدقة في ذلك حتى أنه يقتبس لفظ الماوردي في بعض الحالات .

ولم يزد على تفسير الماوردي شيئاً إلا ما ندر من تعقيب أو توجيه وقد ميز ذلك بقوله : « قلت » مبالغة في الدقة ، والأمانة العلمية . لذا لم تبرز شخصيته في هذا المختصر اللهم إلا في الأسلوب ، وطريقة عرض المعلومات وترتيبها .

هذا تعريف موجز بتفسير العز مقارناً بتفسير الماوردي ، أدخل منه إلى بيان مفصل لمصادر الماوردي ، وتأثر المفسرين به ومنهج العز في تفسيره الذي اختصر فيه تفسير الماوردي وقيمه العلمية .

الفصل الأول

مصادر تفسير الماوردي وتأثر المفسرين به

- ١ - مصادر هـ .
- ٢ - اتهامه بالاعتزال وموقف العز منه .
- ٣ - تأثر المفسرين به .

مصادره

في هذا المبحث سأبين مصادر الماوردي التي استمد منها تفسيره ، وهي مصادر تفسير العز - أيضاً - لأنه اختصار لتفسير الماوردي ، فالعز قد نقل عنها بواسطته . لذا كان من الضروري بيانها باعتبارها مقدمة لا بد منها لدراسة المنهج الذي سار عليه العز في تفسيره .

وقد استمد الماوردي مادة تفسيره من مصادر كثيرة ومتنوعة ، منها مصادر في القراءات ، ومصادر في التفسير بالمأثور ، ومصادر في اللغة والنحو ، ومصادر أخرى جمعت بين التفسير بالمأثور والمعقول . وسأذكر أهم هذه المصادر ، وأبين طريقة استفادته منها مقارناً ذلك باختصار العز .

أولاً : مصادره في القراءات :

الماوردي يذكر القراءات السبع ، أو الشاذة في بعض الآيات ، ويبين معناها ويوجهها ، ولكنه لا يشير إلى المصادر التي نقل عنها . ولعله اعتمد في ذلك على كتب القراءات التي كانت موجودة في عصره ككتاب القراءات الشاذة لابن خالويه (ت ٣٧٠ هـ) وكتاب « الحجة في علل القراءات السبع » لأبي علي الحسن بن أحمد الفارسي (ت ٣٧٧ هـ) ، وكتاب « المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها » لأبي الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢ هـ) ، وكتاب « التبصرة في القراءات السبع » و « الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها » لمكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧ هـ) ، وقد ذكر مكي : أنه : ألف كتاب « التبصرة » بالمشرق سنة (٣٩١ هـ) (١) .

(١) انظر : مقدمة كتابه « الكشف عن وجوه القراءات السبع » (١ : ٣) .

ولعله استفاد - أيضاً - من كتب أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت ٤٤٤ هـ) ، فهي كتب كثيرة ، ألفها في القراءات السبع والشاذة ، مثل كتاب « التيسير في القراءات السبع » و « جامع البيان في القراءات السبع » و « المختار في القراءات الشاذة » وغيرها .

ثانياً : مصادره في التفسير بالمأثور :

يعتبر تفسير الطبري (ت ٣١٠) : « جامع البيان عن تأويل آي القرآن » من أهم مصادره في التفسير بالمأثور ، فغالب ما نقله من الأحاديث ، وأسباب النزول ، وأقوال الصحابة والتابعين نقله منه .

ومنهج الطبري في ذكر اختلاف المفسرين أنه يلخص أقوال المفسرين المتفق عليه ثم يرويها ، ثم بعد ذلك يلخص أقوال آخرين مخالفة لأقوال السابقين ثم يرويها ، وهكذا حتى ينهي ما جمعه من الأقوال المختلفة ، ثم يرجع ما يراه ، ويدلل عليه ، ويرد ما خالفه :

وقد تأثر الماوردي بالطبري كثيراً ، فهو ينقل تلخيصه للأقوال بتصرف ، وأحياناً بالنص ، ثم ينسبها إلى من رواها عنه الطبري ، وقد يتابعه في ترجيحه لبعض الأقوال ، فينقل عبارته بتصرف وقد يتعقبه ، كما أنه ينقل عنه أقوال من يسميهم الطبري : (أهل البحث ، أو الكلام) ولا ينسب ما نقله عنه إليه إلا قليلاً . وإليك أمثلة توضح طريقة استفادته من الطبري ، وتأثره به :

١ - مثال لترجيحه ما رجحه الطبري دون الإشارة إليه :

قال الماوردي (١ د : ٤٠ - أ) وتابعه العز مرجحين نسخ حكم قوله تعالى : ﴿ يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه ﴾ . [البقرة : ٢١٧] فقال : « وتحريم ذلك محكم عند إعطاء [يعني ابن أبي رباح] منسوخ على الأصح ، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم غزا هوازن وثقيفاً ، وأرسل أبا عامر إلى أوطاس في بعض الأشهر الحرم ، وبابع على قتال قريش بيعة الرضوان في ذي القعدة » انتهى بعبارة العز .

هذا الترجيح قد سبق إليه الطبري ، وإليك عبارته حتى يتضح لك تأثر الماوردي به ونقله لعبارته بتصرف ، مع ترك الإشارة إليه :

قال الطبري مرجحاً : « والصواب من القول في ذلك ما قاله عطاء ابن ميسرة من أن النبی عن قتال المشركين في الأشهر الحرم منسوخ بقوله جل ثناؤه : ﴿ إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً ... ﴾ . [التوبة : ٣٦] .

وإنما قلنا ذلك ناسخ لقوله : ﴿ يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير ﴾ . [البقرة : ٢١٧] لتظاهر الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه غزا هوازن بحنين وثقيفاً بالطائف ، وأرسل أبا عامر إلى أوطاس لحرب من بها من المشركين في بعض الأشهر الحرم ، وذلك في شوال وبعض ذي القعدة ، وهو من الأشهر الحرم .

فكان معلوماً بذلك أنه لو كان القتال فيهن حراماً وفيه معصية كان أبعد الناس من فعله صلى الله عليه وسلم ، وأخرى أن جميع أهل العلم بسير رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تندافع أن بيعة الرضوان على قتال قريش كانت في ذي القعدة الخ (١) . فافقاً ترجيح الطبري وقارنه بترجيح الماوردي يتضح لك أنه هو مع اختصار في العبارة ، وتجده استدلل بنفس أدلة الطبري ، وساقها حسب ترتيبه وهي « لأن الرسول صلى الله عليه وسلم غزا هوازن وثقيفاً وأرسل أبا عامر إلى أوطاس ... الخ وهذا الترجيح فيه نظر ، راجع تعليق على هذه الآية في تحقيق تفسير العز .

٢ - مثال لتعقيبه على قول الطبري :

ذكر الماوردي (ق ١ : ١١٩ ب) في تفسير قوله تعالى : ﴿ واهجروهن في المضاجع ﴾ . [النساء : ٣٤] خمسة أقوال ونسب القول الأخير إلى الطبري ، فقال الماوردي : « والخامس : هو أن يربطها بالهजार ، وهو جبل يربط به البعير ليقرها على الجماع ، وهو قول أبي جعفر الطبري واستدل برواية ابن المبارك عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال : قلت يا رسول الله نساؤنا ما نأتى منها وما نذر قال : حرثك فات حرثك أنى شئت غير أن لا تضرب الوجه ، ولا تفجر (٢) ولا تهجر إلا في البيت ، وأطعم إذا طعمت

(١) راجع : تفسيره (٤ : ٣١٤) طبع دار المعارف .

(٢) في تفسير الطبري (٨ : ٣١٠) معارف « ولا تقبح » .

واكس إذا اكتسيت ، كيف وقد أفضى بعضكم إلى بعض . وليس في هذا
الخبر دليل على تأويله دون غيره » . (١)

٣ - مثال لنقله تلخيص الطبري لأقوال المفسرين :

قال الماوردي (ق ١ : ٨٥ ب) في تفسير قوله تعالى : ﴿ منه آيات
محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات ﴾ . [آل عمران : ٧] : « اختلف
المفسرون في تأويله على خمسة أقاويل : أحدها : أن المحكم الناسخ ، والمتشابه
المنسوخ ، وهذا قول ابن عباس وابن مسعود . والثاني : أن المحكم ما أحكم
الله بيان حلاله وحرامه ، فلم تشبه معانيه والمتشابه ما اشتبهت معانيه ، وهذا
قول مجاهد .

والثالث : أن المحكم ما لم يحتمل من التأويل إلا وجهاً واحداً . والمتشابه
ما احتمل من التأويل أوجه ، وهذا قول محمد بن جعفر بن الزبير .

والرابع : أن المحكم الذي لم تتكرر ألفاظه . والمتشابه الذي تكررت
ألفاظه ، وهذا قول ابن زيد .

والخامس : أن المحكم ما عرف العلماء تأويله وتفسيره والمتشابه ما لم يكن
لهم إلى علمه سبيل مما استأثر الله بعلمه ، كقيام الساعة ، وطلوع الشمس
من مغربها وخروج عيسى ونحوه ، وهذا قول جابر بن عبد الله .

فالماوردي قد نلخص عبارة الطبري في القول الأول والرابع ، ونقل
نصها تقريباً في بقية الأقوال ، والتزم بترتيبه للأقوال ولم يشير إليه . ونقل
العز عبارة الماوردي بتصرف قليل جداً . وإليك عبارة الطبري حتى يتضح
لك ذلك :

وهي قوله : « وقد اختلف أهل التأويل في تأويل قوله : ﴿ منه آيات
محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات ﴾ وما المحكم من آي الكتاب ،
وما المتشابه منه ؟ .

فقال بعضهم : المحكمات من آي القرآن المعمول بهن وهن النسخات ،

(١) راجع : المصدر السابق (٨ : ٣٠٢ - ٣٠٩) .

أو المثبتات الأحكام . والمتشابهات من آيه المتروك العمل بهن ، المنسوخات .
ذكر من قال ذلك »

ثم رواه عن ابن عباس وابن مسعود وناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وقتادة والربيع والضحاك ثم قال : « وقال آخرون : المحكمات من آى الكتاب : ما أحكم الله فيه بيان حلاله وحرامه . والمتشابه منها : ما أشبه بعضه بعضاً فى المعانى وإن اختلفت ألفاظه . ذكر من قال ذلك » .

فرواه عن مجاهد .

ثم قال : « وقال آخرون : المحكمات من آى الكتاب : ما لم يحتمل من التأويل غير وجه واحد . والمتشابه منها . ما احتمل من التأويل أوجهاً . ذكر من قال ذلك » فرواه عن محمد بن جعفر بن الزبير .

ثم قال : « وقال آخرون : معنى المحكم : ما أحكم الله فيه من آى القرآن ، وقصص الأمم ورسلمهم الذين أرسلوا إليهم ففصله ببيان ذلك لمحمد وأمته . والمتشابه : هو ما اشتبهت الألفاظ به من قصصهم عند التكرير فى السور ، بقصه باتفاق الألفاظ واختلاف المعانى ، وبقصه باختلاف الألفاظ واتفاق المعانى . ذكر من قال ذلك » .

فرواه عن ابن زيد .

ثم قال : « وقال آخرون : بل المحكم من آى القرآن : ما عرف العلماء تأويله وفهموا معناه وتفسيره . والمتشابه : ما لم يكن لأحد إلى علمه سبيل مما استأثر الله بعلمه دون خلقه ، وذلك نحو الخبر عن وقت مخرج عيسى ابن مريم ، ووقت طلوع الشمس من مغربها ، وقيام الساعة ، وفناء الدنيا ، وما أشبه ذلك ، فإن ذلك لا يعلمه أحد » .

ثم قال : « وهذا قول ذكر عن جابر بن عبد الله بن رثاب » ثم رجع هذا القول (١) .

٤ — مثال لنقله ما نقله الطبرى عن يسميه أهل البحث :

قال الماوردى (ق : ١ : ٧٥ ب) فى تفسير قوله تعالى : ﴿ الله لا إله

(١) راجع تفسيره (٦ : ١٧٤ - ١٨٠) طبعة المعارف .

إلا هو الحى القيوم ﴿ [البقرة : ٢٥٥] : « الحى فيه ثلاثة تأويلات :
أحدها : أنه سمي نفسه لصرفه الأمور مصارفها . وتقديره الأشياء مقاديرها ،
فهو بالتقدير حى لا بحياة .

والثانى : أنه حى بحياة هى له صفة .

والثالث : أنه اسم من أسماء الله تسمى به فقلناه تسليماً لأمره « اه .
وهذا نص عبارة الطبرى تقريباً ، ولم يذكر الماوردى أنه نقله عنه
بينما القرطبي نقل بعض هذا النص فى تفسيره (٣ : ٢٧١) ونسبه إلى الطبرى
عن قوم . وإليك عبارة الطبرى حتى يتضح لك الأمر :

وهى قوله : « وقد اختلف أهل البحث فى تأويل ذلك . فقال بعضهم :
إنما سمي الله نفسه حياً لصرفه الأمور مصارفها ، وتقديره الأشياء مقاديرها ،
فهو حى بالتدبير لا بحياة .

وقال آخرون : بل حى بحياة هى له صفة .

وقال آخرون : بل ذلك اسم من الأسماء تسمى به ، فقلنا تسليماً
لأمره « (١) اه .

وقد اختصر العز هذا النص فى عبارة موجزة مع تقديم القول الثانى
على الأول . راجعها وقارنها بأصل النص فى الطبرى ، أو الماوردى تجدها
صالحة أن تكون اختصاراً لنص كل واحد منهما .

٥ - مثال لنقله نص عبارة الطبرى أو تلخيصها :

قال الماوردى (ق : ١ : ١٢٤ - أ) فى قوله تعالى : ﴿ كلما نضجت
جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ﴾ . [النساء : ٥٦] : « فإن قيل وكيف
يجوز أن يبدلوا جلوداً غير جلودهم التى كانت لهم فى الدنيا فيعذبوا فيها
ولو جاز ذلك لجاز أن يبدلوا أجساماً وأرواحاً غير أجسامهم وأرواحهم التى
كانت فى الدنيا ، ولو جاز ذلك لجاز أن يكون المعذبون فى الآخرة بالنار
غير الذين وعدهم الله فى الدنيا على كفرهم العذاب بالنار ؟ فقد أجاب أهل
العلم عنه بثلاثة أجوبة :

(١) راجع : تفسيره (٥ : ٣٨٧) طبعة المعارف .

أحدها : أن ألم العذاب إنما يصل إلى الإنسان الذى هو غير الجلد واللحم ،
وإنما يحرق الجلد ليصل إلى الإنسان ألم العذاب ، أما الجلد واللحم فلا يألمان ،
فسواء أعيد على الكافر جلده الذى كان عليه فى الدنيا أو جلد غيره* .
والجواب الثانى : أنه تعاد تلك الجلود الأولى محترقة .

والجواب الثالث : أن الجلود المعادة إنما هى سراييلهم من قطران
جعلت لهم لباساً فسمها الله جلوداً . وأنكر قائل هذا القول أن تكون الجلود
تحترق وتعاد غير محترقة لأن فى حال احتراقها إلى حال إعادتها فناءها وفى
فنائها راحتها ، وقد أخبر الله عنها أنها لا تموت ولا يخفف عنهم العذاب » اه .
فالماوردى ذكر السؤال بنفس عبارة الطبرى عدا تصرف قليل جداً
وذكر الجواب الأول بنص عبارة الطبرى تقريباً . واختصر الجواب الثانى
والثالث .

وراجع تفسير العز تجده حذف السؤال كعادته فى مثل هذه المواضع .
وذكر الجواب الأول بعبارة الطبرى تقريباً ، واختصر الجواب الثانى والثالث
بنفس اختصار الماوردى تقريباً .

واليك عبارة الطبرى حتى يتضح لك ذلك .
وهى قوله : « فإن سأل سائل فقال : وما معنى قوله جل ثناؤه :
﴿ كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ﴾ ؟ وهل يجوز أن يبدلوا جلوداً
غير جلودهم التى كانت لهم فى الدنيا فيعذبوا فيها ؟ فإن جاز ذلك عندك ،
فأجز أن يبدلوا أجساماً وأرواحاً غير أجسامهم وأرواحهم التى كانت لهم فى
الدنيا فتعذب ، وإن أجزت ذلك لزمك أن يكون المعذبون فى الآخرة بالنار ،
غير الذين أوعدهم الله العقاب على كفرهم به ومعصيتهم إياه ، وأن يكون الكفار
قد ارتفع عنهم العذاب .

قيل : إن الناس اختلفوا فى معنى ذلك .

فقال بعضهم : العذاب إنما يصل إلى الإنسان الذى هو غير الجلد واللحم
وإنما يحرق الجلد ليصل إلى الإنسان ألم العذاب وأما الجلد واللحم فلا يألمان .
قالوا : فسواء أعيد على الكافر جلده الذى كان له فى الدنيا أو جلد غيره
وقال آخرون : بل الجلود تألم واللحم وسائر أجزاء جرم بنى آدم . وإذا أحرق

(١) زيادة من تفسير العز لأن المعنى يقتضيها .

جلده أو غيره من أجزاء جسده وصل ألم ذلك إلى جميعه . قالوا : ومعنى قوله : ﴿ كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ﴾ بدلناهم جلوداً غير محترقة . وذلك أنها تعاد جديدة ، والأولى كانت قد احترقت فأعيدت غير محترقة ... وقال آخرون : معنى قوله : ﴿ كلما نضجت جلودهم ﴾ سرايلهم بدلناهم سرايل من قطران غيرها فجعلت السرايل من القطران لهم جلوداً ... قالوا : وأما جلود أهل الكفر من أهل النار فإنها لا تحترق لأن في احتراقها - إلى حال إعادتها - فناءها ، وفي فنائها راحتها . قالوا : وقد أخبر الله تعالى ذكره عنها : أنهم لا يموتون ولا يخفف عنهم من عذابها ... الخ (١) .

هذا وهناك أمثلة كثيرة تركتها خشية التطويل . ومن هذه الأمثلة نستنتج أن الماوردي اعتمد كثيراً على تفسير الطبري في المأثور ، وأحياناً في الرأي . فهو ينقل عبارته نصاً أو بتصرف أو باختصار ، وأحياناً يرجع ما يرجحه الطبري . ولا يشير إليه ، وأحياناً يتعقبه .

ثالثاً : مصادره اللغوية والنحوية :

استمد الماوردي مادته اللغوية والنحوية من مصادر كثيرة ومتنوعة . منها مصادر جمعت بين اللغة والنحو ، ولها صلة وثيقة بالنص القرآني ، كالكتب التي ألفت في معاني القرآن وغريبه ومجازه ، ومنها كتب لغوية ونحوية بحتة . فنقل عن الكسائي (ت ١٨٣ هـ) والقراء (ت ٢٠٧ هـ) والأخفش (ت ٢١٠ هـ) وثعلب (ت ٢٥١ هـ) والمبرد (ت ٢٨٥ هـ) والمفضل بن سلمة بن عاصم (ت ٢٩١ هـ) والزجاج (ت ٣١١ هـ) ولهم كلهم مؤلفات في « معاني القرآن » .

ونقل عن مؤرج بن عمر السدوسي (ت ١٩٥ هـ) وله كتاب « غريب القرآن » ، وعن محمد بن المستنير المعروف بقطرب (ت ٢٠٦ هـ) وله كتاب « إعراب القرآن » و « مجاز القرآن » ، وعن معمر بن المثنى أبي عبيدة (ت ٢١٠ هـ) وله كتاب « مجاز القرآن » ، وعن ابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ)

(١) راجع : تفسيره (٨ : ٤٨٥ - ٤٨٧) طبعة المعارف .

وله كتاب « غريب القرآن » و « تأويل مشكل القرآن » ، وعن عيسى بن علي الرمانى (ت ٣٨٤ هـ) وله « الجامع لعلم القرآن » (١) ورسالة فى إعجاز القرآن .

كما نقل نقولا قليلة عن الخليل بن أحمد (ت ١٧٥ هـ) وسيبويه (ت ١٨٠ هـ) وعمرو بن العلاء (ت ٢٥٤ هـ) . وينقل عن هؤلاء جميعاً ولا يشير إلى كتبهم ، وقد عزوت بعض هذه النقول إلى مصادرها .

وإليك أمثلة توضح طريقة استفادته من هذه المصادر .

١ - نقل الماوردى (ق ١ : ٩٤ ب) عن الكسائى والفراء فى تفسير قوله تعالى : ﴿ أو يحاجوكم عند ربكم ﴾ . [آل عمران : ٧٣] : فقال : « فيه قولان :

أحدهما : يعنى ولا تؤمنوا أن يحاجوكم عند ربكم لأنه لا حجة لهم ، وهذا قول الحسن وقتادة .

والثانى : أن معناه حتى يحاجوكم عند ربكم على طريق التبعيد ، كما يقال : لا تلقاه أو تقوم الساعة ، وهذا قول الكسائى والفراء » اهـ .

٢ - نقل الماوردى (ق ١ : ١٢ ب) عن الخليل والأخفش فى تفسير قوله : ﴿ إياك نعبد ﴾ . [الفاتحة : ٥] فقال : « قوله : ﴿ إياك ﴾ فهو كناية عن اسم الله تعالى ، وفيه قولان :

أحدهما : أن اسم الله تعالى مضاف إلى الكاف وهذا قول الخليل . والثانى : أنها كلمة واحدة ، كنى بها عن اسم الله تعالى ، وليس فيها إضافة ، لأن المضمرة لا يضاف ، هذا قول الأخفش » اهـ .

٣ - نقل الماوردى (ق ١ : ٥٢ ب) عن الأخفش والزجاج وأبى عبيدة والمبرد وثعلب فى تفسير قوله تعالى : ﴿ ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ﴾ . [البقرة : ١٣٠] فقال : « فيه ثلاثة تأويلات .

(١) هذا التفسير مخطوط يوجد منه الجزء السابع بمكتبة باريس برقم (٢٦٥٢٣) وقطعة من الجزء (١٢) فى (١٥٠) ورقة مصورة بمعهد مخطوطات جامعة الدول العربية عن نسخة مكتبة المسجد الأقصى برقم (٢٩) ويوجد منه « تفسير جزء عم » بالمكتبة التيمورية بدار الكتب المصرية

أحدها : أن ذلك سفه نفسه أى فعل بها السفه ما صار به سفيهاً ، وهذا قول الأخفش .

والثاني : أنها بمعنى سفه فى نفسه فحذف حرف الجر كما حذف من قوله ﴿ ولا تعزموا عقدة النكاح ﴾ . [البقرة : ٢٣٥] أى على عقدة النكاح وهذا قول الزجاج .

والثالث : أنها بمعنى أهلك نفسه وأوبقها ، وهذا قول أبى عبيدة . قال المبرد وثعلب : سفه بكسر الفاء يتعدى ، وسفه بضم الفاء لا يتعدى اه . وقد نقل العز هذا النص فحذف نسبة التأويلات الثلاثة . ونسب قول المبرد وثعلب إليهما . وهذا من الأمثلة على ترك العز نسبة كثير من الأقوال إلى أصحابها .

٤ - نقل الماوردى (ق ١ : ٢٠ ب) عن المفضل بن سلمة فى تفسير قوله تعالى : ﴿ وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار ﴾ . [البقرة : ٢٥] فقال : « والجنات جمع جنة ، وهى البستان ذو الشجر ، وسمى جنة لأن ما فيه من شجر يستره . وقال المفضل : الجنة كل بستان فيه نخل ، وإن يكن فيه شجر غير (١) وإن كان غيره (٢) ، وإن كان فيه كرم فهو فردوس كان فيه شجر غير الكرم أو لم يكن » .

٥ - نقل الماوردى (ق ١ : ١٧٦ ب) عن الزجاج فى تفسير قوله تعالى : ﴿ ولتنذر أم القرى ﴾ . [الأنعام : ٩٢] فقال : « وأم القرى مكة ، وفى تسميتها بذلك ثلاثة أقاويل :

أحدها : لأنها مجتمع القرى كما يجتمع الأولاد إلى الأم .
والثانى : لأنها أول بيت وضع بها فكأن القرى نشأت عنها قاله السدى .

والثالث : لأنها معظمة كتعظيم الأم قاله الزجاج . اه .

(١) هكذا فى (ق) وفى اختصار العز « وإن لم يكن فيه شجر غيره » .
(٢) قوله : « وإن كان غيره » لعلها زيادة من الناسخ لأن النص يستقيم بدونها .
ولست موجودة فى اختصار العز .

٦ - نقل الماوردي (ق ١ : ١١٦ - أ) عن سيبويه في تفسير قوله تعالى : ﴿ إن الله كان عليهما حكيمًا ﴾ . [النساء : ٢٤] فقال : فيه ثلاثة أقوال : أحدها : كان عليهما بالأشياء قبل خلقها ، حكيمًا في تقديره وتديره لها ، وهذا قول الحسن .

والثاني : أن القوم شاهدوا عليهما وحكمة ، ف قيل لهم : إنه كان كذلك لم يزل ، وهذا قول سيبويه .

والثالث : أن الخبر عن الماضي يقوم مقام الخبر عن المستقبل ، وهذا مذهب الكوفيين « اهـ » .

٧ - نقل الماوردي (ق ١ : ٤١ ب) عن عمرو بن العلاء في تفسير قوله تعالى : ﴿ وإن يأتوكم أسارى تفادوهم ﴾ . [البقرة : ٨٥] فقال : « فقرأ حزة (أسرى) ، وفي الفرق بين أسرى ، وأسارى قولان : أحدهما : أن أسرى جمع أسير ، وأسارى جمع أسرى .

والثاني : أن الأسارى الذين في وثاق ، والأسرى الذين في اليد وإن لم يكونوا في وثاق ، وهذا قول أبي عمرو بن العلاء » .

وراجع جميع الأقوال السابقة في اختصار العز فقد نقلها نصاً أو بتصرف .

٨ - نقل الماوردي (ق ٢ : ١٢٥ - أ) عن مؤرج في تفسير قوله تعالى : ﴿ وإنهما لبيمام ميين ﴾ . [الحجر : ٧٩] فقال : « فيه تأويلان أحدهما : لبطريق واضح قاله قتادة ، وقيل للطريق إمام لأن المسافر يأتم به حتى يصل إلى مقصده .

والثاني : لني كتاب مستين قاله السدي ، وإنما سمي الكتاب إماماً لتقدمه سائر الكتب ، وقال مؤرج : هو الكتاب بلغة حمير ، ويعنى بقوله ﴿ وإنهما ﴾ أصحاب الأيكة وقوم لوط « اهـ » .

وقد نقل العز هذا النص بتصرف وترك نسبة قول قتادة والسدي .

٩ - نقل الماوردي (ق ٢ : ٢٣ ب) عن قطرب ، وابن قتيبة في تفسير قوله تعالى : ﴿ وتودون أن ذات الشوكة تكون لكم ﴾ . [الأنفال : ٧] فقال : « وفي الشوكة التي كنى بها عن الحرب وجهان :

أحدهما : أنها الشدة فكنى بها عن الحرب ، لما فيها من الشدة ، قاله قطرب .

والثاني : أنها السلاح من قولهم : رجل شاك في السلاح فكنى بها عن الحرب لما فيها من السلاح قاله ابن قتيبة .

وقد نقل العز القولين باختصار ، ولم ينسبها .

١٠ - نقل الماوردي (ق ٢ : ٦٦ ب) عن علي بن عيسى في تفسير قوله تعالى : ﴿ ويغونها عوجا ﴾ . [هود : ١٩] فقال : « فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : يعنى يرجون بمكة غير الإسلام ديناً قاله أبو مالك .

وثاني : أن ييغوا محمداً هلاكاً قاله السدي .

والثالث : أن يتأولوا القرآن تأويلاً باطلاً قاله علي بن عيسى « اهـ .

وقد نقل العز هذه الأقوال الثلاثة بالنص تقريباً ولم ينسبها كعادته في ترك نسبة كثير من الأقوال .

رابعاً : مصادرہ الفقہیہ :

كان الماوردي شافعي المذهب ، ورئيساً للجماعة الشافعية في عصره ، فيمثلهم ويتكلم باسمهم . وكان متبحراً في المذهب ، فقد ألف فيه « الحاوي » الذي يقع في أكثر من عشرين جزءاً . وقد أثر هذا في تفسيره ، فتجده يعنى بذكر أقوال الإمام الشافعي في المسائل الفقهية ، ويرجحها كما يشير إلى أقوال أئمة المذاهب الأخرى كالإمام أبي حنيفة ، والإمام مالك ، وداود الظاهري ، ولم أجد فيه ذكراً لأقوال الإمام أحمد بن حنبل . ولعله في هذا متأثر بالطبري ، فإنه يشير إلى أقوال أئمة المذاهب عدا الإمام أحمد ، لأنه - في نظره - محدث لا فقيه .

وإليك أمثلة توضح عنايته بذكر أقوال أئمة المذاهب :

١ - نقل الماوردي (ق ١ : ٥٩ - أ) عن أبي حنيفة والشافعي ومالك في تفسير قوله تعالى : ﴿ إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما ﴾ . [البقرة : ١٥٨] فقال :

« ورفع الجناح من أحكام المباحات دون الواجبات ، فذهب أبو حنيفة إلى أن السعي بين الصفا والمروة غير واجب في الحج والعمرة تمسكاً بأمرين : أحدهما : ﴿ فلا جناح عليه أن يطوف بهما ﴾ ورفع الجناح من أحكام المباحات دون الواجبات .

والثاني : ابن عباس وابن مسعود قرأا : ﴿ فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما ﴾ .

وذهب الشافعي ومالك وفقهاء الحرمين إلى وجوب السعي في النسكين تمسكاً بفحوى الخطاب ، ونص السنة ، وليس في قوله : ﴿ فلا جناح عليه ﴾ دليل على إباحته دون وجوبه لخروجه على سبب ، وهو أن الصفا كان عليه في الجاهلية صنم اسمه (إساف) وعلى المروة صنم اسمه (نائلة) ... الخ .

راجع البقية في اختصار العز ، وقارن تجده قد حذف بعض هذا النص اختصاراً ، وذكر بعضه بعبارة موجزة ، ولم ينسب قول الشافعي ومالك وهذا — أيضاً — من الأمثلة على تركه نسبة كثير من الأقوال إلى قائلها .

٢ — نقل الماوردي (ق ١ : ٦٢ — أ) عن داود الظاهري في تفسير قوله تعالى : ﴿ إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير ﴾ [البقرة : ١٧٣] فقال : « ولحم الخنزير فيه قولان :

أحدهما : أن التحريم مقصور على لحمه دون غيره اقتصاراً على النص ، وهذا قول داود بن علي .

والثاني : أن التحريم عام في جملة الخنزير ، والنص على اللحم يثبت على جميعه لأنه معظمه ، وهذا قول الجمهور » اهـ .

خامساً : مصادر أخرى :

وهناك مصادر أخرى استمد منها الماوردي تفسيره . فقد نقل عن محمد ابن السائب الكلبي المتوفى سنة (١٤٦ هـ) وله « تفسير القرآن » و « تفسير الآي الذي نزل في أقوام بأعيانهم » و « ناسخ القرآن ومنسوخه » .

ونقل عن مقاتل بن سليمان المتوفى سنة (١٥٠ هـ) ، وله تفسير كامل

للقرآن ، جمع فيه بين المأثور والمعقول ، ويعتبر أقدم تفسير كامل للقرآن .
وصل إلينا (١) وله « تفسير خمسمائة آية من القرآن الكريم » وكتاب « الأشباه
والنظائر في القرآن الكريم » (٢) .

ونقل عن محمد بن إسحاق بن يسار صاحب السيرة المتوفى سنة (١٥١ هـ)
بعض أسباب النزول وتفسير بعض الآيات .

ونقل عن سهل بن عبد الله التستري المتوفى سنة (٢٨٣ هـ) وله « تفسير
القرآن العظيم » وهو تفسير صوفي مختصر مطبوع .

وقد نقل عن هؤلاء ولم يشر إلى كتبهم ، وإليك أمثلة توضح طريقة
استفادته من هذه المصادر :

١ - نقل الماوردي (ق ١ : ١٥٣ - أ) عن الكلبي ومقاتل في تفسير
قوله تعالى : ﴿ وقالت اليهود يد الله مغلولة ﴾ . [المائدة : ٦٤] فقال :
« قال الكلبي ومقاتل : القائل لذلك فنحاص وأصحابه من يهود بني قينقاع .
﴿ غلت أيدهم ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أنه قال : ذلك إلزاماً لهم البخل على مطابقة الكلام . قاله
الزجاج (٣) .

والثاني : أن معناه : « غلت أيدهم في جهنم على وجه الحقيقة قاله الحسن
﴿ ولعنوا بما قالوا ﴾ قال الكلبي : يعني تعذيبهم بالجزية . ويحتمل أن يكون
لعنهم هو طردهم حين أجلوا من ديارهم » هـ .

وقد ذكر العز هذه الأقوال بتصرف ولم ينسب منها إلا قول الكلبي .

٢ - نقل الماوردي (ق ٢ : ١٥٩ ب) عن مقاتل في تفسير قوله
تعالى : ﴿ فوجدنا عبداً من عبادنا آتيناها رحمة من عندنا ﴾ . [الكهف : ٦٥] .
فقال : « فيه أربعة تأويلات :

(١) طبع منه الجزء الأول بتحقيق د. عبد الله شحاته ، وبأقايه مطبوع بالاستنسل بتحقيقه -
أيضاً - موجود في مكتبة جامعة القاهرة .

(٢) مطبوع بتحقيق د. عبد الله شحاته .

(٣) في (ق) « وقال الزجاج » وهذا خطأ من الناسخ والصواب ما أثبتته .

أحدها : النبوة ، وهو قول مقاتل .

والثاني : النعمة .

والثالث : الطاعة .

والرابع : طول الحياة « اه .

وقد نقل العز هذه الأقوال ، ولم ينسب قول مقاتل .

٣ — نقل الماوردي (ق ١ : ١٠٢ ب) عن ابن إسحاق في تفسير قوله

تعالى : ﴿ وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم ﴾ .

[آل عمران : ١٤٦] فقال : « ومعناه فلم يهنوا بالخوف ولا ضعفوا بتقصان

القوة ولا استكانوا بالخضوع . وقال ابن إسحاق : فما وهنوا بقتل نبيهم

ولا ضعفوا عن عدوهم ، ولا استكانوا لما أصابهم « اه .

وقد نقل العز هذا النص بتصريف .

اتهم الماوردي بالاعتزال وموقف العزم منه

وحيث إن الماوردي نقل في تفسيره بعض أقوال المعتزلة كمحمد بن المستنير المعروف بقطرب ، وعلى بن عيسى الرماني ، وغيرهما ، وقد سبق التمثيل على ذلك في مصادره اللغوية كما نقل عن الأصم (١) لذا اتهمه ابن الصلاح (ت ٦٤٣ هـ) بالاعتزال فقال : « هذا الماوردي - عفا الله عنه - يتهم بالاعتزال وقد كنت لا أتحمق ذلك عليه وأتأول له وأعتذر عنه في كونه يورد في تفسيره في الآيات التي يختلف فيها أهل التفسير تفسير أهل السنة وتفسير المعتزلة غير تعرض لبيان ما هو الحق منها ، وأقول : لعل قصده إيراد كل ما قيل من حق أو باطل ، ولهذا يورد من أقوال المشبهة أشياء مثل هذا الإيراد ، حتى وجدته يختار في بعض المواضع قول المعتزلة وما بنوه على أصولهم الفاسدة ومن ذلك مصيره في الأعراف إلى أن الله لا يشاء عبادة الأوثان وقال في قوله تعالى : ﴿ وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس والجن ﴾ . [الأنعام : ١١٢] وجهان في ﴿ جعلنا ﴾ .

أحدهما : معناها حكمنا بأنهم أعداء .

والثاني : تركناهم على العداوة فلم نمنعهم منها .

وتفسيره عظيم الضرر لكونه مشحوناً بتأويلات أهل الباطل تليسياً وتدسيساً على وجه لا يفتن له غير أهل العلم والتحقيق مع أنه تأليف رجل لا يتظاهر بالانتساب إلى المعتزلة بل يجتهد في كتمان موافقتهم فيما هو لهم فيه موافق ، ثم هو ليس معتزلياً مطلقاً فإنه لا يوافقهم في جميع أصولهم ، مثل خلق القرآن كما دل عليه تفسيره في قوله عز وجل : ﴿ ما يأتيهم من ذكر من

(١) راجع : تفسير العز للاية : ٤ من سورة الفاتحة ، والآية : ٢ من سورة البقرة والتعليق على ذلك .

ربهم محدث ﴿ . [الأنبياء : ٢] وغير ذلك ، ويوافقهم في القدر ، وهي البلية التي غلبت على البصريين وعبثوا بها قديماً » (١) انتهى .

فابن الصلاح قد اتهمه بذلك ، ومن جاء بعده نقل قوله منسوباً إليه لعدم تحقق اتهامه ، قال الداودي (ت ٩٤٥ هـ) : « وذكره ابن الصلاح في (طبقاته) ، واتهمه بالاعتزال في بعض المسائل بحسب ما فهمه عنه في تفسيره في موافقة المعتزلة فيها ، ولا يوافقهم في جميع أصولهم ، ومما خالفهم فيه أن اللجنة مخلوقة . نعم يوافقهم في القول بالقدر ، وهي بلية غلبت على البصريين . قال ابن السبكي : والصحيح أنه ليس معتزلياً ، ولكنه يقول بالقدر فقط (٢) » اهـ .

فقول ابن الصلاح بعضه مُسلم ، والبعض الآخر غير مُسلم . فقلوه : « وأنا أتأول له واعتذر عنه في كونه يورد في تفسيره في الآيات التي يختلف فيها أهل التفسير ، تفسير أهل السنة وتفسير المعتزلة غير متعرض لبيان ما هو الحق منها ، وأقول : لعل قصده إيراد كل ما قيل من حق وباطل ثم هو ليس معتزلياً مطلقاً ، فإنه لا يوافقهم في جميع أصولهم ويوافقهم في القدر الخ . فقلوه هذا مُسلم ، ولا حظته في تفسير الماوردي ، ولعل موافقته لم في القدر أمر أدى إليه اجتهاده .

وكان موقف العز منه سلبياً ، فهو يختصر ذلك كما هو ولا يرد عليه . فلعله ترك ذلك مبالغة في المحافظة على بيان ما قصده الماوردي دون زيادة . ولكن هذا لا يعفيه من المسؤولية لأن بإمكانه أن يجمع بين بيان قصد الماوردي ومناقشته في مسألة القدر ، لذا لم تبرز شخصية العز في هذا المختصر كفسر يستعرض الأقوال ويرجح ويوجه ويرد على القول المخالف .

أما قول ابن الصلاح : « وتفسيره عظيم الضرر ، لكونه مشحوناً بتأويلات أهل الباطل تليسياً وتدسيساً .. » فقلوه هذا غير مسلم ، وفيه تحامل شديد على الماوردي وعدم إنصاف . فتفسيره مشحون بتأويلات السلف

(١) راجع : طبقات الشافعية لابن السبكي (٥ : ٢٧٠) .

(٢) انظر : طبقات المفسرين للداودي (١ : ٤٢٤) .

من الصحابة والتابعين ، وقد اعتمد في نقل ذلك غالباً على تفسير الطبري ، كما سبق تقريره في مبحث المصادر .

وهو ينقل بجانب ذلك تأويلات الخلف ، ومن ضمنها تأويلات المعتزلة لبيان ما قيل في الآية من حق وباطل ، وغالباً ما يقدم أقوال السلف في الذكر ، وهو حريص جداً على نسبة الأقوال إلى أصحابها إلا في حالات قليلة . فهو يذكر أقوال المعتزلة منسوبة غالباً إلى أصحابها كأبي على الجبائي والأصم وعلى بن عيسى الرمانى وأبي مسلم محمد بن بحر الأصفهاني وغيرهم كما سبق في مبحث المصادر . وما دام ينسب الأقوال إلى أصحابها فلا لوم عليه إذا حكى أقوال المعتزلة ، وليس من الإنصاف أن نجعل ذلك « تليساً وتدسيساً » .

وقد نحا الدكتور عدنان زرزور منحى بعيداً ، فلم يرض من ابن الصلاح مجرد الاتهام ، بل عده تفسير الماوردي من تفاسير المعتزلة ، وأنه وضع على أصولهم ومنهجهم في التفسير . ونقل نصاً منه دليلاً على ما ذهب إليه . فقال : « والناظر في هذا التفسير قد لا يقف فيه سريعاً على أثر واضح لمذهب المصنف الذي كان لا يجاهر بالاعتزال فيما يبدو ، ولكنه كان ينتصر فيه لمذهب المعتزلة على التحقيق مرة بالإشارة العابرة وأخرى بوضع القارئ أمام وجوه كثيرة في تفسير الآية الواحدة يوردها موجزة ملخصة وليس من بينها ما يناقض مذهب المعتزلة بحال قال في قوله تعالى : ﴿ هدى للمتقين ﴾ . [البقرة : ٢] : (وفي المتقين ثلاثة تأويلات :

أحدها : الذين اتقوا ما حرم الله عليهم وأدوا ما افترض عليهم وهذا قول الحسن البصري .

والثاني : أنهم الذين يخشون من الله العقوبة ويرجون رحمته وهذا قول ابن عباس .

والثالث : أنهم الذين اتقوا الشرك وبرئوا من النفاق ، وهذا فاسد لأنه قد يكون كذلك وهو فاسق وإنما خص به المتقين وإن كان هدى لجميع الناس لأنهم آمنوا به وصدقوا بما فيه)

وقال في قوله تعالى : ﴿ ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم

غشاوة ﴿ . [البقرة : ٧] : (والختم : الطبع ، ومنه ختم الكتاب ، وفيه أربع تأويلات :

أحدها : وهو قول مجاهد أن القلب مثل الكف فإذا أذنب العبد ينضم جميعه ثم يطبع عليه بطابع .

والثاني : أنها سمة تكون علامة فيهم تعرفهم الملائكة بها من بين المؤمنين .

والثالث : أنه إخبار من الله تعالى عن كفرهم وإعراضهم عن سماع ما دعوا إليه من الحق تشبيهاً بما قد سد وختم عليه فلا يدخله خير .

والرابع : أنها شهادة من الله على قلوبهم بأنها لا تعي الذكر ولا تقبل الحق ، وعلى أسماعهم بأنها لا تصغي إليه . والغشاوة : تعاميمهم عن الحق وسمى القلب قلباً لتقلبه بالخواطر قال الشاعر :

ما سُمي القلب إلا من تقلبه والرأى يصرف والإنسان أطوار
والغشاوة الغطاء الشامل) .

وأياً ما كان الأمر فإن الماوردي وضع تفسيره على أصول المعتزلة ومنهجهم في التفسير ، سواء أخالقهم في بعض المسائل أم لا ، وسواء أجاهر فيه بالاعتزال أم لا ، وإن كنا لا ندرى ما هو « حد » الجهر عند ابن الصلاح (١) « اهـ .

وهذا الحكم يعوزه التحقيق ، فلو أن الباحث تصفح هذا التفسير ، وقرأ فيه لتبين له أنه تسرع في الحكم عليه ، ورجع عن قوله : « فإن الماوردي وضع تفسيره على أصول المعتزلة ومنهجهم في التفسير » لأن قوله هذا يعني أن الماوردي يقول بجميع أصول المعتزلة . وهذا قول لا دليل عليه ، ومخالف لما في تفسير الماوردي ، ولو صح ما قال لم يقل ابن الصلاح : « هو ليس معتزلياً مطلقاً فإنه لا يوافقهم في جميع أصولهم مثل خلق القرآن ، كما دل عليه تفسيره في قوله عز وجل : ﴿ وما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث ﴾ . [الأنبياء : ٢] وغير ذلك ، ويوافقهم في القدر » .

فكان الأولى بالباحث أن يكون منصفاً في حكمه ، متحققاً من قوله بقراءة قسم من هذا التفسير يكفي للحكم عليه . أما إصدار الحكم بناء على

(١) راجع : كتابه « الحاكم الجشمي ومنهجه في تفسير القرآن » ص ١٤٣ - ١٤٦ .

قراءة المقدمة وتفسير آيتين من سورة البقرة لا يكفي وليس في هاتين الآيتين ما يدل على حكمه وإليك بيان ذلك :

فقوله : ولكن الماوردي « كان ينتصر فيه لمذهب المعتزلة على التحقيق مرة بالإشارة العابرة » واستدل على ذلك بتعقيب الماوردي على القول الثالث في تفسير قوله تعالى : ﴿ هدى للمتقين ﴾ حيث قال : « والثالث : أنهم الذين اتقوا الشرك وبرئوا من النفاق ، وهذا فاسد لأنه قد يكون كذلك وهو فاسق » .
فهذا التعقيب لا يدل على قول الباحث لأنه ليس انتصاراً لمذهب المعتزلة وإنما هو بيان أن هذا التأويل يتعارض مع قوله تعالى : ﴿ هدى للمتقين ﴾ لدخول الفاسق في هذا التأويل وهو في تعقيبه هذا متابع للطبري . وإليك عبارة الطبري حتى يتضح ذلك .

قال الطبري : « فقد تبين إذاً بذلك فساد قول من زعم أن تأويل ذلك إنما هو : الذين اتقوا الشرك وبرئوا من النفاق ، لأنه قد يكون كذلك وهو فاسق غير مستحق أن يكون من المتقين » (١) الخ .

وقول الباحث : إن الماوردي كان في تفسيره ينتصر لمذهب المعتزلة :
« بوضع القارئ أمام وجوه كثيرة في تفسير الآية الواحدة ، يوردها موجزة ملخصة ، وليس من بينها ما يناقض مذهب المعتزلة بحال » واستدل على ذلك بالوجوه التي ذكرها الماوردي في تفسير قوله تعالى ﴿ ختم الله على قلوبهم ﴾ [البقرة : ٧] .

وهذا الدليل لا يدل على قوله - أيضاً - ، لأن الماوردي قد ذكر وجوهاً في تفسير الآية ، ومن بينها ما يناقض مذهب المعتزلة وقد بدأ به أولاً ، وهو قول مجاهد الذي فسر الآية بحسب ظاهرها الموافق للغة .

وقد روى الطبري قول مجاهد من طرق ، ورجحه ، ورد على من تأول الآية بخلافه (٢) .

(١) راجع : تفسيره (١ : ٢٣٤) معارف .

(٢) راجع : تفسيره (١ : ٢٥٨ - ٢٦١) معارف .

وقد أخذ أهل السنة بتفسير مجاهد ، فتوسع في تقرير ذلك أبو الحسن الأشعري (١) ، والقرطبي (٢) ، وابن كثير (٣) ، وابن المنير الإسكندري (٤) ، وردوا على تأويلات المعتزلة التي صرفوا فيها الآية عن ظاهرها فقال ابن كثير : « وقد أظنبت الزمخشري في تقرير ما رده ابن جرير ههنا ، وتأول الآية من خمسة أوجه وكلها ضعيفة جداً ، وما جرأه على ذلك إلا اعتزاله لأن الختم على قلوبهم ومنعها من وصول الحق إليها قبيح عنده يتعالى الله عنه في اعتقاده ، ولو فهم قوله تعالى : ﴿ فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم ﴾ . [الصف : ٥] وقوله : ﴿ ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون ﴾ . [الأنعام : ١١٠] وما أشبه ذلك من الآيات الدالة على أنه تعالى إنما ختم على قلوبهم وحال بينهم وبين الهدى جزاء وفاقا على تماديهم في الباطل وتركهم الحق ، وهذا عدل منه - تعالى - حسن ، وليس بقبيح ، فلو أحاط علماً بهذا لما قال ما قال ، والله أعلم » اهـ .

أمثلة على موقف العز من أقوال المعتزلة في تفسير الماوردي :

١ - قوله تعالى : ﴿ ختم الله على قلوبهم ﴾ [البقرة : ٧] .

ذكر الماوردي في تفسير هذه الآية خمسة أقوال - كما سبق بيانه - وقد ذكرها العز في مختصره بتصرف قليل في العبارة وقدم القول الثاني على الأول الذي قاله مجاهد ، مما يشعر بأنه يميل إليه . ووقف موقفاً سليماً من تأويلات المعتزلة التي ذكرها الماوردي في تفسير هذه الآية ، ولم يناقشها فيرجع الراجح ويدلل عليه ويرد ما خالفه ، وكان الأولى به أن يفعل ذلك .

٢ - قوله تعالى : ﴿ وإذا قال ربك للملائكة ﴾ [البقرة : ٣٠] .

قال الماوردي (ق : ١ : ٢٣ ب) في تفسيرها : « والملائكة أفضل الحيوان وأعقل الخلق إلا أنهم لا يأكلون ولا يشربون ولا ينكحون ولا يتناسلون

(١) راجع : كتابه « الإبانة عن أصول الديانة » ص ٥٧ ، ٥٨ .

(٢) راجع : تفسيره (١ : ١٨٦ ، ١٨٧) .

(٣) راجع : تفسيره (١ : ٤٥ ، ٤٦) .

(٤) راجع : كتابه « الانتصاف » حاشية على تفسير الزمخشري (١ : ٤٩ ، ٥٠) .

وهم رسل الله لا يعصونه في صغير ولا كبير ، ولهم أجسام لطيفة ، لا يرون إلا إذا قوى الله أبصارنا على رؤيتهم » .

فالماوردي قد اقتصر على قول المعتزلة في تفضيل الملائكة على البشر ، وهذا دليل على أنه يرجحه ، لأنه لم يذكر قول أهل السنة الذين يرون أن الأنبياء وصالحى البشر أفضل من الملائكة .

والعز قد ذكر في مختصره ما ذكره الماوردي ، ولم يناقشه في ذلك بينما هو يرى خلاف ذلك كما في كتابه « قواعد الأحكام » (٢ : ٢٣٢) ، فالملائكة عنده أفضل من البشر من جهة تفاوت الأجساد ، أما من جهة الأرواح فأرواح الأنبياء أفضل من أرواح الملائكة ، واستدل على ذلك بخمسة وجوه :

أحدها : الإرسال ورسول الملائكة قليل .

الثاني : القيام بالجهاد في سبيل الله .

الثالث : الصبر على مصائب الدنيا ومحنها والله يحب الصابرين .

الرابع : الرضا بمر القضاء وحلوه .

الخامس : نفع العباد بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجلب المنافع ودفع المكاره ، وليس للملائكة شيء مثل هذا الخ (١) .

ومن هذا المثل نستنتج أن العز إذا أورد قول الماوردي وسكت عنه فلم يناقشه لا يدل ذلك على موافقته له . ولعله يفعل ذلك مبالغة في بيان ما قصده الماوردي بدون زيادة . وهذا لا يعفيه من المسئولية لأن بإمكانه الجمع بين قصد الماوردي ومناقشته والرد عليه .

٣ - قوله تعالى : ﴿ وكذلك جعلنا لكل نبي عدوًّا ﴾ [الأنعام : ١١٢] .

قال الماوردي (ق ١ : ١٨١ ب) : « وفي قوله جعلنا وجهان :

أحدهما : معناه حكمنا بأنهم أعداء .

(١) إذا أردت مزيداً من التفصيل فراجع : تفسير الفخر الرازي (٢ : ٢١٥ - ٢٣٥) فقد بسط القول في ذلك ، ونخص النيسابوري في تفسيره (١ : ٢٦٢ - ٢٧١) ما قاله الفخر الرازي .

والثاني : تركناهم على العداوة فلم تمنعهم منها « اه .
 فالماوردي تأول ﴿ جعلنا ﴾ بمعنى الحكم والبيان بأنهم أعداء ، أو التخلية
 بينهم وبين أعدائهم فلم يمنعهم منها .
 وهذان التأويلان من تأويلات المعتزلة لأنهم لو أخذوا بظاهر الآية للزم
 عليه أن الله يخلق العداوة والحب ، والشر والخير ، والكفر والإيمان . وهذا
 مخالف لمذهبهم القائل : « بأن الإنسان يخلق أفعاله من خير وشر » .
 وتأويل الماوردي الآية بذلك يدل على أنه يقول بمذهب المعتزلة في القدر .
 وقد ذكر العز في مختصره عبارة الماوردي — كما هي تقريباً — بدون
 مناقشة كعادته .
 من هذه الأمثلة يتبين موقف العز من أقوال المعتزلة التي أوردها الماوردي
 في تفسيره .
 فالعز يذكرها ولا يناقشها ولا يردها : بل إنه كثيراً ما يترك نسبة الأقوال
 التي نسبها الماوردي إلى أصحابها من المعتزلة . وكان الأولى به أن ينسب الأقوال
 تثبيتاً لها ودفعاً للبس .

تأثر المفسرين بتفسير الماوردي

امتاز تفسير الماوردي بأمر من :
١ - جمعه لأقوال السلف والخلف التي قبلت في تفسير الآية .

٢ - تحليلاته اللغوية الدقيقة في بيان مفردات الآية .

٣ - منهجه الدقيق في حصر الأقوال في عدد ثم ذكرها الأول فالثاني . الخ
فقد كانت هذه الأمور وغيرها سبباً في إقبال المفسرين عليه ، وتأثرهم
بمنهجه ونقلهم عنه ، واستشهادهم بأقواله وترجيحاته . فتأثر به ابن الجوزي
والفخر الرازي والقرطبي في تفسيرهم ، وغيرهم .
وسأتكلم عن مفسرين تأثروا به كثيراً هما :

١ - ابن الجوزي :

هو أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي القرشي
البغدادى المتوفى سنة (٥٩٧ هـ) ، وله مصنفات كثيرة في علوم متنوعة ،
منها تفسيره : (زاد المسير في علم التفسير) ، وقد تأثر فيه بمنهج الماوردي
في تفسيره ، في طريقة عرضه للأقوال التي قبلت في تفسير الآية ، حيث إنه
يحصرها في عدد ، ثم يفصلها الأول فالثاني فالثالث ... الخ ، وينسب كل
قول إلى قائله غالباً ، ويحاول أن يستقصى الوجوه التي قبلت في الآية ،
ويعنى بالتفسيرات اللغوية ، كما أنه نقل عنه كثيراً من الأقوال ، وإليك
أمثلة توضح مدى تأثره به :

(أ) مثال تأثره بالماوردي في منهجه قوله تعالى : ﴿ إن إبراهيم لأواه
حليم ﴾ [التوبة : ١١٤] ، قال ابن الجوزي (٣ : ٥٠٩) : « وفي الأواه
ثمانية أقوال :

أحدها : أنه الخاشع الدعاء المتضرع ، رواه عبد الله بن شداد بن الهاد عن النبي صلى الله عليه وسلم .

والثاني : أنه الدعاء ، رواه زر عن عبد الله ، وبه قال عبيد بن عمير .

والثالث : الرحيم ، رواه أبو العبيد بن العامري عن ابن مسعود وبه قال الحسن ، وقتادة ، وأبو ميسرة .

والرابع : أنه الموقن ، رواه أبو ظبيان عن ابن عباس ، وبه قال مجاهد وعطاء وعكرمة والضحاك .

والخامس : أنه المؤمن ، رواه العوفي ، ومجاهد ، وابن أبي طلحة عن ابن عباس الخ .

فيلاحظ في هذا المثال أن ابن الجوزي قد حصر الأقوال التي قيلت في تفسير ﴿لأواه﴾ في عدد ، وهو ثمانية أقوال ، ثم فصلها الأول والثاني . الخ وقد جرى على هذا المنهج في عرضه لأقوال المفسرين في تفسيره كله متأثراً بالماوردي الذي نهج هذا المنهج في عرض أقوال المفسرين ، وإليك نص الماوردي في تفسير قوله تعالى ﴿لأواه﴾ حتى يتضح لك ذلك :

قال الماوردي (ق ٢ : ٥٤ - أ) : « فيه عشرة تأويلات :

أحدها : أن الأواه الدعاء الذي يكثر الدعاء قاله ابن مسعود .

والثاني : أنه الرحيم قاله الحسن .

والثالث : أنه الموقن قاله عكرمة .

والرابع : أنه المؤمن بلغة الحبشة قاله ابن عباس .

والخامس : أنه المسيح قاله سعيد بن المسيب ... الخ . راجع بقية

الأقوال في اختصار العز .

(ب) مثال نقل ابن الجوزي من تفسير الماوردي قوله تعالى : ﴿ وقلبوا

لك الأمور ﴾ . [التوبة : ٤٩] . قال ابن الجوزي (٣ : ٤٤٨) في تفسيرها : « خمسة أقوال :

أحدها : بغوا لك الغوائل قاله ابن عباس ، وقيل إن اثني عشر رجلاً من المنافقين وقفوا على طريقه ليلاً ليفتكوا به فسلمه الله منهم .

والثاني : احتالوا في تشتت أملك وإبطال دينك قاله أبو سليمان
الدمشقي ، قال ابن جرير : وذلك كانصراف ابن أبي يوم أحد بأصحابه .
والثالث : أنه ميلهم إليك في الظاهر ، وممالأة المشركين في الباطن .
والخامس : أنه حلفهم بالله ﴿ لو استطعنا لخرجنا معكم ﴾ ذكر هذه الأقوال
الثلاثة المأوردى « ١٨٥ » .

مثال آخر على نقله من المأوردى قوله تعالى : ﴿ والسابقون الأولون ﴾
[التوبة : ١٠٠] . قال ابن الجوزي (٣ : ٤٩٠) في تفسيرها ستة أقوال
فذكرها إلى أن قال : « والخامس : أنهم السابقون بالموت والشهادة سبقوا
إلى ثواب الله تعالى ، ذكره المأوردى « ١٨٥ » .

وراجع — أيضاً — تفسير ابن الجوزي (٤ : ٧) لقوله تعالى : ﴿ ما من
شفيع إلا من بعد إذنه ﴾ . [يونس : ٣] ، وتفسيره (٤ : ٢٥٣) لقوله
تعالى : ﴿ ذلك كيل يسير ﴾ . [يوسف : ٦٥] .

وتفسيره (٤ : ٣٣٥) لقوله تعالى : ﴿ ومن الأحزاب من ينكر بعضه ﴾
[الرعد : ٣٦] .

وتفسيره (٥ : ١٢٧) لقوله تعالى : ﴿ فلا تمار فيهم إلا مرء ظاهراً ﴾ .
[الكهف : ٢٢] .

وتفسيره (٥ : ١٢٨) لقوله تعالى : ﴿ واذكر ربك إذا نسيت ﴾ .
[الكهف : ٢٤] .

وهناك أمثلة كثيرة تركتها خشية الإطالة ، وكلها تدل على أن ابن الجوزي ،
استفاد من تفسير المأوردى كثيراً وتأثر بمنهجه .

٢ - القرطبي :

هو أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي المتوفى سنة (٦٧١ هـ)
ومن مصنفاته تفسيره المسمى : (الجامع لأحكام القرآن) .

وقد تأثر في تفسيره بتفسير المأوردى بكثرة ما نقله عنه من أقوال السلف
والخلف ، وبعض التفسيرات اللغوية مع الإشارة إليه ، وأحياناً ينقل عنه
بدون إشارة إليه . وقد استشهد بأقواله وترجيحاته كما شرح بعض أقواله .

وقد اعتمدت عليه في مقابلة اختصار العز لكثرة نقوله عن تفسير الماوردي .

والإليك أمثلة توضح مدى تأثيره به .

١ - قوله تعالى : ﴿ واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها ﴾ . [الأعراف : ١٧٥] قال القرطبي (٧ : ٣٢٠) في تفسيرها : « قال عكرمة : كان نبياً وأوتي كتاباً . وقال مجاهد : إنه أوتي النبوة فرشاه قومه على أن يسكت ففعل وتركهم على ما هم عليه . قال الماوردي : وهذا غير صحيح ، لأن الله تعالى لا يصطفى لنبوته إلا من علم أنه لا يخرج عن طاعته إلى معصيته » .

٢ - قوله تعالى : ﴿ بشس الرفد المرفود ﴾ . [هود : ٩٩] . قال القرطبي (٩ : ٩٤) « ... وذكر الماوردي : أن الرفد بفتح الراء القدح ، والرفد بكسرهما ما في القدح من الشراب ، حكى ذلك عن الأصمعي »
٣ - قوله تعالى : ﴿ قال اجعلني على خزان الأرض ﴾ . [يوسف : ٥٥] قال القرطبي (٩ : ٢١٥) : في بيان ما دلت عليه الآية : « قال الماوردي : فإن كان المولى ظالماً فقد اختلف الناس في جواز الولاية من قبله على قولين :

أحدهما : جوازها إذا عمل بالحق فيما تقلده ، لأن يوسف ولى من قبل فرعون . ولأن الاعتبار في حقه بفعله لا بفعل غيره .
الثاني : أنه لا يجوز ذلك ، لما فيه من تولى الظالمين بالمعونة لهم وتركيتهم بتقلد أعمالهم ... » الخ .

وهكذا نقل القرطبي بعد ذلك عشرة أسطر نصاً . والعز قد نقل نص الماوردي هذا لكن بتصرف .

٤ - قوله تعالى : ﴿ إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين ﴾ . [الحجر : ١٨] .

فقد نقل القرطبي (١٠ : ١١) في تفسير هذه الآية أربعة أسطر عن الماوردي ونسبها إليه .

هذا وهناك أمثلة أخرى كما أن هناك أمثلة على نقله عنه بدون أن ينسب إليه . وقد تركت التمثيل على ذلك خشية الإطالة .

الفصل الثاني

منهج العز في تفسيره المختصر

أقام العز منهجه في التفسير على بحث الموضوعات الآتية :

- ١ - القراءة .
 - ٢ - تفسير القرآن بالقرآن أو بالسنة .
 - ٣ - أسباب النزول .
 - ٤ - اللغة والنحو .
 - ٥ - الأحكام الفقهية .
 - ٦ - الإسرائيليات .
 - ٧ - الترجيح والتوجيه .
- وسأفرد كل موضوع بمبحث أبين فيه منهج العز في عرضه وبيانه .

القراءة

من المعروف أن قراءة لفظ القرآن بطريقة معينة من ترتيب الحروف وتشكيلها له أثر في توجيه المعنى وجهات أخرى إذا ما اختلف ترتيب تلك الحروف وضبطها بالشكل في اللفظة عينها .

لذا اهتم المفسرون بذكر القراءات التي تقرأ بها بعض ألفاظ الآية لأثرها في توجيه معنى الآية . ولهذا كان ذكر القراءة جزءاً من منهج العز في تفسيره إلا أن عنايته بها قليلة . فمنهج في عرض القراءات يتلخص فيما يلي :

- ١ - أنه يذكر القراءة ومن قرأ بها ومعناها .
- ٢ - أنه يذكر القراءة ومعناها دون من قرأ بها .
- ٣ - أنه يذكر رسم القراءة ومعناها دون الإشارة إلى أنها قراءة .
- ٤ - أنه يذكر معنى القراءة بدون أن يشير إليها .
- ٥ - أنه يوجه بعض القراءات المخالفة للغة المشهورة .
- ٦ - أنه قد يرد بعض المطاعن الموجهة لبعض القراءات .
- ٧ - أنه قد يذكر بعض المطاعن الموجهة لبعض القراءات بدون رد أو تعقيب .

والماوردي أكثر عناية بالقراءة من العز ، فهو يذكر القراءة ومن قرأ بها ويوجه معناها غالباً .

وقد قمت في تحقيق تفسير العز بالتعليق على بعض القراءات التي ترك نسبتها فنسبتها إلى من قرأ بها معتمداً في ذلك على تفسير الماوردي ، وكتب القراءات كالكشف عن وجوه القراءات لمكي بن أبي طالب ، والتيسير في القراءات السبع لأبي عمرو الداني والمختصر في شواذ القراءات لابن خالويه ، كما رجعت إلى التفاسير التي تعنى بالقراءات كتفسير الطبري والطوسي والطبرسي وابن الجوزي ، ومعاني القرآن للزجاج .

ولإليك أمثلة توضح منهجه في عرض القراءات :

١ - أمثلة على ذكره للقراءة ولمن قرأ بها ومعناها :

من أمثلة ذلك قوله تعالى : ﴿ فَاِسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ ﴾ . [النساء : ٢٤] .
قال العز : « ﴿ فَاِسْتَمْتَعْتُمْ ﴾ قلت تكون (ما) ها هنا بمعنى من ،
فما نكحتم منهن فجامعتموهن ، أو المتعة المؤجلة ، كان أبي وابن عباس
يقرآن : فَاِسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى » .
ومن أمثلة ذلك قوله تعالى : ﴿ فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا ﴾ . [النساء : ٤٣] .
قال العز : « ﴿ فَتَيَمَّمُوا ﴾ تعمدوا وتحروا . أو اقصدوا . وقرأ ابن مسعود
رضي الله عنه . فَأَتُوا صَعِيدًا » .

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَنْذِرُ مُوسَى
وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذِرَكَ وَآلِهَتَكَ ﴾ . [الأعراف : ١٢٧] .
قال العز : « ﴿ وَآلِهَتَكَ ﴾ كان يعبد الأصنام وقومه يعبدونه » ثم ذكر
أقوالاً أخرى ، ثم قال : « قرأ ابن عباس - رضي الله تعالى عنه - (وَآلِهَتَكَ)
أى وعبادتك ، وقال : كان فرعون يُعْبَد ولا يَعْبُد » .
ويلاحظ أن تصريح العز بنسبة القراءة إلى قارئها واضح في القراءات
الشاذة المخالفة لرسم المصحف ، ولعله بذلك يشير إلى ضعفها .

٢ - أمثلة على ذكره للقراءة ومعناها دون نسبتها :

من أمثلة ذلك قوله تعالى : ﴿ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ ﴾ . [الأنعام :
٩٩] .

قال العز : « ﴿ ثَمَرِهِ ﴾ الثمر جمع ثمار والثمر جمع ثمرة . أو الثمر المال ،
والثمر ثمر النخل ، قرئ بهما » .

فذكر القراءتين وبين معنهما ولم ينسبهما إلى من قرأ بهما . فحمزة
والكسائي قرأ بضم الثاء والميم ، وقرأ الباقون بفتحهما .

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ نَصْرَفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا
دَرَسَتْ ﴾ . [الأنعام : ١٠٥] .

قال العز : « (دَرَسَتْ) قرأت وتعلمت قالته قریش و (دارست)

ذاكرت وقارات ، و (درست) انمحت وتقادت ، و (دُرست)
تليت وقرئت ، و (تَرَس) محمد صلى الله عليه وسلم وتلا : فهذه خمس
قراءات .

فالعز بين هذه القراءات الخمس ومعناها ، ولكنه لم ينسبها إلى من قرأ
بها ، فالقراءات الثلاث الأولى سبعة (١) .

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا الزُّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ۚ ﴾ . [الرعد : ١٧]
قال العز : « (جفاء) منتشفاً ، أو جافياً على الأرض ، أو ممحوقاً .
ومن قرأ (جُفلاً) أخذه من قولهم : انجفلت القدرُ إذا قذفت بزبدِها .
فذكر في هذه اللفظة قراءتين وبين معنهما ولكنه لم ينسبهما إلى من قرأ بهما .
والقراءة الثانية قرأ بها رُوبة بن العجاج ، وهى شاذة .

٣ - أمثله على ذكره لرسم القراءة ومعناها دون الإشارة إليها :

من هذه الأمثلة قوله تعالى : ﴿ مَالِكِ يَوْمَ الدِّينِ ﴾ [الفاتحة ٣] .
قال العز : « (مَلِك) ، (مَالِك) » فاكثى بالرسم ولم يبين أنهما قراءتان ،
وقد أطلال في تأويلهما . بينا الماوردى بَيَّن أن (مَالِك) قراءة عاصم والكسائي .
و (مَلِك) قراءة الباقيين .

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى : ﴿ يَمْدُدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ
مُسَوِّمِينَ ﴾ . [آل عمران : ١٢٥] .

قال العز : « (مُسَوِّمِينَ) بالفتح أرسلوا خيلهم في المعركة وبالكسر
سوموها بعلام ... الخ .

فذكر لفظ القراءة ومعناها ، ولم يبين أنها قراءة فكسّر الواو قراءة
ابن كثير وأبى عمرو وعاصم ، وفتحها قراءة الباقيين .

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا أَحْصَيْنَ ﴾ . [النساء : ٢٥] .
قال العز : « (أَحْصَيْنَ) أسلمن ، و (أَحْصَيْنَ) تزوجن » فذكر لفظ
القراءتين ومعناها ، ولم يبين أنهما قراءتان ففتح الألف والصاد قراءة حمزة
والكسائي وأبى بكر عن عاصم . وقرأ الباقيون بضم الألف وكسر الصاد .

(١) راجع : التيسير لأبى عمرو الداني ص ١٠٥ .

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى : ﴿ فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا إيمان لهم ﴾ .
[التوبة : ١٢] .

قال العز : ﴿ لا إيمان لهم ﴾ بارة و (لا إيمان) من الأمان ، أو التصديق
فذكر رسم القراءتين ومعناها ، ولم يشر إلى أنهما قراءتان . فكسرُ الهزمة
قراءة ابن عامر ، وبفتحها قرأ الباكون .

هذا وهناك أمثلة كثيرة جمعها ، وتركت تسجيلها هنا خشية الإطالة ،
وكلها تدل على أن هذه هي طريقته الغالبة في عرض القراءات .

٤ - أمثلة على ذكره لمعنى القراءة دون الإشارة إليها :

من أمثلة ذلك قوله تعالى : ﴿ فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن
ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى ﴾ . [البقرة :
٢٨٢] .

قال العز : ﴿ (فتذكر) من الذكر ، أو يجعلها كذكر من الرجال » .
فالتأويل الأول على قراءة (فتذكر) بضم التاء وفتح الذال وتشديد الكاف ،
والتأويل الثاني على قراءة (فتذكر) بتسكين الذال وتخفيف الكاف وهي
قراءة شاذة ، وكان الأولى به أن يذكر هذه القراءة حتى يتضح هذا التأويل ،
وقد أوضحت ذلك في تحقيق تفسيره .

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى : ﴿ قال يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل
غير صالح ﴾ . [هود : ٤٦] .

قال العز : ﴿ إنه عمل غير صالح ﴾ سؤالك إياي أن أنجي ، أو إن ابنك
عمل غير صالح لغير رشده ، قاله الحسن - رضى الله تعالى عنه - أو إن ابنك
عمل عملاً غير صالح « ع » .

فالتأويل الأخير على قراءة ﴿ إنه عمل غير صالح ﴾ بكسر الميم وفتح
اللام ونصب الراء ، وقد قرأ بها الكسائي ويعقوب .

فكان الأولى به أن يذكر هذه القراءة حتى يتضح هذا التأويل .
وراجع أيضاً تفسيره لقوله تعالى : ﴿ واتقوا الله الذى تساءلون به
والأرحام ﴾ . [النساء : ١] .

٥ - أمثلة على توجيهه لبعض القراءات المخالفة للغة المشهورة :

منها قوله تعالى : ﴿ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرَان ﴾ . [طه : ٦٣] .
قال العز : « إِنَّ هَذَا ﴾ رفع الاثنين ونصبهما بالالف على لغة بلحارث
ابن كعب وكناية وزبيد .

قال :

فأطرق إطراق الشجاع ولو رأى
 إن أباه وأبا أباهـ

مساغا لناباه الشجاع لصمما
 قد بلغا في المجد غايتها

أو تقديره « إنّه هذان » فحذف الهاء وإن لم تكن هذه اللغة فصحي
فيجوز ورود القرآن بالأفصح وبما عدها قاله متقدمو النحاة (١) ، أو « هذان »
مبنى كبناء الذين لا يتغير في أحوال الإعراب ، أو « إن » بمعنى نعم .
ويقلن شيب قد علّا ك وقد كبرت فقلت إنّه »

فالعر ذكر هذه القراءة ولم ينسبها وهى قراءة الأكثرين وقرأ ابن كثير وحفص (إن هذان) بإسكان نون «إن» وقراءة الأكثرين تخالف اللغة المشهورة المستعملة فى نصب اسم «إن» بالياء إذا كان مثنى . لذا نجد العز قد وجه هذه القراءة بأربعة وجوه :

الأول : أنها على لغة بلحارث بن كعب وكنانة وزبيد واستدل على ذلك بالشعر .

الثاني : أنها على تقدير « إنه هذان » فحذف الهاء .

الثالث : أن « هذان » مبني كبناء الذين لا يتغير في أحوال الإعراب :

الرابع : أن « إن » بمعنى نعم . واستدل على ذلك بالشعر .

٦ - أمثلة على رده لبعض المطاعن الموجهة لبعض القراءات :

منها قوله تعالى : ﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه ﴾ . [الإسراء : ٢٣]

(١) هذا القول لا دليل عليه فلا يجوز ورود القرآن بغير الأنصح وإلا لكان مأخذاً للمريب الذين عارضوه .

قال العز : « (وقضى) أمر » ع قال الضحاك : كانت في المصحف « ووصى » فألصق الكاتب الواو بالصاد فصارت وقضى قلت : هذا هوس » .

وقد رده - أيضاً - غيره من المفسرين . راجع تحقيق تفسيره .

٧ - أمثلة على عدم رده على بعض المطاعن الموجهة لبعض القراءات :

منها قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا ﴾ . [النور : ٢٧] .

قال العز : « ﴿ تستأنسوا ﴾ تستأذنوا ، قال ابن عباس - رضى الله تعالى عنهما : أخطأ الكاتب فكتب (تستأنسوا) » وكان الأولى بالعز أن يرد هذا الكلام الباطل الذى لا تصح نسبته إلى ابن عباس ولا يعقل أن يصدر منه مثل هذا لأنه يفتح باب أن التحريف والتغيير قد تطرق إلى القرآن ولو جوزنا ذلك لارتفع الأمان عن القرآن وذلك يخرج عن كونه حجة .

وقد تعقبه المفسرون بالرد والإبطال فقال القرطبي : « وهذا غير صحيح عن ابن عباس وغيره فإن مصاحف الإسلام كلها قد ثبت فيها ﴿ حتى تستأنسوا ﴾ وصح الإجماع فيها من لدن عثمان ، فهي التي لا يجوز خلافها . وإطلاق الخطأ والوهم على الكاتب في لفظ أجمع الصحابة عليه قول لا يصح عن ابن عباس » (١) ونقل عن ابن عطية رده .

وذكر هذا الأثر ابن كثير وقال : « وهذا غريب جداً عن ابن عباس » (٢) كما رده - أيضاً - الألوسي (٣) والزرقاني (٤) .

مما سبق يتضح منهج العز في عرضه للقراءات فهو يذكر القراءات وتأويلها وينسبها إلى من قرأ بها كماوردى ولكن في حالات قليلة .

(١) راجع : تفسيره (١٢ : ٢١٤) .

(٢) راجع : تفسيره (٣ : ٢٧٩ ، ٢٨٠) .

(٣) راجع : تفسيره (١٨ : ١٣٣) -

(٤) راجع : كتابه « مناهل العرفان » (١ : ٣٨١ ، ٣٨٢) .

وغالب أحواله أنه يذكر القراءة ومعناها ويترك نسبتها ، أو يكتفى بذكر
رسم القراءة دون الإشارة إليها ، وقد يكتفى بذكر معناها دون الإشارة إليها ،
وهو في ذلك كله مخالف للماوردي .

وقد يوجه بعض القراءات المخالفة للقراءة المشهورة ، كما أنه قد
يرد بعض المطاعن الموجهة لبعض القراءات ، وقد يتركها بدون رد أو
تعقيب .

تفسير القرآن بالقرآن أو بالسنة

تفسير القرآن بالقرآن أصبح طريق للتفسير ، فما أجمل في مكان فإنه قد بسط في موضع آخر ، وما جاء مطلقاً في آية قد يلحقه التقييد في آية أخرى ، وما كان عاماً في آية قد يدخله التخصيص في آية أخرى ، وما كان مبهماً في آية قد ينص على تعيينه في آية أخرى .

لهذا كان لابد لمن يتعرض لتفسير كتاب الله تعالى أن ينظر في القرآن أولاً ، ويفسر بعضه ببعض لأن صاحب الكلام أدرى بمعاني كلامه ، وأعرف به من غيره ، فإن لم يجد ذلك فعليه بالسنة فإنها شارحة للقرآن وموضحة له قال تعالى : ﴿ وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون ﴾ [النحل : ٤٤] .

وفي أثناء دراستي لتفسير العز لا حظت أنه يفسر بعض الآيات بآيات أخرى ، أو بأحاديث في بعض المواضع وإليك أمثلة توضح منهجه في ذلك :
(أ) أمثلة على تفسيره القرآن بالقرآن :

١ - قوله تعالى : ﴿ فتلقى آدم من ربه كلمات ﴾ . [البقرة : ٣٧] .
قال العز : ﴿ كلمات ﴾ الكلام من التأثير ، لتأثيره في النفس بما يدل عليه من المعاني ، والجرح كالم لتأثيره في الجسد . الكلمات قوله ﴿ ربنا ظلمنا ﴾ الآية [الأعراف : ٢٣] أو قول آدم صلى الله عليه وسلم لربه تبارك وتعالى : « أرايت إن تبت وأصلحت » فقال : « إني راجعك إلى الجنة » . أو قوله : « لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك ربى إني ظلمت نفسي فاغفر لى إنك خير الغافرين » . الخ .

فيلاحظ أنه ذكر في تفسير (كلمات) ثلاثة أقوال ، الأول منها أنه فسرهما بما جاء مبيناً لها في آية الأعراف ، وذكره له أولاً يشعر بأنه يرجحه ، وهو الأولى بتفسير الكلمات لأنه لإخيار من الله تعالى ، وهو أدرى بمعاني كلامه .

٢ - قوله تعالى : ﴿ ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم ﴾ . [النساء : ٤٩]

قال العز : « ﴿ يزكون أنفسهم ﴾ اليهود قالوا : ﴿ نحن أبناء الله وأحباؤه ﴾ [المائدة : ١٨] أو قدموا أطفالهم لإمامتهم زعماً أنه لا ذنوب لهم . أو قالوا : آباؤنا يستغفرون لنا ويزكوننا . أو زكى بعضهم بعضاً لينالوا شيئاً من الدنيا » اهـ .
فيلاحظ أنه ذكر في تفسير تزكية اليهود أنفسهم أربعة أقوال ، الأول منها أنه فسرها بقولهم : نحن أبناء الله وأحباؤه كما أخبر الله عنهم في آية المائدة ، وذكر العز له أولاً يشعر بأنه يرجحه ، وهو الأظهر لإخبار الله عنهم أنهم إنما كانوا يزكون أنفسهم دون غيرها .

٣ - قوله تعالى : ﴿ إنا نبشرك بغلام عليم ﴾ . [الحجر : ٥٣] .

قال العز : « ﴿ بغلام عليم ﴾ في كبره ، وهو إسحاق لقوله تعالى : ﴿ فضحكت فبشرناها بإسحاق ﴾ . [هود : ٧١] » .

فيلاحظ أن الغلام ورد مبهماً في آية الحجر بينما ورد ذكره باسمه وهو « إسحاق » في آية هود فكانت مفسرة لآية الحجر .

فيلاحظ من الأمثلة السابقة أن العز يذكر تفسير القرآن بالقرآن ضمن أقوال أخرى ، ويبدأ به أولاً مما يشعر بأنه يرجحه ، وأحياناً يقتصر عليه كما في المثال الأخير . وعلى العموم فهو يجمع الأقوال بدون مناقشة أو توجيه .

(ب) أمثلة على تفسيره بالسنة :

١ - قوله تعالى : ﴿ الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان ﴾ . [البقرة : ٢٢٩] .

قال العز : « ﴿ فإمساك بمعروف ﴾ الرجعة بعد الثانية ، والتسريح بإحسان : الطلقة الثالثة ، قيل للرسول صلى الله عليه وسلم : (الطلاق مرتان) فأين الثالثة ؟ قال : ﴿ إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان ﴾ ، أو التسريح بإحسان : ترك الرجعة حتى تنقضي العدة ، والإحسان : أداء حقها وكف الأذى عنها » . فالعز ذكر تفسيرين لقوله تعالى ﴿ أو تسريح بإحسان ﴾ :

الأول : أنه الطلقة الثالثة ، وهذا مروى عن الرسول صلى الله عليه وسلم (١)

والثاني : ترك الرجعة بعد التطليقة الثانية حتى تنقضى العدة .

وقد ذهب إلى التفسير الأول مجاهد وعطاء وقتادة والطبري (٢) ،
والقرطبي (٣) اتباعاً للخبر عن الرسول صلى الله عليه وسلم .

وذهب إلى الثاني الضحاك والسدي والكنيا الطبري وقال : هذا الخبر
عن الرسول صلى الله عليه وسلم غير ثابت .
راجع تفاصيل ذلك في تفسير القرطبي .

٢ - قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا
واتقوا الله لعلكم تفلحون ﴾ . [آل عمران : ٢٠٠] .

قال العز : « ﴿ اصبروا ﴾ على طاعة الله تعالى : ﴿ وصابروا ﴾ أعداءه
﴿ ورابطوا ﴾ في سبيله ، أو ﴿ اصبروا ﴾ على دينكم ﴿ وصابروا ﴾ الوعد الذي
وعدتكم ﴿ ورابطوا ﴾ عدوكم ، أو ﴿ اصبروا ﴾ على الجهاد ﴿ وصابروا ﴾ العدو
﴿ ورابطوا ﴾ بملازمة الثغر ، من ربط النفس ، ومنه ربط الله على قلبه
بالصبر ، أو ﴿ رابطوا ﴾ بانتظار الصلوات الخمس واحدة بعد واحدة قال
الرسول صلى الله عليه وسلم : (ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ، ويرفع
به الدرجات ، قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : إسباغ الوضوء عند المكاره ،
وكثرة الخطا إلى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم
الرباط) » .

فالعز قد ذكر أربعة أقوال في معنى قوله تعالى : ﴿ ورابطوا ﴾ :
واستدل على الأخير منها بالحديث (٤) .
فالحديث لم يفسر الآية وإنما بين أن انتظار الصلاة بعد الصلاة رباط .
وقد رجح الطبري أن الرباط ملازمة الثغر - كما في القول الثالث -

(١) راجع : تخریج الحديث في التعليق على الآية في تحقيق تفسير المز .

(٢) راجع : تفسيره (٤ : ٥٤٧) طبع المعارف .

(٣) راجع : تفسيره (٣ : ١٢٨) .

(٤) راجع : تخریج الحديث في التعليق على الآية في تحقيق تفسير المز

لأنه هو المعنى المعروف من معانى « الرباط » . وإنما يوجه الكلام إلى الأغلب المعروف فى استعمال الناس من معانيه دون الخفى ، حتى تأتى بخلاف ذلك مما يوجب صرفه إلى الخفى من معانيه : حجة يجب التسليم لها من كتاب أو خبر عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، أو إجماع من أهل التأويل (١) .

قلت : ويمكن حمل اللفظ على المعانى السابقة فيكون معنى « الرباط » فى الآية الجهاد فى سبيل الله ، ومرابطة الأعداء . وملازمة الثغر وانتظار الصلوات ، وما دام ذلك ممكن فهو أولى من قصره على أحدها بدون دليل . والله أعلم .

٣ - قوله تعالى : ﴿ لا تقم فيه أبداً . لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه ﴾ . [التوبة : ١٠٨] .

قال العز : « ﴿ أسس على التقوى ﴾ مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة مروي عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، أو مسجد قباء وهو أول مسجد بنى فى الإسلام « ع » ، أو كل مسجد بنى فى المدينة أسس على التقوى » . ذكر العز فى هذا المسجد ثلاثة أقوال :

أحدها : أنه مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم .

وهذا القول قد رواه أبو سعيد الخدرى قال : تمارى رجلان فى المسجد الذى أسس على التقوى من أول يوم ، فقال رجل : هو مسجد قباء ، وقال آخر : هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هو مسجدى هذا » .

وهذا الحديث رواه مسلم وغيره كما روى عن سهل الساعدى وأبى ابن كعب رضى الله عنهما (٢) .

فهذا الحديث نص فيه الرسول صلى الله عليه وسلم على أنه مسجده . فيتعين المصير إليه . ولعل الذين قالوا : إنه مسجد قباء ، أو كل مسجد فى المدينة لم يبلغهم هذا الحديث . والله أعلم .

(١) راجع : تفسيره (٧ : ٥٠٩) طبعة دار المعارف .

(٢) راجع : تخرىج الحديث فى التعليق على الآية فى تحقيق تفسير العز .

٤ - قوله تعالى : ﴿ المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملاً ﴾ . [الكهف : ٤٦] .

قال العز : « ﴿ والباقيات ﴾ الصلوات الخمس ، أو الأعمال الصالحة ، أو الكلام الطيب ، أو سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر مروى عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، وزاد بعضهم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم » .

ذكر العز في الباقيات الصالحات أربعة تفسيرات ، أحدها تفسير بالعموم وهو قوله : « الأعمال الصالحة » . وبقية التفسيرات تفسير بالمثال وهي داخلة في العموم . والأخير منها مروى عن الرسول صلى الله عليه وسلم (١) .

وقد رجح الطبري القول بالعموم فقال : « وأولى الأقوال في ذلك بالصواب ، قول من قال : هن جميع أعمال الخير ، كالذى روى عن علي ابن أبي طلحة عن ابن عباس ، لأن ذلك كله من الصالحات التي تبقى لصاحبها في الآخرة ، وعليها يجازى ويثاب . وأن الله عز ذكره لم يخص من قوله ﴿ والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً ﴾ بعضاً دون بعض في كتاب ، ولا بخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فإن ظن أن ذلك مخصوص بالخبر الذي رويناه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم فإن ذلك بخلاف ما ظن ، وذلك أن الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما ورد بأن قول : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ، هن من الباقيات الصالحات ، ولم يقل : هن جميع الباقيات الصالحات ، ولا كل الباقيات الصالحات ، وجائز أن تكون هذه الباقيات صالحات وغيرها من أعمال البر - أيضاً - باقيات صالحات (٢) .

فن الأمثلة السابقة يتضح أن العز قد أورد أقوالاً فيها تفسير لبعض الآيات بالحديث إما نصاً وإما استدلالاً ولم يعقب على شيء منها .

(١) راجع : تحريجه في التعليق على الآية في تحقيق تفسير العز .

(٢) راجع : تفسيره (١٥ : ٢٥٦) طبع الحلبي .

أسباب النزول

نزول القرآن على قسمين ، الأول : ما نزل ابتداء من غير سبب وهو أكثر القرآن . والثاني : ما نزل مرتبطاً بسبب وهو أقل القرآن .
وسبب النزول هو الحادثة التي تقع في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ، أو السؤال يوجه إليه فتزل الآية أو الآيات أيام وقوع ذلك مبينة لحكم تلك الحادثة ، أو مجيبة على ذلك السؤال .

ومعرفة أسباب النزول تزيل الإشكال عن كثير من الآيات وتعين على فهم الآية وتفسيرها . لذا نجد المفسرين اهتموا بها فصنفوا فيها المصنفات وذكروها في تفاسيرهم .

والعز كغيره من المفسرين اهتم بها فذكر الكثير منها حتى أنه يذكر في بعض الآيات أكثر من سبب .

وسوف يبين لك البحث طريقة عرض العز لأسباب النزول فيما يلي :
١ - أنه يعبر بقوله : نزلت الآية في كذا ويريد به سبب النزول كما أنه يعبر بهذا التعبير نفسه ويريد به معنى الآية . وهذا الاستعمال الأخير مخالف لاصطلاح المفسرين لأنه يعني عندهم أن هناك حادثة نزلت الآية بسببها مع أن ما يذكره العز ليس بحادثة وإنما إيضاح معنى ، وقد يستعمل بعض الصحابة نزلت ويريد بها معنى الآية ، قال ابن تيمية : « وقولهم نزلت هذه الآية في كذا يراد به تارة أنه سبب النزول ، ويراد به تارة أن هذا داخل في الآية وإن لم يكن السبب ، كما تقولُ عنى بهذه الآية كذا (١) » اهـ . وإليك أمثلة توضح ذلك :

المثال الأول : قوله تعالى ﴿ وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ﴾ . [البقرة : ١١] .

(١) انظر كتابه « مقدمة في أصول التفسير » ص (١٣) .

قال العز : « نزلت في المنافقين ، أو في قوم لم يكونوا موجودين حينئذ بل جاءوا فيما بعد قاله سلمان » .

فقوله : « نزلت » لا يريد به سبب النزول ، لأن السبب حادثة متقدمة على نزول الآية فلا يتفق مع قوله : « نزلت في قوم لم يكونوا موجودين .. » وإنما يريد عنى بالآية المنافقين ، أو قوم لم يكونوا موجودين .

المثال الثاني : قوله تعالى : ﴿ ومن أظلم ممن منع مساجد الله ﴾ . [البقرة : ١١٤] .

قال العز : « أنزلت في بختنصر وأصحابه المجوس خربوا بيت المقدس ، أو في النصارى الذين أعانوا بختنصر على خرابه ، أو في قريش لصددهم الرسول صلى الله عليه وسلم عن الكعبة عام الحديبية ، أو عامة في كل مشرك منع من مسجد » فقوله : « نزلت في بختنصر ، أو في النصارى » لا يصلحان سبباً لنزول الآية لأنهما حادثان سبقتا زمن النبي صلى الله عليه وسلم وسبق في التعريف أن سبب للنزول ما حدث في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ونزلت الآية مبينة له . فهو يريد بقوله : « نزلت » عنى بالآية بختنصر أو النصارى وكذلك قوله : « أو عامة في كل مشرك ... » وكان الأولى به أن يستعمل هذا التعبير لأنه أدق في تحديد المراد .

أما قوله : « نزلت في قريش لصددهم الرسول صلى الله عليه وسلم عن الكعبة ... » فهذا يصلح أن يكون سبباً لنزول الآية إذا كان حادثاً قبل نزول الآية .

المثال الثالث قوله تعالى : ﴿ واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ﴾ . [الأنفال : ٢٥] .

قال العز : « نزلت في النكاح بلا ولى قاله بشر بن الحارث » فهو يريد عنى بها النكاح بلا ولى لأنه لا يصلح سبباً لنزول الآية .

ولعل صاحب هذا القول يريد أن النكاح بلا ولى من الفتنة وهذا تفسير للعموم ببعض أفرادها .

المثال الرابع : قوله تعالى : ﴿ وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ﴾ . [النحل : ١٢٦] .

قال العز : « أو نزلت في كل مظلوم أن يقتص بقدر ظلامته » فهو يريد غنى بها كل مظلوم ... الخ .

٢ - أنه يذكر حوادث مدنية أسباباً لنزول آيات مكية ، وإليك أمثلة على ذلك : -

المثال الأول : قوله تعالى : ﴿ لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم ﴾ . [الحجر : ٨٨] .

قال العز : « نزل بالرسول صلى الله عليه وسلم ضيف فلم يكن عنده ما يصلحه فأرسل إلى يهودى يستسلف منه دقيقاً إلى هلال رجب فأبى إلا برهن ، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : إني لأمين في السماء أمين في الأرض ولو أسلفني لأدبت إليه فنزلت ﴿ لا تمدن ﴾ » .

فسورة الحجر مكية باتفاق كما ذكر العز في أولها ، وهذه الحادثة المذكورة مدنية في آخر عمر النبي صلى الله عليه وسلم لأنه مات ودرعه مرهونة عند يهودى بهذه الحادثة كما قاله ابن عطية . يضاف إلى ذلك أن إسناد هذا السبب ضعيف لأن فيه موسى بن عبيدة الربذى وهو متروك (١) .

المثال الثانى : قوله تعالى : ﴿ الذين تتوفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم ﴾ [النحل : ٢٨] .

قال العز : « قيل نزلت فيمن أسلم بمكة ولم يهاجر فأخرجتهم قريش إلى بدر فقتلوا » أه .

وقد ذهب جمهور المفسرين إلى أن هذه الحادثة سبباً لنزول ﴿ إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض ﴾ . [النساء : ٩٧] .

ويؤيد ذلك ما يلي :

أولاً : لأنها حدثت بعد الهجرة يوم بدر وسورة النساء نزلت بالمدينة بعد الهجرة . بينما سورة النحل نزلت بمكة قبل هذه الحادثة .

(١) راجع : تفاصيل ذلك في التعليق على الآية في تحقيق تفسير العز .

ثانياً : لأن رواية من قال : إنها سبب لنزول آية النحل مرسله بينما رواية من قال : إنها سبب لنزول آية النساء موصولة رواها البخارى وغيره . والموصول الذى رواه البخارى مقدم على المرسل (١) .

٣ - أنه يمتاز باختصاره لبعض الأسباب التى أطال فيها الماوردى فيعبر عنها بعبارة موجزة تتضمن ما ذكره الماوردى أو يقتصر منها على ما يناسب الآية .

وإليك أمثلة على ذلك :

المثال الأول : قوله تعالى ﴿ قل من كان عدوا لجبريل ﴾ . [البقرة : ٩٧]

قال الماوردى (ق ١ : ٤٣ ب ، ٤٤ - أ) : « وسبب نزول هذه الآية ما روى أن ابن سوريا وجلة من يهود فذك لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة سألوه فقالوا : يا محمد كيف نومك فإنه قد أخبرنا عن نوم النبي الذى يأتي فى آخر الزمان ؟

فقال : تنام عيناى وقلبي يقظان ، قالوا : صدقت يا محمد ، فأخبرنا عن الولد يكون من الرجل ، أو من المرأة . فقال : أما العظام والعصب والعروق فمن الرجل ، وأما اللحم والدم والظفر والشعر فمن المرأة ، قالوا : صدقت يا محمد ، فما بال الولد يشبه أعمامه ليس فيه من شبه أخواله شيء ، ويشبه أخواله ليس فيه من شبه أعمامه شيء ؟ فقال : أيهما علاماؤه كان الشبه له ، قالوا : صدقت يا محمد ، فأخبرنا عن ربك ما هو ؟ فأنزل الله ﴿ قل هو الله أحد ﴾ إلى آخر السورة . قال له ابن سوريا : خصلة إن قلتها آمنت بك واتبعتك ، أى ملك يأتيك بما يقول الله ؟ قال : جبريل ، قال : ذلك عدونا ينزل بالقتال والشدة ، وميكائيل ينزل باليسر والرخا فلو كان ميكائيل هو الذى يأتيك آمنا بك ، فقال عمر بن الخطاب عند ذلك فأني أشهد أن من كان عدواً لجبريل فإنه عدو لميكائيل فأنزل الله تعالى هذه الآية » .

وقد اختصر العز هذا السبب الطويل فقال : « نزلت لما قال ابن سوريا للرسول صلى الله عليه وسلم : أى ملك يأتيك بما يقول الله تعالى ؟ قال : جبريل

(١) راجع التعليق على هذا السبب فى الآية : ٢٨ من سورة النحل فى تحقيق تفسير العز .

— عليه السلام — قال : ذاك عدونا ينزل بالقتال والشدة وميكائيل يأتي باليسر والرخاء . فلو كان هو الذي يأتيك آمنا بك فنزلت » .

فيلاحظ أن العز قد اقتصر على سبب نزول الآية وهو الجزء الأخير من هذه الرواية الطويلة ويعادل ربع ما ذكره الماوردي تقريباً .

المثال الثاني : قوله تعالى : ﴿ ودّ كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً ﴾ . [البقرة : ١٠٩] .

قال الماوردي (ق ١ — ٤٧ — أ) : « وسبب نزولها ما روى أن نفرأ من اليهود منهم فنحاص وزيد بن قيس دعوا حذيفة وعماراً إلى دينهما ، وقالوا : نحن أهدى منكم سيلاً ، فقال لهم عمار : وكيف نقض العهد عندكم ؟ قالوا : شديد ، قال فيني عاهدت ربّي أن لا أكفر بمحمد أبداً ولا أتبع ديناً غير دينه فقالت اليهود : أما عمار فقد صباً وضل عن سواء السبيل ، فكيف أنت يا حذيفة ؟ فقال حذيفة : الله ربّي ومحمد نبيّ القرآن إمامي ، أطيع ربّي وأقتدى برسول ربّي وأعمل بكتاب ربّي ، فقالوا : وإله موسى لقد أشربت قلوبكما حب محمد . فأنزل الله عز وجل هذه الآية » .

وقد اختصره العز فقال : « دعا فنحاص وزيد بن قيس حذيفة وعماراً إلى دينهما فأبيا عليهما فنزلت » .

فيلاحظ أن ما ذكره الماوردي في سبب نزول هذه الآية مطولاً قد اختصره العز في سطر واحد تقريباً فأتى بملخصة ذلك في عبارة موجزة مفيدة وترك تفاصيل ذلك اختصاراً .

المثال الثالث : قوله تعالى ﴿ إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوّف بهما ﴾ . [البقرة : ١٥٨] .

قال الماوردي (ق ١ : ٥٩ — أ) : « وليس في قوله ﴿ فلا جناح عليه ﴾ دليل على إباحته دون وجوبه لخروجه على سبب ، وهو أن الصفا كان عليه في الجاهلية صنم اسمه « إساف » وعلى المروة صنم اسمه « نائلة » فكانت الجاهلية إذا سعت بين الصفا والمروة طافوا حول الصفا والمروة تعظيماً لإساف ونائلة ، فلما جاء الإسلام وألقيت الأصنام تكره المسلمون أن يوافقوا الجاهلية

في الطواف حول الصفا والمروة مجانية لما كانوا عليه من تعظيم إساف ونائلة فأباح الله تعالى ذلك لهم في الإسلام لاختلاف القاصدين فقال : ﴿ فلا جناح عليه أن يطوف بهما ﴾ .

وقد اختصره العز فقال : « لما كانوا يطوفون بينهما في الجاهلية تعظيماً لإساف ونائلة تخرجوا بعد الإسلام أن يضاهوا ما كانوا يفعلونه في الجاهلية فنزلت » .

فلاحظ ما ذكره الماوردي في سبب نزول هذه الآية واختصار العز له تجد أن العز اختصره في عبارة موجزة تؤدي نفس الغرض الذي أراده الماوردي وتوضح معنى الآية وتزيل الإشكال عنها .

المثال الرابع : قوله تعالى : ﴿ ولا يجر منكم شأن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا ﴾ . [المائدة : ٢] .

قال الماوردي (ق ١ : ١٤٠ - أ) : « قال السدي : نزلت هذه الآية في الحطم بن هند البكري أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده وخلّف خيله خارجة من المدينة فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال لأصحابه : يدخل اليوم عليكم رجل من ربيعة يتكلم بلسان شيطان فلما أخبره النبي صلى الله عليه وسلم قال : انظروني فلي من أشاوره فخرج من عنده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد دخل بوجه كافر وخرج بعقب غادر ، فرسرح من سرح المدينة فاستاقه فانطلق وهو يرتجز ويقول :

قد لفها الليل بسواق حطم ليس براعى لابل ولا غم
ولا يجزار على ظهر الوضم^(١) باتوا نياماً وابن هند لم ينم
بات يقاسها غلام كالزلم^(٢) خدلج^(٣) الساقين ممسوح القدم

(١) الوضم : كل شيء يوضع عليه اللحم من الخشب أو بارية يوق به من الأرض .
راجع : مختار الصحاح « وضم » .

(٢) الزلم : واحد الأزلام ، وهي السهام . راجع : مختار الصحاح « زلم » .

(٣) الخدلج : هو الممثل الساقين أو الذراعين . راجع معجم مقاييس اللغة (٢ : ٢٤٨)
« الخدلجة » .

ثم أقبل من عام قابل حاجاً قد قلد الهدى ، فأراد الرسول صلى الله عليه وسلم أن يبعث إليه فنزلت هذه الآية حتى بلغ ﴿ ولا آمين البيت الحرام ﴾ فقال له ناس من أصحابه : يا رسول الله خل بيننا وبينه فإنه صاحبنا فقال : إنه قد قلد » .

وقد اختصره العز فقال : « أتى الحطم بن هند الرسول - صلى الله عليه وسلم فقال : إلام تدعو ؟ فأخبره ، فخرج فرسرح من سرح المدينة فاستاقه ، ثم أقبل من العام المقبل حاجاً مقلداً الهدى فأراد الرسول صلى الله عليه وسلم أن يبعث إليه فنزلت . فقال ناس من الصحابة : يا رسول الله خل بيننا وبينه فإنه صاحبنا فنزلت » .

فيلاحظ أن الماوردي قد ذكر قصة الحطم مطولة مفصلة بينما العز قد اختصرها إلى النصف تقريباً في عبارة موجزة بينت سبب نزول الآية وأعانت على فهمها ، وقد ترك بعض التفاصيل اختصاراً .

وهناك أمثلة أخرى كثيرة وقد اكتفى البحث بهذا القدر خشية التطويل . وفي هذا إيضاح لمنهج العز في اختصاره لأسباب النزول المطولة حيث يكتفى بجزء من الحادثة وهو الذي له علاقة بالآية ، أو يعبر عن السبب بعبارة موجزة تؤدي الغرض ويترك بعض التفاصيل لقللة أهميتها اختصاراً كما تقدم في الأمثلة السابقة .

اللغة والنحو

إن علم اللغة وما يشتمل عليه من بيان معاني المفردات ، وتصريف الكلمات ، واشتقاقها ، ووجوه الإعراب من العلوم التي يحتاج إليها المفسر ومن أهم أركان التفسير فلا بد لمن يتعرض لتفسير كتاب الله من الرجوع إلى اللغة العربية ، والاستعانة بها في شرح ألفاظه ، ومعرفة مشتقاته وإعراب كلماته .

قال العز : « وتتوقف معرفة القرآن على معرفة اللغة والإعراب .

قال ابن عباس : (إذا أشكل عليكم شيء من القرآن فالتمسوه في الشعر فإنه ديوان العرب) فما كان موجباً للعمل جاز أن يستدل عليه بالآحاد والبيت والبيتين من الشعر ، وما كان موجباً للعلم فلا يستدل عليه بمثل ذلك (١) .

فالعز يعنى كثيراً ببيان معاني مفردات الآيات ، وأصول الكلمات اللغوية التي اشتقت منها ، ويربط بينها وبين المعنى المراد من الكلمة في الآية . ويستطرد - أحياناً - في التفاصيل اللغوية ويذكر الفروق بين الكلمات المتقاربة ويشير - أحياناً - إلى بعض الوجوه النحوية ، ويعلل لبعض المعاني ويمثل لها ويستشهد عليها بالشعر .

ويمكن أن نبين منهجه في التفسير اللغوي في الأوجه الآتية :

الوجه الأول : بيانه لأصل اشتقاق الكلمة وربطه بينه وبين الكلمة من الآية . وإليك أمثلة على ذلك :

١ - قوله تعالى : ﴿ ومما رزقناهم ينفقون ﴾ [البقرة : ٣] .

قال العز : « (رزقناهم) أصل الرزق الحظ ، فكان ما جعله حظاً من عطائه رزقاً . (ينفقون) وأصل الإنفاق الإخراج ، نفقت الدابة خرجت

(١) انظر : كتابه « الإشارة إلى الإيجاز » ص (٢٧٩) .

روحها ، والمراد : الزكاة « ع » ، أو نفقة الأهل ، أو التطوع بالنفقة فيما يقرب إلى الله تعالى .

فلاحظ بيانه لأصل « الرزق » وهو « الحظ » ولأصل « الإنفاق » وهو « الإخراج » وتمثيله له بـ « نفقت الدابة » حتى يتضح ، ثم بيانه للمراد به في الآية .

٢ - قوله تعالى : ﴿ وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون ﴾ . [البقرة : ١٤] .

قال العز : « (شياطينهم) رؤوسهم في الكفر ، أو اليهود الذين يأمرونهم بالتكذيب . شيطان : فيعال ، من شطن إذا بعد - نوى شطون - سمي به لبعده عن الخير ، أو لبعده مذهبه في الشر ، نونه أصلية . أو من شاط يشيط إذا هلك ، زائد النون . أو من التشيط وهو الاحتراق ، سمي ما يؤول إليه أمره » . فلاحظ ذكره لأصل مأخذ « الشيطان » فيحتمل أنه من « شطن » إذا بعد ، ومثاله : « نوى شطون » أى جهة بعيدة . ثم ذكر علاقة هذه التسمية بالأصل ، وهى « بعده عن الخير ، أو بعد مذهبه في الشر » . ويحتمل أنه مأخوذ من « شاط يشيط » إذا هلك أو احترق فالنون - على هذا - زائدة وعلاقة التسمية « ما يؤول إليه أمره » .

٣ - قوله تعالى : ﴿ صم بكم عمى فهم لا يرجعون ﴾ . [البقرة : ١٨] . قال العز : « (صم) أصل الصمم : الانسداد ، قناة صماء أى غير مجوفة ، وصممت القارورة سددها . فالأصم : المنسد خروق المسامع » . فلاحظ بيانه لأصل الصمم والتمثيل على ذلك بمثالين مختلفين للايضاح .

٤ - قوله تعالى : ﴿ أو كالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها ، قال أنى يحيى هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه ﴾ . [البقرة : ٢٥٩] . قال العز : « (كالذى مر) عزيز ، أو أرميا ، أو الخضر . (قرية) بيت المقدس لما خربه بختنصر ، أو القرية التى خرج منها الألو ف حذر الموت . (خاوية) خراب من الخواء ، وهو الخلو ، ومنه خوت الدار ، والخوا الجوع لخلو البطن . (عروشها) العروش البناء . (يحيى هذه الله) بالعارة

(بعد موتها) بالخراب . (يوماً أو بعض يوم) قال ذلك ، لأنه مات أول النهار ، وعاش بعد المائة آخر النهار فقال : يوماً ، ثم رأى بقية الشمس فقال : أو بعض يوم . (لم يتسنه) لم يأت عليه السنون فيتغير ، أو لم يتغير بالأسن . (ننشرها) نحییها ، من نشر الثوب ، لأن الميت كالثوب المطوى ، لانقباضه عن التصرف فإذا عاش فقد انتشر بالتصرف . (ننشرها) نرفع بعضها إلى بعض ، النشر المكان المرتفع ، نشرت المرأة لارتفاعها عن طاعة زوجها . قاله ملك أو نبي أو بعض المعمرين ممن شاهد موته وحياته . « فلاحظ بيانه لأصل » خاوية « ، وتوجيه لقراءة (ننشرها) ، (وننشرها) ، وبيانه لأصل « النشر » و « النشر » والتمثيل عليهما . ولاحظ شرحه لبقية مفردات الآية كل ذلك التحليل اللغوي في عبارة سهلة واضحة قد تمتنع على غيره لأن بعض الناس يحلل الألفاظ ولكنه يزيدها غموضاً وإبهاماً .

٥ - قوله تعالى : ﴿ وما كان لنبي أن يغفل ومن يغفل يأت بما غل يوم القيامة ﴾ . [آل عمران : ١٦١] .

قال العز : « (يُغفل) يتهمه أصحابه ويخونونه ، أو أن يغله أصحابه ويخونونه . والغلول من الغلل وهو دخول الماء خلال الشجر فسميت الخيانة غلولا لوقوعها خفية . والغل : الحقد لجريانه في النفس مجرى الغلل » .

فلاحظ بيانه لأصل « الغلول » وبيانه لسبب تسمية هذه الخيانة غلولا . ثم لاحظ استطراده في بيان مأخذ « الغل » وأنه يجتمع مع « الغلول » في أصل واحد وهو « الغلل » .

٦ - قوله تعالى : ﴿ قالوا أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين ﴾ . [يوسف : ٤٤] . قال العز : « (أضغاث) أخلط أو ألوان ، أو أهويل ، أو أكاذيب ، أو شبهة أحلام ، أبو عبيدة : الأضغاث مالا تأويل له من الرؤيا . قال :

كضِغْثِ حُلْمٍ مُغَرٍّ مِنْهُ حَالُهُ

والضغث : حزمة الحشيش المجموع بعضه إلى بعض ، وقيل ما ملأ الكف . الأحلام في النوم مأخوذة من « الحلم » وهو الأناة والسكون ، لأن النوم حال أناة وسكون » .

فلاحظ الأقوال التي ذكرها في معنى « أضغاث » وكلها لا تخرج عن أصله الذي يدل على التباس الشيء بعضه ببعض . ثم استطرد فذكر معنى آخر لـ « ضغث » وهو الخزمة من الحشيش . ثم بين أصل « الأحلام » فهي من « الحلم » وهو الأناة والسكون . ثم ربط بينها وبين هذا الأصل بأنها تقع في النوم الذي هو حال أناة وسكون .

٧ — قوله تعالى : ﴿ قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين ﴾ . [يوسف : ٥١] .

قال العز : « (حصحص الحق) وضع وبان « ع » ، وفيه زيادة تضعيف مثل « كبوا وككبوا » قاله الزجاج . مأخوذ من حصّ شعره إذا استأصل قطعة ، والحصّة من الأرض قطعة منها ، فححصص الحق : انقطع عن الباطل بظهوره وبيانه . فلاحظ بيانه لأصل « حصحص » فهو مضعف مثل « كبوا وككبوا » وأصله من « حصّ شعره » ومنه « الحصّة من الأرض » وهي القطعة . ثم ربط بين أصل الكلمة والمعنى المراد بها في الآية بعبارة دقيقة موجزة أبرزت المعنى المعقول حتى صار كأنه محسّ وهي قوله : « فححصص الحق » : انقطع عن الباطل بظهوره وبيانه .

٨ — قوله تعالى : ﴿ وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة منه ﴾ . [الكهف : ١٧] قال العز : « (تقرضهم) تحاذيهم ، القرض : المحاذاة . أو تجوزهم منحرفة وتقطعهم ، قرضته بالمقراض قطعه . أو تعطيهم القليل من شعاعها ثم تأخذه بانصرافها ، من قرض الدراهم التي ترد » .

فقد ذكر العز للقرض في اللغة ثلاثة معاني ، ثم ربط بين هذه المعاني والمعنى المراد من قوله تعالى : « (تقرضهم) فالأول : أن القرض بمعنى المحاذاة ، فالشمس تحاذيهم . والثاني : أنه بمعنى القطع ، ومنه قرضته بالمقراض أي قطعه ، فالشمس تجوزهم منحرفة وتقطعهم . والثالث : أنه بمعنى قرض الدراهم التي ترد ، فالشمس تعطيهم القليل من شعاعها ثم تأخذه بانصرافها .

الوجه الثاني : بيانه للفروق بين الكلمات :

وإليك أمثلة على ذلك :

١ - قوله تعالى : ﴿ ويمدهم في طغيانهم يعمهون ﴾ . [البقرة : ١٥]
قال العز : « (ويمدهم) يملئ لهم ، أو يزيدهم . مددت وأمددت ، أو مددت
في الشر وأمددت في الخير ، أو مددت فيما زيادته منه ، وأمددت فيما زيادته
من غيره . » فلاحظ أنه ذكر في معنى « مددت وأمددت » قولين :

الأول : أنهما بمعنى واحد وهو الزيادة مطلقاً .

والثاني : التفريق بينهما ف « مددت » زدت في الشر ، و « أمددت »
زدت في الخير ، أو « مددت » فيما زيادته منه ، و « أمددت » فيما زيادته
من غيره .

٢ - قوله تعالى : ﴿ مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله
ذهب الله بنورهم ﴾ . [البقرة : ١٧] . قال العز : « (أضاءت) ضاءت النار
في نفسها ، وأضاءت ما حولها . قال :

أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم دجى الليل حتى نظمَ الجزعَ ثاقبُةً »
فلاحظ تفريقه بين « ضاءت » و « أضاءت » فالأول لازم ، والثاني
متعد واستدل على الثاني بالشعر .

٣ - قوله تعالى : ﴿ وكذبَ به قومكَ وهو الحق ﴾ . [الأنعام : ٦٦] .
قال العز : « (وكذب به) بالقرآن . أو بتصريف الآيات . (وهو الحق)
أى ما كذبوا به ، والفرق بينه وبين الصواب ، أن الصواب لا يدرك إلا بطلب ،
والحق قد يدرك بغير طلب » .

لاحظ تفريقه بين الحق والصواب .

٤ - قوله تعالى : ﴿ ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفاً قال بشما
خلفتموني من بعدى أعجلتم أمر ربكم ﴾ . [الأعراف : ١٥٠] . قال العز :
« والعجلة : التقدم بالشئ قبل وقته . والسرعة : عمله في أول أوقاته » .

٥ - قوله تعالى : ﴿ إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم ﴾ . [الأنفال :
٩] . قال العز : « (تستغيثون) تستنصرون ، أو تستجيرون فالمستجير :

طالب الخلاص ، والمستنصر : طالب الظفر ، والمستغيث : المسلوب القدرة ، والمستعين : الضعيف القدرة ﴿ فاستجاب لكم ﴾ أغاثكم الاستجابة ما تقدمها امتناع ، والإجابة مالم يتقدمها امتناع ، وكلاهما بعد السؤال .

٦ - قوله تعالى : ﴿ قالوا يا لوط إنا رسلُ ربك لن يصلوا إليك فأسر بأهلك بقطع من الليل ﴾ . [هود : ٨١] . قال العز : ﴿ فأسر ﴾ السرى سير الليل . وسرى وأسرى واحد . أو أسرى من أول الليل وسرى من آخره . ولا يقال في النهار إلا سار . فالعز ذكر في معنى « سرى وأسرى » قولين : الأول : أنهما بمعنى واحد ، وهو سير الليل مطلقاً . والثاني : التفريق بينهما ف « أسرى » من أول الليل و « سرى » من آخره .

الوجه الثالث : استشهاد بالشعر :

وقد استشهد بالشعر على معاني بعض الكلمات وهو لا يكثر كما فعل الماوردي بل يقتصر على بعضه .

وقد عقدت مقارنة بينهما في ذلك ، فأحصيت الآيات التي استشهد بها الماوردي فبلغت خمسة عشر في سورة إبراهيم ، وستة عشر في سورة الحجر وعشرين في سورة الكهف بينما اقتصر العز على بيتين منها في سورة الحجر وبيت واحد في سورة الكهف وبيت واحد في سورة إبراهيم ، وهو في تفسير قوله تعالى : ﴿ ولقد أرسلنا موسى بآياتنا أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور وذكرهم بأيام الله ﴾ . [الآية : ٥] .

قال العز : ﴿ وذكرهم ﴾ عظمهم بما سلف في الأيام الماضية ، أو بالأيام التي انتقم فيها بالقرون الأول ، أو بنعم الله لأنها تُسم (١) بالأيام .

وأيام لنا عُمر طِوالٍ »

فالعز ذكر في تفسيره (أيام الله) ثلاثة أقوال ، الثالث منها : أن الأيام معناها نعم الله لأنها تُسمى بالأيام ، واستشهد عليه بصدر بيت من معلقة عمرو بن كلثوم .

(١) هكذا في تفسير العز ، وفي تفسير الماوردي (ق ٢ / ١١٣ - أ) « تسمى » باثبات الألف ، وهو الاصول لانه لم يتقدمها جازم .

وفي هذا الاستشهاد نظر لأنه محتمل أن يكون معنى الأيام في البيت « وقائع الحروب » ووصفها بغير لعلوهم على الملك وامتناعهم فيها منه ، فأيامهم غر لهم ، وطوال على أعدائهم .

وبهذا شرحه النحاس (١) والطبري (٢) ورجحه وقال : « وليس للذي قال هذا القول ، من أن في هذا البيت دليلاً على أن « الأيام » معناها النعم - وجه الخ .

وأما البيتان اللذان في سورة الحجر فهما في تفسير قوله تعالى : ﴿ الذين جعلوا القرآن عضين ﴾ [الآية : ٩١] .

قال العز : ﴿ عضين ﴾ فرقاً بعضه شعراً وبعضه سحراً وبعضه أساطير الأولين . جعلوه أعضاء كما تُعضى الجزور وعضين جمع عضو من عضيت الشيء تعضية إذا فرقته « ع » :

وليس دين الله - تعالى - بالمعضى (٣) .

أى المفرق . أو العضين جمع عضه وهو البهت لأنهم بهتوا كتاب الله - تعالى - فيما رموه به ، عضت الرجل عضها بهته . قال :

إن العضية ليست فعل أحرار .

فالعز ذكر في معنى « عضين » قولين :

أحدهما : أن عضين جمع عضو من عضيت الشيء تعضية إذا فرقته « ع » واستشهد عليه برجز رؤبة :

وليس دين الله بالمعضى .

أى المفرق .

(١) انظر كتابه « شرح القصائد التسع » (٢ : ٨٢٨) .

(٢) انظر تفسيره (١٦ : ٥٢٠) معارف ،

(٣) هذا من رجز رؤبة وليس فيه « تعالى » ولعلها زيادة من الناسخ راجع : ديوانه

ص ٨١ وتفسير الطوسي (٦ : ٣٥٤) والطبرسي (١٤ : ٤١) واللسان « عضا » ومعجم الشواهد العربية (٢ : ٤٩١) .

الثانى : أن عضين جمع عضه ، وهو البهت لأنهم بهتوا كتاب الله تعالى فيما رموه به ، واستشهد له بقول الشاعر :

إن العضية ليست فعل أحرار .

ولم أعر على هذا الشعر فى المصادر التى تيسر لى الاطلاع عليها .
والبيت الذى فى سورة الكهف فى تفسير قوله تعالى : ﴿ وإنا لجاعلون ما عليها صعيداً جرزاً ﴾ . [الآية : ٨] .

قال العز : « ﴿ جرزا ﴾ بقلعا ، أو ملساً ، أو محصورة ، أو يابسة ، لا نبات بها ولا زرع .

قد جرفتن السنون الأجرز » .

فالعز ذكر فى تفسير ﴿ جرزاً ﴾ أقوالاً متقاربة ، والأخير منها : أن جرزاً بمعنى يابسة لا نبات بها ولا زرع ، واستشهد عليه بقول الراجز .

قد جرفتن السنون الأجرز .

قال الطبرى : « ويقال للسنه المجذبة : جرز و سنون أجرز لجذوبها وييسها وقلة أمطارها قال الراجز (١) » فذكر الرجز السابق .

الوجه الرابع : إشارته إلى بعض الوجوه النحوية ، مثاله :

قوله تعالى : ﴿ إياك نعبد ﴾ . [الفاتحة : ٥] .

قال العز : « ﴿ إياك ﴾ الخليل : إيا اسم مضاف إلى الكاف . الأخفش . (إياك) كلمة واحدة لأن الضمير لا يضاف » اهـ .

فالعز ذكر وجهين للنحاة فى ﴿ إياك ﴾ فنسب الأول إلى الخليل ، والثانى إلى الأخفش .

وراجع — أيضاً — توجيهه لقراءة ﴿ إن هذان لساحران ﴾ . [طه : ٦٣]
فقد ذكر وجوهاً نحوية فى توجيهها ، وسبق الاستشهاد بها فى مبحث القراءة .
هذا وقد لاحظت أثناء دراستى لتفسيره أنه لا يكتر من ذكر الوجوه النحوية .

(١) راجع : تفسيره (١٥ : ١٩٧) طبع الحلبي .

فن الأوجه السابقة والأمثلة عليها يتضح منهج العز في تفسيره اللغوي لمفردات الآيات .

فهو يُعنى بذكر الأصول اللغوية للكلمات ، ويربط بينها وبين المعنى المراد من الكلمة في الآية ، كما أنه يذكر الفروق بين الكلمات المتقاربة في اللفظ أو المعنى كما سبق بيانه بالأمثلة المتنوعة ويشير إلى بعض الوجوه النحوية وهو في ذلك كله يستشهد بالشعر وقد أكثر الماوردى من الشواهد الشعرية في تفسيره ولكن العز اقتصر على القليل منها . كما سبق بيانه في المقارنة بينهما .

الأحكام الفقهية

والعز يعنى بآيات الأحكام ويفسرها ويذكر أقوال العلماء فى بيان معناها ، ويذكر الأحكام الفقهية التى تدل عليها ويشير إلى مذاهب الفقهاء فى ذلك ويعتنى ببيان مذهب الشافعى لأن الماوردى صاحب التفسير الأصل والعز الذى اختصره من أئمة الشافعية وعنايته بأقوال أئمة المذاهب لا تظهر فى هذا المختصر لأن العز قد حذف نسبة كثير من الأقوال .

ويمتاز بأنه لا يستطرد بذكر التفاصيل والفروع الفقهية التى لا تؤخذ من الآيات وإنما تؤخذ من السنة ، أو اجتهاد الفقهاء ، لأن محل هذه الفروع كتب الفقه ولكن بعض المفسرين استطرد فذكر هذه الفروع فى تفسيره كالقرطبى وسوف أعقد مقارنة بينه وبين العز حتى يتضح منهج العز فى تفسير آيات الأحكام . وإليك أمثلة على ذلك :

١ - قوله تعالى : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴾ . [البقرة : ١٨٠] قال العز فى تفسيرها : « (خيراً) مالا اتفاقاً ها هنا ، قال مجاهد : الخير المال فى جميع القرآن (إنه لحب الخير) [العاديات : ٨] . (أحببت حب الخير) . [ص : ٣٢] . (إن علمتم فيهم خيراً) . [النور : ٣٣] ، أراد المال فى ذلك ، (إنى آراكم بخير) . [هود : ٨٤] بغنى ومال . كانت الوصية للوالدين والأقربين واجبة قبل نزول المواريث فلما نزلت المواريث نسخ وجوبها عند الجمهور . أو نسخ منها الوصية لكل وارث ، وهى الوجوب فيمن لا يرث من الأقارب . والمال الذى يجب عليه أن يوصى منه ألف درهم ، أو من ألف إلى خمسمائة . ، أو يجب فى كل قليل وكثير . فلو أوصى بثلثه لغير قرابته رُدَّ الثلث على قرابته ، أو يرد ثلث الثلث على القرابة وثلثا الثلث

للموصى له ، أو ثلثاه للقرابة وثلثه للموصى له . ﴿ على المتقين ﴾ التقوى في أن يقدم الأحمق فالأحمق من أقاربه » .

فالعز قد تناول في تفسير هذه الآية المسائل الآتية :

الأولى : بين أن المراد بقوله : (خيراً) المال اتفاقاً ، واستدل على هذا بآيات أخرى .

الثانية : ذكر أن الجمهور ذهبوا إلى نسخ وجوب هذه الآية وذهب آخرون إلى أنه نسخ منها الوصية لكل وارث . والناسخ لها عندهم قوله تعالى : ﴿ يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين ﴾ . [النساء : ١١] ، ولم يذكر رأى من قال : إنها محكمة (١) ، وهو الراجح عندي لأن النسخ بين الحكيم إنما يكون إذا تنافى العمل بموجبهما ، ولا تنافى بين آية الوصية وآية الموارث فكيف تكون هذه ناسخة لتلك مع فقد التنافي ، فأية الوصية عامة خص عمومها بآية الموارث ، فبقي وجوب الوصية فيمن لا يرث كالوالدين الكافرين والعبد وذوي الأرحام .

الثالثة : ذكر في المال الذي يجب عليه أن يوصى منه قولين :

الأول : الكثير وقدره بألف ، أو من ألف إلى خمسمائة .

والثاني : في كل قليل وكثير .

الرابعة : ذكر أن الوصية تكون بالثلث وهذا بيان لقوله تعالى :

﴿ بالمعروف ﴾ وقد روى عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الثالث والثلث كثير » .

الخامسة : دلت الآية على أن الوصية واجبة لقرابته فلو أوصى بثلثه

لغير قرابته فما الحكم ؟

وقد أجاب العز عن ذلك بثلاثة أجوبة .

السادسة : فسر التقوى في أن يقدم الأحمق فالأحمق من أقاربه .

فلاحظ أن العز قد تناول هذه المسائل في تفسيره لهذه الآية وكلها

(١) انظر : تفسير الطبري (٣ : ٣٨٥) طبع المعارف والطبري (٢ : ١٠٥)

والفخر الرازي (٥ : ٦١) .

تؤخذ من الآية . أما القرطبي فقد ذكر في تفسير هذه الآية إحدى وعشرين مسألة في عشر صفحات ونصف . اشتملت على هذه المسائل بتوسع ومسائل أخرى بعضها استطراد لا يؤخذ من الآية ، من ذلك قوله في المسائل الآتية :
« التاسعة : وأجمعوا أن للإنسان أن يغير وصيته ويرجع فيما شاء منها إلا أنهم اختلفوا من ذلك في المدبر ... » ثم فصل القول في ذلك .

« العاشرة : واختلفوا في الرجل يقول لعبده : أنت حر بعد موتى وأراد الوصية فله الرجوع عند مالك في ذلك ... » الخ .

« الثالثة عشرة : ذهب الجمهور من العلماء إلى أن المريض يحجر عليه في ماله ، وشذَّ أهل الظاهر فقالوا : لا يحجر عليه وهو كالصحيح ، والحديث والمعنى يرد عليهم ... » الخ .

« الرابعة عشرة : واختلفوا في رجوع المجيزين للوصية للوارث في حياة الموصى بعد وفاته ... » الخ .

« الخامسة عشرة : فإن لم ينفذ المريض ذلك كان للوارث الرجوع فيه لأنه لم يفت بالتنفيذ قاله الأبهري ... » الخ .

« السادسة عشرة : واختلفوا في الرجل يوصي لبعض ورثته بمال ويقول في وصيته إن أجازها الورثة فهي له ، وإن لم يجزوه فهو في سبيل الله ، فلم يجزوه ؟ » الخ .

« السابعة عشرة : لا خلاف في وصية البالغ العاقل غير المحجور عليه واختلف في غيره » .

« الموافية عشرين : قال العلماء : المبادرة بكتب الوصية ليست مأخوذة من هذه الآية وإنما هي من حديث ابن عمر ... » الخ .

« الحادية والعشرون : روى الدارقطني عن أنس بن مالك قال : كانوا يكتبون في صدور وصاياهم (هذا ما أوصى به فلان بن فلان أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ...) » (١) الخ .

(١) راجع : تفسيره (٢ : ٢٥٧ - ٢٦٨) .

فهذه المسائل التي ذكرها القرطبي لا تؤخذ من الآية ، وإنما هي من السنة واجتهاد الفقهاء فحلها كتب الفقه ، لأن الأولى في التفسير أن يقصر على ما تضمنته الآية ، فالاستطرادات الكثيرة تشتت ذهن عن تدبر معنى الآية . ولهذا امتاز تفسير العز لآيات الأحكام على تفسير القرطبي ، لأن العز لا يسمح لنفسه بالاستطرادات والتوسع في بيان الأحكام الفقهية مع أنه فقيه لأن هذا يحول التفسير إلى فقه ، ويشتت ذهن القارئ عن تدبر معنى الآية .

٢ - قوله تعالى : ﴿ إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم ﴾ . [التوبة : ٦٠] .

قال العز في تفسيرها : « ﴿ للفقراء والمساكين ﴾ الفقير المحتاج العفيف عن السؤال ، والمساكين المحتاج السائل « ع » ، أو الفقير المحتاج الزمن والمساكين المحتاج الصحيح . أو الفقراء هم المهاجرون ، والمساكين غير المهاجرين . أو الفقراء من المسلمين والمساكين من أهل الكتاب . أو الفقير الذي لا شيء له لانكسار فقاره بالحاجة والمساكين له مالا يكفيه لكن يسكن إليه . أو الفقير له ما لا يكفيه والمساكين لا شيء له يسكن إليه . ﴿ العاملين ﴾ السعاة لهم ثمنها ، أو أجر مثلهم ﴿ والمؤلفة ﴾ كفار ومسلمون ، فالمسلمون منهم ضعيف النية في الإسلام فيتألف تقوية لنيته كعبيثة بن بدر والأقرع بن حابس والعباس بن مرداس ، ومنهم من حسن إسلامه لكنه يعطى تأليفاً لعشيرته من المشركين كعدي بن حاتم ، والمشركون منهم من يقصد أذى المسلمين فيتألف بالعطاء دفعاً لأذاه كعامر بن الطفيل ، ومنهم من يميل إلى الإسلام فيتألف بالعطاء ليؤمن كصفوان بن أمية . فهذه أربعة أصناف . وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يعطى هؤلاء وبعده هل يعطون فيه قولان ، لأن الله تعالى قد أعز الدين ﴿ فمن شاء فليؤمن وما شاء فليكفر ﴾ . [الكهف : ٢٩] . ﴿ الرقاب ﴾ المكاتبون ، أو عبيد يشترون ويعتقون . ﴿ الغارمين ﴾ من لزمه غرم دين ﴿ سبيل الله ﴾ الغزاة الفقراء والأغنياء ﴿ وابن السبيل ﴾ المسافر لا يجد نفقة سفره وإن كان غنياً في بلده قاله الجمهور ، أو الضيف » .

فالعز ذكر تفسير الأصناف الثمانية الذين تصرف لهم الزكاة وقد ذكر ستة

أقوال في صفة الفقير والمسكين . وهذه هي عادته فإنه يكثر من أقوال المفسرين فيذكر ستة كما هنا ، أو أكثر كما في مواضع أخرى من تفسيره .

وقد بين أصناف المؤلفات لقلوبهم الذين كان يعطيهم الرسول صلى الله عليه وسلم وهم أربعة أصناف . وهل يعطون بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر مذهبين للعلماء .

فيلاحظ أنه في تفسيره للآية لا يستطرد ولا يخرج عما تضمنته الآية . فنجد القارئ لتفسيره مشدوداً مع الآية متدبراً لها . بينما لو رجعت إلى تفسير القرطبي (٨ : ١٦٧ - ١٩٢) لهذه الآية لوجدت أنه كتب عنها ثلاثين مسألة في أربع وعشرين صفحة جمع فيها كل ما قاله الفقهاء فيمن تصرف لهم الزكاة مما دلت عليه الآية أو السنة .

ومن المسائل التي ذكرها وليست تؤخذ من الآية المسائل الآتية :

« الرابعة : وهي فائدة الخلاف في الفقراء والمساكين ، هل هما صنف واحد ، أو أكثر تظهر فيمن أوصى بثلاث ماله لفلان وللفقراء والمساكين » . الخ
« السادسة : وقد اختلفت العلماء في نقل الزكاة عن موضعها على ثلاثة أقوال » الخ .

« الخامسة والعشرون : ولا يجوز أن يعطى من الزكاة من تلزمه نفقته » الخ .

« السادسة والعشرون : فإن أعطاها لمن لا تلزمه نفقتهم فقد اختلف فيه ، فمنهم من جوزه ومنهم من كرهه . قال مالك : خوف المحمدة . وحكى مطرف أنه قال : رأيت مالكا يعطى زكاته لأقاربه » الخ .

« التاسعة والعشرون : واختلفوا في جواز صدقة التطوع لبني هاشم ... » . وهناك مسائل أخرى فيها استطرادات تركتها خشية الإطالة راجعها في تفسيره .

ومحل هذه المسائل كتب الفقه لا التفسير . فكان الأولى بالقرطبي أن يقصر تفسيره على ما يؤخذ من الآية . بينما العز قد اقتصر على ما يؤخذ من الآية فامتاز عليه في ذلك .

الإسرائيليات

الإسرائيليات هي كل ما يروى عن أهل الكتاب من قصص وأساطير تتعلق بما حدث للأولين وما جرى للأنبياء والمرسلين - ولا تخلو هذه الإسرائيليات من تناقض وكذب لأنها مأخوذة من التوراة والإنجيل ، وقد أصابهما التحريف .

وسبب دخول هذه الإسرائيليات إلى كتب التفسير هو أن التوراة والإنجيل قد اشتملا على كثير مما اشتمل عليه القرآن الكريم من قصص الأنبياء والسابقين (وذلك على اختلاف في الإجمال والتفصيل ، فالقرآن إذا عرض لقصة من قصص الأنبياء - مثلاً - فإنه ينحو فيها ناحية يخالف بها منحى التوراة والإنجيل ، فتراه يقتصر على مواضع العظة ، ولا يتعرض لتفصيل جزئيات المسائل ، فلا يذكر تاريخ الوقائع ، ولا أسماء البلدان التي حصلت فيها كما أنه لا يذكر في الغالب أسماء الأشخاص الذين جرت على أيديهم بعض الحوادث ، ولا يدخل في تفاصيل الجزئيات ، بل يتخير عن ذلك ما يمس جوهر الموضوع ، وما يتعلق بموضع العبرة) (١) .

أما التوراة والإنجيل فيذكران تفاصيل القصة وجزئياتها . لذا نجد الصحابي إذا مر على قصة من قصص القرآن يتشوف إلى معرفة ما طواه القرآن منها ولم يتعرض له ، فلا يجد من يجيبه على سؤاله سوى هؤلاء النفر الذين دخلوا في الإسلام كعبد الله بن سلام - وكعب الأحبار ووهب بن منبه .

غير أن الصحابة - رضى الله عنهم - لم يكثرُوا الأخذ عن أهل الكتاب ، بل كانوا يسألونهم عن أشياء لا تعدوا أن تكون توضيحاً للقصة وبياناً لما أجمله القرآن منها . (أما التابعون فقد توسعوا في الأخذ عن أهل الكتاب فكثرَت

(١) راجع التفسير والمفسرون لأستاذى المرحوم الدكتور الذهبي (١ : ١٦٨) .

على عهدهم الروايات الإسرائيلية في التفسير ، ويرجع ذلك لكثرة من دخل من أهل الكتاب في الإسلام ، وميل نفوس القوم لسماع التفاصيل عما يشير إليه القرآن من أحداث يهودية ونصرانية (١) ثم جاء بعد عصر التابعين من أفرط في الأخذ من الإسرائيليات إلى درجة جعلتهم لا يردون قولاً ، ويقبلون كل ما يروى ولو كان غير معقول ويلصقوا ذلك بالقرآن .

واستمر هذا الولع بنقل هذه الأخبار إلى أن جاء عصر التدوين للتفسير فوجد من المفسرين من حشوا كتبهم بهذا القصص الإسرائيلي .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « ولكن هذه الأحاديث الإسرائيلية تذكر للاستشهاد لا للاعتقاد فإنها على ثلاثة أقسام :

أحدها : ما علمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق ، فذاك صحيح .
والثاني : ما علمنا كذبه بما عندنا مما يخالفه .

والثالث : ما هو مسكوت عنه ، لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل . فلا تؤمن به ولا تكذبه ، وتجاوز حكايته لقول الرسول صلى الله عليه وسلم : (بلغوا عني ولو آية ، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ، ومن كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار) رواه البخاري عن عبد الله بن عمرو ، وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود إلى أمر ديني ، ولهذا يختلف علماء أهل الكتاب في مثل هذا كثيراً ، ويأتى عن المفسرين خلاف بسبب ذلك ، كما يذكرون في مثل هذا أسماء أصحاب الكهف ، ولون كلهم ، وعدتهم . وعصا موسى من أى الشجر كانت ، وأسماء الطيور التى أحيها الله لإبراهيم ، وتعيين البعض الذى ضرب به المقتول من البقرة . ونوع الشجرة التى كلم الله منها موسى إلى غير ذلك مما أبهمه الله في القرآن مما لا فائدة في تعيينه تعود على المكلفين في دنياهم ولا دينهم ، ولكن نقل الخلاف عنهم في ذلك جائز » (٢) .

وقد اختلفت مواقف المفسرين من هذه الإسرائيليات ، ففهم من أكثر من روايتها ، ك مقاتل بن سليمان (ت ١٥٠ هـ) في تفسيره وابن جرير الطبري

(١) راجع : المصدر السابق (١ : ١٧٥) .

(٢) راجع مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية ص ٤٥ ، ٤٦ ، وتفسير ابن كثير (١ : ٤) ..

(ت ٣١٠ هـ) فى تفسيره : (جامع البيان عن تأويل آى القرآن) والثعلبى
 (ت ٤٢٧ هـ) فى تفسيره : (الكشف والبيان عن تفسير القرآن) ومنهم من
 قلل من نقلها ، وكان على حذر منها كابن عطية (ت ٥٤١ هـ) فى تفسيره :
 (المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز) وابن كثير (ت ٧٧٤ هـ) فى تفسيره :
 (تفسير القرآن العظيم) ، والعز بن عبد السلام الذى أنا بصدد تفسيره ،
 ويهمنى أن أبين موقفه منها على وجه التفصيل .

فالعز قد نقل فى تفسيره أخباراً إسرائيلية ، ولكنه لم يكثر كبعض المفسرين ،
 وإذا نقل فإنه يختصر ما ينقله ، ويقتصر منه على ما يوضح معنى الآية ،
 ويبين ما أجمله القرآن من القصص . وقد يعقب بالرد على بعض الإسرائيليات
 التى تخالف ما عندنا مثاله :

قوله تعالى : ﴿ واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها ﴾ .
 [الأعراف : ١٧٥] .

قال العز فى تفسيرها : ﴿ آياتنا ﴾ الإسم الأعظم الذى تجاب به الدعوات ،
 أو كتاب من كتب الله - تعالى - قاله ابن عباس - رضى الله عنهما -
 أو أوتى النبوة فرشاه قومه على أن يسكت عنهم ففعل ، ولا يصح هذا » .

ذكر العز فى تفسير ﴿ آياتنا ﴾ ثلاثة أقوال إسرائيلية ، وقد رواها الطبرى
 مطولة ، ولكن العز اختصرها هنا ، وتعقب القول الثالث بالرد ، فهو غير
 صحيح - كما قال - ، لأن الله - تعالى - لا يصطفى لنبوته إلا من علم أنه
 لا يخرج عن طاعته إلى معصيته . بينما روى الطبرى هذا القول بدون تعقيب (١)

وتعقب العز على مثل هذه الأخبار التى تخالف ما عندنا نادر والغالب
 أنه يذكرها بدون تعقيب مثال ذلك :

قوله تعالى : ﴿ ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفا قال بشما خلفتمونى
 من بعدى أعجلتم أمر ربكم وألقى الألواح ﴾ . [الأعراف : ١٥٠] .

قال العز فى تفسيرها : ﴿ وألقى الألواح ﴾ غضبا لما رأى عبادة العجل

(١) راجع : تفسيره (٩ : ١٢٢) طبع الحلبي .

قاله ابن عباس - رضى الله تعالى عنهما - أو لما رأى فيها أن أمة محمد صلى الله عليه وسلم - خير أمة أخرجت للناس ، يأمرؤن بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، ويؤمنون بالله ، قال : رب اجعلهم أمتى ، قال : تلك أمة أحمد فاشتد عليه فألقاها قاله قتادة .

فهذا الخبر قد ذكره العز ولم يعقب عليه بالرد مع أن ما ورد فيه غريب جداً ، ولا يمكن صدوره من موسى - عليه السلام - لأنه يتعارض مع ما عليه الأنبياء من الخلق العظيم . وكان الأولى بالعز التنبيه على بطلان هذا الخبر ، أو استبعاده .

وقد رواه الطبرى مطولاً جداً ومختصراً ، ولم يعقب عليه (١) .
بينما ذكره ابن الجوزى (٢) والقرطبي (٣) وابن كثير ، وتعقبوه بالرد ، فقال ابن كثير : « ثم ظاهر السياق أنه إنما ألقى الألواح غضباً على قومه ، وهذا قول جمهور العلماء سلفاً وخلفاً ، وروى ابن جرير عن قتادة في هذا قولاً غريباً لا يصح إسناده إلى حكاية قتادة ، وقد رده ابن عطية وغير واحد من العلماء ، وهو جدير بالرد ، وكأنه تلقاه قتادة عن بعض أهل الكتاب ، وفيهم كذابون ووضاعون وأفاكون وزنادقة (٤) » .

كما أن العز يذكر أخباراً إسرائيلية لا تخالف ما عندنا ، ولا توافقه ، فبعضها قد يكون معقولاً ، وبعضها غير معقول فهو أشبه بالخرافة والأساطير وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود إلى أمر ديني وإليك أمثلة على ذلك :

١ - قوله تعالى : ﴿ فقلنا اضربوه ببعضها ﴾ . [البقرة : ٧٣] .
قال العز في تفسيرها : « ﴿ ببعضها ﴾ بفخذها . أو ذنبها أو عظم من عظامها . أو بعض آرابها . أو البضعة التي بين الكتفين » .

٢ - قوله تعالى : ﴿ وأوحينا إلى موسى أن الق عصاك فإذا هي تلقف ما يأفكون ﴾ . [الأعراف : ١١٧] . قال العز في تفسيرها : « ﴿ عصاك ﴾

(١) راجع : تفسيره (١٣ : ١٢٣ - ١٢٥) طبع المعارف .

(٢) راجع : تفسيره (٣ : ٢٦٤) .

(٣) راجع : تفسيره (٧ : ٢٨٨) .

(٤) راجع : تفسيره (٢ : ٢٤٨) .

هى أول آيات موسى - عليه الصلاة والسلام - من آس الجنة ، طولها عشرة أذرع بطول موسى - عليه الصلاة والسلام - فضرب بها باب فرعون ففزع فشاب فخضب بالسواد حياء من قومه ، وكان أول من خضب بالسواد قاله ابن عباس رضى الله تعالى عنهما .

٣ - قوله تعالى : ﴿ ويصنع الفلك وكلما مرَّ عليه ملاً من قومه سحروا منه قال إن تسحروا منا فإننا نسحر منكم كما تسحرون ﴾ . [هود : ٣٨]

قال العز في تفسيرها : « ﴿ ويصنع الفلك ﴾ مكث مائة سنة يغرس الشجر ويقطعها ويبيسها ، ومائة سنة يعملها ، وكان طولها ألفاً ومائتين ذراع ، وعرضها ستائة ذراع ، وكانت مطبقة ، أو طولها أربعائة ذراع وعلوها ثلاثون ذراعاً ، وعرضها مائة وخمسين ذراعاً ، وعلوها ثلاثين ذراعاً . في أعلاها الطير ، وفي أوسطها الناس وفي أسفلها السباع . ودفعت من عين وردة يوم الجمعة لعشر مضي من رجب ، ورست بباقودا على الجودى يوم عاشوراء ، وكان بابها في عرضها » .

وقد روى الطبرى عن عائشة وقتادة والحسن وابن عباس - رضى الله تعالى عنهم - أخبار سفينة نوح بنحو ما ذكره العز ، ولم يعقب عليها (١) . بينما ذكرها الفخر الرازى (٢) والألوسى وعقبا عليها بالرد ، فقال الألوسى : « وسفينة الأخبار في تحقيق الحال فيما أرى لا تصلح للركوب فيها إذ هى غير سالمة عن عيب ، فالحرى بحال من لا يميل إلى الفضول أن يؤمن بأنه - عليه السلام - صنع الفلك حسبما قص الله تعالى في كتابه ، ولا يخوض في مقدار طولها وعرضها وارتفاعها ، ومن أى خشب صنعها ، وبكم مدة أتم عملها إلى غير ذلك مما لم يشرحه الكتاب ، ولم تبينه السنة الصحيحة » (٣) .

٤ - قوله تعالى : ﴿ وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد ﴾ . [الكهف :

١٨] .

(١) راجع : تفسيره (١٥ : ٣١٠ - ٣١٦) طبعة المعارف .

(٢) راجع : تفسيره (١٧ : ٢٢٣ ، ٢٢٤) .

(٣) راجع : تفسيره (١٢ : ٤٥) والتعليق على الآية في تحقيق تفسير العز .

قال العز في تفسيرها : « (وكلبهم) من جملة الكلاب اسمه : « حمران »
أو « قطمير » ، أو هو إنسان طبّاح لهم . أو راعى » .

ففي تفسير هذه الآيات نقل العز تفصيلات إسرائيلية لا فائدة فيها تعود
إلى أمر ديني ، فكان الأولى به صون تفسيره منها ، لأنه لا يضر الجاهل بها ،
والعلم بها ليس بنافع ، فلو كان نافعاً لأخبرنا الله تبارك وتعالى بها ، ولكنه
اقتصر على ما فيه النفع فكان الأولى الوقوف عند خبر الله ، وعدم الخوض
في التفاصيل الإسرائيلية .

٥ — قوله تعالى : ﴿ وقال لهم نبيهم إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت
فيه سكينه من ربكم ﴾ [البقرة : ٢٤٨] .

قال العز في تفسيرها : « (سكينه) ريح هفافة لها وجه كوجه الإنسان .
أو طست ذهب من الجنة كان تغسل فيه قلوب الأنبياء . أو روح من الله
تتكلم » .

وقد روى هذه الأقوال الطبري الأول عن علي ، والثاني عن ابن عباس
والسدي ، والثالث عن وهب بن منبه (١) . وذكرها ابن كثير (٢) والسيوطي (٣)
ولم يعقبوا عليها بينما ذكرها الشوكاني وعقب عليها قائلا : « هذه التفاسير
المتناقضة لعلها وصلت إلى هؤلاء الأعلام من جهة اليهود أفأهم الله ، فجاءوا
بهذه الأمور لقصد التلاعب بالمسلمين — رضي الله عنهم — والتشكيك عليهم ،
وانظر إلى جعلهم لها تارة حيواناً وتارة جماداً ، وتارة شيئاً لا يعقل ، كقول
مجاهد : كهيفة الريح لها وجه كوجه الهر ، وجناحان وذنب مثل ذنب الهر ،
وهكذا كل منقول عن بني إسرائيل يتناقض ، ويشتمل على ما لا يعقل في
الغالب ، ولا يصح أن يكون مثل هذه التفاسير المتناقضة مروياً عن النبي
صلى الله عليه وسلم ولا رأياً رآه قائله ، فهم أجل قدراً من التفسير بالرأى ،
وبما لا مجال للاجتهاد فيه ، إذا تقرر لك هذا عرفت أن الواجب الرجوع في

(١) راجع : تفسيره (٥ : ٣٢٦ - ٣٢٩) طبع المعارف .

(٢) راجع : تفسيره (١ : ٣٠١) .

(٣) راجع : تفسيره « الدر المنثور » (١ : ٣١٧) .

مثل ذلك إلى معنى السكينة لغة ، وهو معروف ، ولا حاجة إلى ركوب هذه الأمور المتعسفة المتناقضة ، فقد جعل الله عنها سعة » اهـ .

٦ - قوله تعالى : ﴿ ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه ﴾ . [يوسف : ٢٤] .

قال العز في تفسيرها : « (برهان ربه) نودى أتزنى فتكون كطائر وقع ريشه فذهب يطير فلم يستطع ، أو رأى صورة أبيه يقول : أتهم بفعل السفهاء وأنت مكتوب في الأنبياء فخرجت شهوته من أنامله ، وولد لكل من أولاد يعقوب اثنا عشر ذكراً إلا يوسف لم يولد له إلا غلامين (١) ، ونقص بتلك الشهوة ولده » .

فلاحظ الخبر الثاني الذى أورده في تفسير « البرهان » ، فهو خبر إسرائيلي خرافي أسطوري ، فهل يصدق العقل أن الشهوة تخرج من الأنامل ؟ وهل خروج شهوة واحدة يسبب نقص الذرية من اثني عشر ذكراً إلى اثنين ؟

٧ - قوله تعالى : ﴿ وقد مكروا مكرمهم وعند الله مكرمهم وإن كان مكرمهم لتزول منه الجبال ﴾ . [إبراهيم : ٤٦] .

قال العز في تفسيرها : « (مكرمهم) ... وهى فيمن تجبر في ملكه وصعد مع النسر في الهواء ، قاله على وابن مسعود - رضى الله عنهما » اهـ .

فالعز قد اقتصر على هذا الجزء من الخبر الإسرائيلى ، لإيضاح معنى الآية ، وترك بقية تفاصيل الخبر اختصاراً . وقد رواه الطبرى مطولاً ، ولم يعقب عليه ، وسوف أذكر رواية الطبرى حتى يتضح وجه غرابة هذا الخبر ، وبُعده ، وعدم تصديق العقل له ، كما يتضح منهج العز في إيراد الأخبار الإسرائيلية حيث أنه يقتصر منها على ما يوضح معنى الآية .

روى الطبرى أن علياً قال في هذه الآية ﴿ وإن كان مكرمهم لتزول منه الجبال ﴾ قال : أخذ ذلك الذى حاج إبراهيم في ربه نسرين صغيرين فرباهما ، ثم استغلظا واستعلجا وشبا ، قال : فأوثق رجل كل واحد منهما بوتد إلى

(١) هكذا في الأصل ، والأصوب « إلا غلامان » لأنه استثناء مفرغ .

تابوت ، وجوعهما ، وقعد هو ورجل آخر في التابوت ، قال : ورفع في التابوت عصا على رأسه اللحم ، قال : فطارا ، وجعل يقول لصاحبه : انظر ماذا ترى ؟ قال : أرى كذا وكذا ، حتى قال : أرى الدنيا كأنها ذباب ، فقال : صوب العصا ، فصوبها فهبط (١) .

وقد ذكر هذا الخبر ابن الجوزي (٢) والقرطبي (٣) وابن كثير (٤) مطولا ، ولم يعقبوا عليه بالرد ، بينما ذكره الفخر الرازي مطولا ، وتعقبه قائلا : « قال القاضي : وهذا بعيد جداً لأن الخطر فيه عظيم ولا يكاد العاقل يقدم عليه ، وما جاء فيه خبر صحيح ، ولا حجة في تأويل الآية البتة (٥) » .

من الأمثلة السابقة يتضح منهج العز في إيراد الأخبار الإسرائيلية ، وموقفه منها . فهو لا يكثر منها كبعض المفسرين المكثرين ، وإذا ذكر شيئاً منها فيختصره ، ويقتصر منه على ما يوضح معنى الآية .

ويورد من هذه الأخبار أنواعاً مختلفة ، فيورد منها ما يخالف ما عندنا ويعقب عليه ، وغالباً ما يورده بدون تعقيب ، كما يورد منها ما تجوز حكايته ، فبعضه معقولاً كاختلافهم في البعض الذي ضرب به القتل من البقرة ، وبعضه غير معقول بل هو أشبه بالخرافة والأساطير كما في الأمثلة الأخيرة .

فكان الأولى بالعز أن يعقب بالرد على هذه الأخبار الإسرائيلية ، فيضيف بهذا إلى تفسير الماوردي إضافة نافعة مفيدة ، أو ينزه مختصره من هذه الأخبار التي لا فائدة فيها بل بعضها له أثر سيء في التفسير ، حيث يصرف القارئ عن تدبر معاني الآيات ، وما فيها من عظة وعبرة ، كما أنه يشكك القارئ فيما ورد في التفسير من تفاسير صحيحة فيظن أن الكل من واد واحد .

(١) راجع : تفسيره (١٣ : ٢٤٤) طبع الحلبي .

(٢) راجع : تفسيره (٤ : ٣٧٣) .

(٣) راجع : تفسيره (٩ : ٣٨٠) .

(٤) راجع : تفسيره (٢ : ٥٤٢) .

(٥) راجع : تفسيره (١٩ : ١٤٤) .

الترجيح والتوجيه

آيات القرآن ، منها ما هو جلي واضح ، وهذا لا يختلف في تفسيره غالباً . ومنها ما هو خفي يحتمل وجوهاً من التأويل ، فهذا يختلف العلماء في تأويله . فعلى المفسر أن يستوعب أقوال العلماء في ذلك ، ويناقشها وينبه على الراجح (١) منها ويدلل عليه ، ويرد ما عداه ، ويذكر سبب الخلاف ، وفائدته لئلا يطول النزاع والخلاف فيما لا فائدة تحته فيشتغل به عن الأهم .

(فأما من حكى خلافاً في مسألة ولم يستوعب أقوال الناس فيها فهو ناقص [يعني تفسيره] إذ قد يكون الصواب في الذي تركه ، أو يحكى الخلاف ويطلقه ولا ينبه على الصحيح من الأقوال فهو ناقص أيضاً (٢)) . والناظر في كتب التفسير يجد أن بعضها يعني بمناقشة الأقوال التي قيلت في تفسير الآية ، وترجيح الراجح والتدليل عليه ورد ما عداه ، وقد برز هذا المنهج واضحاً قوياً في تفسير الطبري ، وابن عطية ، والفخر الرازي ، بينما نجد هذا المنهج يضعف في تفاسير أخرى تسرد الأقوال سرداً دون مناقشة إلا في حالات قليلة ، كتفسير العز الذي سوف يبين البحث منهجه في الترجيح والتوجيه والتعقيب .

فالعز يستوعب الأقوال التي قيلت في تفسير الآية غالباً ، ولكنه لا يناقشها ، ولا ينبه على الراجح إلا قليلاً بقوله : هذا هو الأصح ، أو الأظهر ، أو الأشبه ، ولا يوجه ما يرجحه ويرد على ما يخالفه إلا في حالات قليلة ، وقد يعقب على بعض الأقوال وهو في ذلك متابع للماوردي . وقد يستقل عنه بتعقيب ، أو اعتراض ، ويميز ذلك بقوله : « قلت » مبالغة في الدقة والأمانة العلمية .

(١) راجع : البرهان للزركشي (٢ : ١٦٦ - ١٦٨) فقد ذكر قاعدة نافعة في الترجيح .

(٢) انظر مقدمة في أصول التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ٤٧ .

هذا ، ولم تبرز شخصية العز في تفسيره كمفسر يتناول الكثير من الأقوال بالنقد والرد ، وتارة بالترجيح والتوجيه والتعقيب ، وسوف يبين البحث الوجوه التي سلكها العز في الترجيح موضحة بالأمثلة كالاتي :

الوجه الأول : أنه يرجح بدون توجيه لما يرجحه ، مثال ذلك :

١ — قوله تعالى : ﴿ وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ . [البقرة : ١٢٥]
قال العز في تفسيرها : « (مقام إبراهيم) عرفة ومزدلفة والجمار ، أو الحرم كله ، أو الحج كله ، أو الحجر الذي في المسجد على الأصح . (مصلى) مُدَّعى يُدعى فيه ، أو الصلاة المعروفة ، وهو أظهر » .
فالعز حكى في تفسير « المقام » أربعة أقوال ، وقد رجح القول الرابع بقوله : « أو الحجر الذي في المسجد على الأصح » كما أنه حكى في تفسير « المصلى » قولين ، وقد رجح القول الثاني بقوله : « وهو أظهر » ، ولم يوجه ترجيحه بذكر الدليل على ذلك ، وكان الأولى به أن يستكمل ترجيحه بالتدليل عليه ، ولعله ترك ذلك اختصاراً .

وهو في ذكر هذه الأقوال وترجيحه متابع للطبرى ، ولكن الطبرى ذكر الدليل على ذلك الترجيح (١) .

وقد ذكر الفخر الرازى في تفسيره أقوال العلماء في تفسير « المقام والمصلى » ورجح ما رجحه العز ، واستدل على أن المقام هو الحجر الذي في المسجد بستة وجوه (٢) . كما رجح ذلك — أيضاً — القرطبي وذكر الأدلة عليه (٣) .

٢ — قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الصِّفَا وَالْمُرُوَّةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ ﴾ . [البقرة : ١٥٨]
قال العز في تفسيرها : « (الصفا) جمع صفاة ، وهى الحجارة البيض . (المروة) حجارة سود . والأظهر : أن الصفا الحجارة الصلبة التى لا تنبت ، والمروة : الحجارة الرخوة » .

(١) راجع : تفسيره (٣ : ٣٦ - ٣٨) .

(٢) راجع : تفسيره (٤ : ٤٨ ، ٤٩) .

(٣) راجع : تفسيره (٢ : ١١٢ ، ١١٣) .

فالعز ذكر في معنى (الصفا والمروة) قولين لأهل اللغة ، ورجح الثاني بقوله : « والأظهر ... » الخ .

ولم يذكر دليلاً على ذلك ، وكان الأولى به أن يستدل على ذلك بشيء من كلام العرب أو الشعر .

٣ - قوله تعالى : ﴿ أَياماً معدودات فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر ﴾ . [البقرة : ١٨٤] .

قال العز في تفسيرها : « (أياماً معدودات) هي شهر رمضان عند الجمهور . أو الأيام البيض عند ابن عباس - رضى الله تعالى عنهما - ثم نسخت برمضان ، وهي الثاني عشر وما يليه ، أو الثالث عشر وما يليه على الأظهر » .

فالعز ذكر قولين في تعيين « الأيام البيض » ، ورجح القول الثاني ، ولم يذكر دليلاً على ذلك ، بينما الماوردى (ق ١ : ٦٧ ب) ذكر الدليل على ذلك ، فقال : « وفيها وجهان ، أحدهما : أنه الثاني عشر وما يليه . والوجه الثاني أنها الثالث عشر وما يليه ، وهو أظهر الوجهين ، لأن أيام الشهر مجزأة عند العرب عشرة أجزاء كل جزء منها ثلاثة أيام تختص باسم ، فأولها ثلاث غرر ، ثم ثلاث شهب . ثم ثلاث بهر ، ثم ثلاث عشر ، ثم ثلاث بيض ، ثم ثلاث درع ... » الخ . وقد استطرد في شرح هذا الدليل بكلام طويل بلغ ثلاثة عشر سطراً ، فذكر فيه الخلاف في الهلال متى يصير قرأ .
الوجه الثاني : أنه يوجه ما يرجحه ، مثاله :

١ - قوله تعالى : ﴿ ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أمانى ﴾ [البقرة : ٧٨] .

قال العز في تفسيرها : « (أميون) قوم لم يصدقوا رسولا ولا كتاباً ، وكتبوا كتاباً بأيديهم ، وقالوا : لجهالهم : هذا من عند الله . والأظهر أن الأمي هو الذي لا يقرأ ولا يكتب ، نسب إلى أصل ما عليه الأمة من أنها لا تكتب ابتداءً ، أو أنه على ما ولدته أمه ، أو نسب إلى أمه ، لأن المرأة لا تكتب غالباً » .

فالعز ذكر قولين في تفسير « الأُمى » ، ورجح الثاني بقوله : « والأظهر أن الأُمى هو الذى لا يقرأ ولا يكتب » وقد وجه ذلك بقوله : « نسب إلى أصل ما عليه الأمة من أنها لا تكتب ابتداء » الخ .

وقد رجحه — أيضاً — الطبرى (١) والفخر الرازى (٢) والقرطبي (٣) واستدلوا عليه بقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « إنا أمة أُمية لا نكتب ولا نحسب » (٤) .

٢ — قوله تعالى : ﴿ يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه ، قل قتال فيه كبير ، وصدّ عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل ﴾ . [البقرة : ٢١٧] .

قال العز مرجحاً نسخ حكم هذه الآية : « وتحريم ذلك محكم عند عطاء منسوخ على الأصح ، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم غزا هوازن وثقيفاً ، وأرسل أبا عامر إلى أوطاس فى بعض الأشهر الحرم ، وبائع على قتال قريش بيعة الرضوان فى ذى القعدة » اهـ .

هذا الترجيح قد تابع فيه العز الطبرى (٥) وقد سبق توضيح ذلك فى الفصل الأول فى مبحث المصادر .

وفى هذا الترجيح نظر ، وذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم ما غزا هوازن وثقيفاً ابتداء وإنما سمع أنهم تجمعوا فى حين لحربه فصار لإيهم فلما انهزموا أرسل أبا عامر إلى أوطاس فى آثار من توجه منهم قبيل أوطاس . وكذلك بيعة الرضوان ما كانت ابتداء وإنما كانت لما بلغ الرسول صلى الله عليه وسلم قتل عثمان — رضى الله عنه — بمكة وأنهم عازمون على حربه بايع حينئذ المسلمين على دفعهم .

(١) راجع : تفسيره (٢ : ٢٥٩) طبع المعارف .

(٢) راجع : تفسيره (٣ : ١٣٩) .

(٣) راجع : تفسيره (٢ : ٥) .

(٤) رواه البخارى (فتح ٤ : ١٢٦ صوم : ١٣) ومسلم (٢ : ٧٦١ صوم : ٢)

والإمام أحمد فى المسند (٢ : ٤٣ حطبى) عن ابن عمر رضى الله عنه .

(٥) راجع : تفسيره (٤ : ٣١٤ ، ٣١٥) طبع المعارف .

فهذه الأدلة لا تنسخ الآية لأن من شرط النسخ التعارض ، وهذه الأدلة لا تعارض الآية بل توافقها . لأن الآية أباحت القتال عند وجود سبب أكبر يقتضيه .

٣ - قوله تعالى : ﴿ قال اجعلنى على خزان الأرض إني حفيظ عليم ﴾ . [يوسف : ٥٥] .

قال العز : « وهذا يجوز لطلب الولاية لمن هو أهل لها : فإن كان المولى ظالماً جاز تقلد الولاية منه إذا عمل الوالى بالحق لأن يوسف قبل من فرعون ، أو لا يجوز ذلك لما فيه من تولى الظالمين ومعونتهم بالتزكية وتنفيذ أعمالهم ، وإنما قبل يوسف من الملك ولاية ملكه الخاص به ، أو كان فرعون يوسف صالحاً وكان فرعون موسى طاغياً ، والأصح أن ما جاز لأهله توليه من غير اجتهاد في تنفيذه جازت ولايته من الظالم كالزكوات المنصوصة ، وما لا يجوز أن ينفردوا به كأموال النىء لا يجوز توليه من الظالم ، وما يجوز أن يتولاه أهله وللاجتهاد فيه مدخل كالقضاء فإن كان حكماً بين متراضين أو توسطاً بين مجبورين جاز ، وإن كان إلزاماً لجبار لم يحز » .

فيلاحظ أن العز ذكر قولين في تقلد الولاية من المولى الظالم : أحدهما : الجواز ، لأن يوسف قبل من فرعون ، كما دلت على ذلك الآية .

والثاني : المنع ، وقد وجه ذلك بقوله : « ولا يجوز ذلك لما فيه من تولى الظالمين ومعونتهم ... » الخ .

وأجاب عن القول الأول بجوابين .

أحدهما : إنما قبل يوسف من الملك ولاية ملكه الخاص به .

والثاني : أن فرعون يوسف كان صالحاً ، وكان فرعون موسى طاغياً .

ثم تعقب القولين ، ورجح أن المسألة ليست على الجواز مطلقاً ، أو المنع مطلقاً ، وإنما فيها تفصيل ، وقد فصل ذلك بقوله : « والأصح أن ما جاز لأهله توليه من غير اجتهاد في تنفيذه جازت ولايته من الظالم » الخ .

الوجه الثالث : أنه يتعقب بعض الأقوال مثاله :

١ - قوله تعالى : ﴿ إِنْ الصِّفَا وَالْمَرْوَةُ مِنْ شِعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جَنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا ﴾ . [البقرة : ١٥٨] .

قال العز في تفسيرها : « ﴿ فلا جناح عليه أن يطوّفَ بهما ﴾ لما كانوا يطوفون بينهما في الجاهلية تعظيماً لإساف ونائلة تخرجوا بعد الإسلام أن يضاهاوا . ما كانوا يفعلونه في الجاهلية فزلت ، وقرأ ابن عباس - رضى الله تعالى عنهما - وابن مسعود - رضى الله تعالى عنه - ﴿ فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما ﴾ فلذلك أسقط أبو حنيفة - رحمه الله تعالى - السعى . ولا حجة في ذلك ، لأن « لا » صلة مؤكدة كـ ﴿ ما منعك أن لا تسجد ﴾ . [الأعراف : ١٢] هـ .

فالعز قد ذكر قولين في « السعى » .

أحدهما : الوجوب .

والثاني : أنه لا يجب ، وهو قول أبي حنيفة محتجاً بقراءة ابن عباس وابن مسعود ، وقد تعقبه العز بقوله : « ولا حجة في ذلك ، لأن « لا » صلة مؤكدة الخ .

٢ - قوله تعالى : ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ ﴾ . [البقرة : ١٨٧] .

قال العز في تفسيرها : « (الخيط الأبيض) قال على رضى الله تعالى عنه : (الخيط الأبيض) الشمس ، قال حذيفة : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتسحر وأنا أرى مواقع النبل ، فقبل لحذيفة : بعد الصبح ، فقال : هو الصبح إلا أنه لم تطلع الشمس ، والإجماع على خلاف هذا . أو الأبيض الفجر الثاني ، والأسود سواد الليل قبل الفجر الثاني ، كان عدى يراعى خيطاً أبيض وخيطاً أسود جعلهما تحت وسادته فأخبر الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك ، فقال : إنك لعريض الوساد إنما هو بياض النهار وسواد الليل ، وكان بعضهم يربط في رجله خيطاً أبيض وخيطاً أسود ، ولا يزال يأكل

ويشرب حتى يتبيننا له ، فأنزل الله عز وجل (من الفجر) فعلموا أنه إنما
يعنى الليل والنهار » اه .

فالعز حكى قولين في تفسير (الخيط الأبيض) .

أحدهما : أن الخيط الأبيض الشمس والأسود سواد الليل ، واستدل
عليه بحديث حذيفة (١) . وتعقبه بأنه مخالف للإجماع .

والثاني : أن الخيط الأبيض الفجر الثاني ، والأسود سواد الليل ،
واستدل عليه بحديث عدى ، وسبب النزول (٢) .

وقد رجح الطبرى القول الثانى مستدلا عليه بما سبق ، وبأنه المعروف
من كلام العرب ، وأجاب على حديث حذيفة بقوله : « وأما الخبر الذى روى
عن حذيفة أن النبى صلى الله عليه وسلم ، كان يتسحر وأنا أرى مواقع النبى .
فإنه قد استثبت فيه قليل له : أبعد الصبح ؟ فلم يجب فى ذلك بأنه كان بعد
الصبح ، ولكنه قال : « هو الصبح » . وذلك من قوله يحتمل أن يكون
معناه : هو الصبح لقربه منه ، وإن لم يكن هو بعينه ، كما تقول العرب :
« وهذا فلان » شبا ، وهى تشير إلى غير الذى سمته فتقول : « هو هو » ،
تشبيهاً منها له به ، فكذلك قول حذيفة : « هو الصبح » ، معناه : هو الصبح
شبا به وقرباً منه » (٣) .

٣ - قوله تعالى : ﴿ قال اجعلنى على خزان الأرض إني حفيظ عليم ﴾ .
[يوسف : ٥٥] .

قال العز فى تفسيرها : « (خزان) الأموال . أو الطعام . أو الخزان :
الرجال ، لأن الأقوال والأفعال مخزونة فيهم . وهذا تعمق مخالف للظاهر » اه .
فالعز ذكر فى معنى (خزان) ثلاثة أقوال ، الثالث منها : أن معنى
الخزان : الرجال ، وقد وجه ذلك بأن الأقوال والأفعال مخزونة فيهم ،
وتعقب ذلك بأنه تعمق مخالف للظاهر .

(١ ، ٢) راجع : تخرىج هذه الأحاديث فى التعليق على هذه الآية فى تحقيق تفسير العز

(٣) راجع : تفسيره (٣ : ٥٢٩) طبع المعارف .

٤ - قوله تعالى : ﴿ يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد ﴾ .
[الأعراف : ٣١] .

قال العز في تفسيرها : « (خذوا زينتكم) ستر العورة في الطواف .
أو في الصلاة ، أو التزين بأجل اللباس في الجمع والأعياد . أو أراد المسشط
لتسريح اللحية ، وهو شاذ » اهـ .

فالعز ذكر أربعة أقوال في تفسير (خذوا زينتكم) وتعقب الرابع
بأنه شاذ .

والعز في تلك الوجوه متابع للهاوردي ، وقد يستقل عنه في بعض
التعقيبات ويميز ذلك بقوله « قلت » مثال ذلك : -

١ - قوله تعالى : ﴿ ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ﴾
[البقرة : ١٠٦] .

قال العز في تفسيرها : « (أو ننسها) ننسكها ، كان يقرأ الآية ثم
ينسى وترفع . أو يريد به الترك ، أى ما نرفع من آية ، أو نتركها فلا نرفعها
قاله ابن عباس - رضى الله تعالى عنهما - . قلت : وفيه إشكال ظاهر .
أو يريد به نمنحها » اهـ .

فالعز ذكر في تفسير (ننسها) ثلاثة أقوال ، الثانى منها : أن معنى
ننسها الترك : أى نتركها فلا نرفعها ، وتعقب هذا القول بأن فيه إشكال ظاهر ،
وكان الأولى به أن يبين وجه هذا الإشكال . ولعله يريد به ما استشكله الزجاج
في كتابه معانى القرآن (١ : ١٦٧) وقد نقله الطبرسى في تفسيره (١ : ٤٠٩)
ورد عليه بقوله : « والوجه الثانى وهو أن المراد بالنسيان الترك في الآية . روى
عن ابن عباس . فعلى هذا يكون المراد بـ « ننسها » نأمركم بتركها أى بترك
العمل بها قال الزجاج : إنما يقال في هذا نسيت إذا تركت ولا يقال فيه
أنسيت تركت وإنما معنى (أو ننسها) أو نتركها أى نأمركم بتركها قال أبو على :
من فسر أنسيت بترك لا يكون مخطئاً لأنك إذا أنسيت فقد نسيت ومن هذا
قال على بن عيسى إنما فسره المفسرون على ما يؤول إليه المعنى لأنه إذا أمر
بتركها فقد تركها . فإن قيل إذا كان نسخ الآية رفعها ، وتركها أن لا تنزل ،

فإن معنى ذلك، ولم جمع بينهما ؟ قيل ليس معنى تركها ألا تنزل ، وقد غلط الزجاج في توهمه ذلك وإنما معناه إقرارها فلا ترفع كما قال ابن عباس : نتركها فلا نبذلها « اهـ .

٢ - قوله تعالى : ﴿ يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات ﴾ .
[المائدة : ٤] .

قال العز في تفسيرها : « (الطيبات) الحلال وإن لم يكن مستلذاً تشبيهاً بالمستلذ . قلت وهو بعيد إذ لا جواب فيه » اهـ .

فاعترض العز وجيه ، فلا يمكن أن يكون المراد بالطيبات ههنا المحللات وإلا لصار تقدير الآية : « قل أحل لكم المحللات » وهذا لا جواب فيه ، فوجب حمل الطيبات على المستلذ (١) .

٣ - قوله تعالى : ﴿ ولتصني إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة ﴾ .
[الأنعام : ١١٣] .

قال العز في تفسيرها : « (ولتصني) تميل ، تقديره : ليغروهم غروراً ولتصني . أو اللام للأمر ، ومعناه الخبر . قلت : للتهديد أحسن » اهـ .

فالعز ذكر قولين في (اللام) من قوله تعالى (ولتصني) : الأول : أن اللام لام كى ، والعامل فيها يوحى ، تقديره : يوحى بعضهم إلى بعض ليغروهم ولتصني . . والثاني : أن اللام للأمر ، ومعناه الخبر ، وتعقبه بأن معناه للتهديد أحسن .

وقد خطأ هذا القول الفخر الرازى (٢) والقرطبي فقال : « وزعم بعضهم أنها لام الأمر ، وهو غلط ، لأنه كان يجب (ولتصغ إليه) بجذف الألف ، وإنما هي لام كى » (٣) .

٤ - قوله تعالى : ﴿ قال يا ابن أمّ لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي ﴾
[طه : ٩٤] .

(١) راجع : تفسير الفخر الرازى (١١ : ١٤٢) .

(٢) راجع : تفسيره (١٣ : ١٥٧) .

(٣) راجع : تفسيره (٧ : ٦٩) .

قال العز في تفسيرها : « (بلحيتي) أخذ شعره بيمينه ، ولحيته بيساره .
أو بلحيته وأذنه فعبر عن الأذن بالرأس ، فعل ذلك ليسر إليه نزول الألواح
عليه ، في تلك المناجاة لإرادة إخفائها على بني إسرائيل قبل التوبة . أو وقع
عنده أن هارون ما يلهم في أمر العجل . قلت : وهذا فجور من قائله ،
لأن ذلك لا يجوز على الأنبياء . أو فعل ذلك لتركه الإنكار على بني إسرائيل
ومقامه بينهم ، وهو الأشبه » اهـ .

فالعز ذكر في سبب أخذ موسى بلحية هارون ثلاثة أقوال ، فتعقب
القول الثاني بأنه فجور من قائله لأن ذلك لا يجوز على الأنبياء . ورجح
القول الثالث بقوله : وهو الأشبه .

من الأمثلة السابقة يتضح منهج العز في الترجيح والتوجيه والتعقيب ،
فهو يرجح بدون مناقشة ، وقد يناقش ، كما أنه يتعقب بعض الأقوال بالرد ،
أو الاعتراض . وهو في ذلك كله متابع للماوردي . وقد يستقل عنه بالتعقيب
على بعض الأقوال فيميز ذلك بقوله : « قلت » مبالغة في الدقة والأمانة
العلمية .

الفصل الثالث

مقارنة بين تفسيري العز

سبق في الكلام عن مؤلفات العز أن له تفسيرين :

أحدهما : اختصار تفسير الماوردي ، وهو موضوع الدراسة السابقة .
والآخر : من تأليفه ابتداء ، وهو تفسير مختصر من حيث المادة العلمية ،
ولكنه أطول من تفسيره المختصر كما سيتضح في هذه المقارنة ، لذا سميته مطولا
تميزاً له عن تفسيره المختصر .

وسوف أعقد بينهما مقارنة سريعة أبين فيها بعض الأمور التي اتفقا
فيها أو اختلفا كالآتي :

أولاً : بدأ العز تفسيره المطول بتفسير الاستعاذة والبسملة ، ثم ذكر
أسماء سورة الفاتحة وفسرها . ثم شرع في تفسير سور القرآن سورة سورة
من الفاتحة إلى سورة الناس .

أما في تفسيره المختصر ، فقد بدأ بمقدمة بين فيها أسماء القرآن ، ومعنى
السبع الطول ، والمئين ، والمثنى ، والمفصل ، والسورة ، والآية ، والأحرف
السبعة ، والإعجاز بكلام موجز .

ثم ذكر أسماء الفاتحة وفسرها ثم فسر البسملة ، ثم شرع في تفسير سور
القرآن سورة سورة من الفاتحة إلى سورة الناس .

ثانياً : في تفسيره المطول يذكر البسملة في أول كل سورة ، بينما في
تفسيره المختصر لم يذكرها إلا في أول سورة الفاتحة والكهف ومريم .

ثالثاً : في تفسيره المختصر يذكر في أول كل سورة هل هي مكية أو مدنية ، وما استنتى منها ، بينما في تفسيره المطول لا يذكر ذلك .

رابعاً : في تفسيره المختصر ذكر في معنى « ألم » تسعة أقوال ، وقد استطرّد في بيان هذه الأقوال مما جعله يستشهد بحديث ضعيف من رواية جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم على أن هذه الحروف المقطعة من حساب الجمل . وقد جره ذلك الاستطراد إلى بيان معاني « كلمات أبيجد » ، وذكر في ذلك أثراً موضوعاً على ابن عباس رضي الله عنهما وقد خرجت ذلك في تحقيقى لهذا التفسير .

بينما في تفسيره المطول ذكر خمسة أقوال في معنى « ألم » بعبارة مختصرة ، القول الأول منها لم يذكره في تفسيره المختصر .

وإليك نص عبارته في التفسيرين حتى يتضح لك ما تقدم .

قال في تفسيره المختصر : «سورة البقرة مدنية اتفاقاً إلا آية ، ﴿ وانقوا يوماً ترجعون فيه ﴾ . [٢٨١] نزلت يوم النحر بمنى في حجة الوداع . ١ - (ألم) اسم من أسماء القرآن ، كالذكر ، والفرقان أو اسم للسورة أو اسم الله الأعظم ، أو اسم من أسماء الله أقسم به وجوابه ذلك الكتاب أو افتتاح للسورة . يفصل به ما قبلها ، لأنه يتقدمها ولا يدخل في أثناءها ، أو هي حروف قطعت من أسماء ، وأفعال ، الألف من أنا ، اللام من الله ، الميم من أعلم ، معناه « أنا الله أعلم » ، أو هي حروف لكل واحد منها معاني مختلفة ، الألف مفتاح الله ، أو آلاؤه ، واللام مفتاح لطيف ، والميم مجيد أو مجده ، والألف سنة واللام ثلاثون ، والميم أربعون سنة ، آجالاً ذكرها ، أو هي حروف من حساب الجمل ، لما روى جابر قال : مر أبو ياسر بن أخطب بالنبي صلى الله عليه وسلم يقرأ (ألم) ، فأتى أخاه حُيَّ بن أخطب في نفر من اليهود ، فقال : سمعت محمداً صلى الله عليه وسلم يتلو فيما أنزل عليه (ألم) ، قالوا : أنت سمعته ؟ قال : نعم ، فشى حيي في أولئك نفر إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وقالوا : يا محمد ، ألم يذكر لنا أنك تتلو فيما أنزل عليك (ألم) ؟ قال : بلى ، فقال : أجاءك بها جبريل - عليه السلام - من عند الله تعالى قال : نعم ، قالوا : لقد بُعث قبلك أنبياء ، ما نعلمه بُين لنبي منهم

مدة ملكه ، وأجل أمته غيرك ، فقال حيي لمن كان معه : الألف واحدة ، واللام ثلاثون ، والميم أربعون ، فهذه إحدى وسبعون سنة ، ثم قال : يا محمد هل كان مع هذا غيره قال : نعم ، قال : ماذا ، قال : (المص) قال : هذه أثقل وأطول ، الألف واحدة ، واللام ثلاثون ، والميم أربعون ، والصاد تسعون ، فهذه إحدى وستون ومائة سنة ، وهل مع هذا غيره قال : نعم . فذكر (المر) فقال : هذه أثقل ، وأطول ، الألف واحدة ، واللام ثلاثون ، والميم أربعون ، والراء مائتان ، فهذه إحدى وسبعون ومئتا سنة ، ثم قال : لقد التبس علينا أمرك ، ما ندرى أقليلاً أعطيت أم كثيراً؟ ثم قاموا عنه . فقال لهم أبو ياسر : ما يدريكم لعله قد جمع هذا كله لمحمد صلى الله عليه وسلم ، وذلك سبعمائة وأربع وثلاثون سنة ، قالوا : قد التبس علينا أمره . فيزعمون أن هذه الآيات نزلت فيهم ﴿ هو الذى أنزل عليك الكتاب ﴾ [آل عمران : ٧] ، أو اعلم الله تعالى العرب لما تحدوا بالقرآن أنه مؤتلف من حروف كلامهم ، ليكون عجزهم عن الإتيان بمثله أبلغ في الحجة عليهم ، أو الألف من الله واللام من جبريل والميم من محمد صلى الله عليه وسلم أو افتتح به الكلام كما يفتتح بألا (١) أبجد : كلمات أبجد حروف أسماء من أسماء الله [تعالى] « مأثور » ، أو هى أسماء الأيام الستة التى خلق [الله تعالى] فيها الدنيا ، أو هى أسماء ملوك مدين قال :

ألا يا شعيب قد نطقتم مقالة سببت بها عمرا وحى بنى عمرو
ملوك بنى حطى وهواز منهم وسعفص أصل فى المكارم والفخر
هم صبحوا أهل الحجاز بغارة كمثل شعاع الشمس أو مطلع الفجر
أو أول من وضع الكتاب العربى ستة أنفس « أبجد ، هوز ، حطى ، كلمن ،
سعفص ، قرشت » فوضعوا الكتاب على أسمائهم ، وبقي ستة أحرف لم تدخل
فى أسمائهم ، وهى : الظا والذال ، والشين (٢) ، والغين ، والثا ، والحا ،
وهى الروادف التى تحسب بعد حساب الجمل ، قاله عروة بن الزبير .
ابن عباس : « أبجد » أتى آدم الطاعة ، وجدَّ فى أكل الشجرة ، « هوز »

(١) بعد هذا ثلاث كلمات تقريباً سقطت نتيجة قص ورقة الأصل ولم أجد لها فى (ق ١ : ١٤ ب).

(٢) لعلها « الضاد » لأن الشين دخلت فى « قرشت »

فزل آدم فهو من السماء إلى الأرض ، « حطى » فحطت عنه خطيئته
« كل من » فأكل من الشجرة ، « ومن » عليه بالتوبة « سعفص » فعصى آدم
فأخرج من النعيم إلى النكد « قرشت » فأقر بالذنب وسلم من العقوبة « اه .

وقال في تفسيره المطول : « سورة البقرة . بسم الله الرحمن الرحيم .
﴿ ألم ﴾ وسائر حروف الهجاء في أوائل السور سر من أسرار الله لا يعلمه
غيره . وقيل اسم من أسماء القرآن . وقيل مما يفتح به القرآن . وقيل قسم ،
وتحير للكافر ليسمعوا ولا يلغوا وابتلاء لتصديق المؤمن وتكذيب الكافر » (١) اه
في هذين النصين يلاحظ ما يلي :

(أ) أنه في تفسيره المختصر بين أن سورة البقرة مدنية باتفاق عدا قوله
تعالى : ﴿ واتقوا يوماً ترجعون فيه ﴾ . [٢٨١] . بينما لم يذكر ذلك في تفسيره
المطول . وهكذا جرى في جميع السور .

(ب) أنه في تفسيره المطول ذكر : « بسم الله الرحمن الرحيم » في أول
سورة البقرة . بينما في تفسيره المختصر لم يذكرها . وهكذا جرى في جميع
السور عدا الفاتحة والكهف ومريم .

(ج) أنه في تفسيره المختصر ذكر تسعة أقوال في معنى ﴿ ألم ﴾ واستطرد
في ذلك ، بينما في تفسيره المطول اقتصر على خمسة أقوال باختصار .

(د) يلاحظ في النصين أنه ذكر الأقوال بدون ترجيح كعادته في
التفسير ، فهو لا يرجح إلا قليلاً كما سبق بيانه في مبحث الترجيح .

خامساً : يلاحظ عليه في تفسيره أنه لا يفسر جميع الآيات ، فقد
يترك بعضها أو جزءاً منها بدون تفسير لوضوحها . ولكن ما يتركه في تفسيره
المختصر أكثر منه في تفسيره المطول ، لذا صار هذا التفسير أطول من ذاك ،
وإلا فهما مختصران .

سادساً : عنايته بالنحو والإعراب في تفسيره المطول بارزة بينما
لا نجد ذلك في تفسيره المختصر اللهم إلا إشارات قليلة . وإليك تفسيره لهذه
الآيات من أول سورة آل عمران ، حتى يتضح لك ما سبق .

(١) انظر : نسخة مكتبة دماذ إبراهيم (ورقة : ٢ ب) .

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم . ألم [١] الله لا إله إلا هو الحى القيوم [٢] نزل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل ﴾ [٣] ... إلى قوله تعالى : ﴿ كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآياتنا فأخذهم الله بذنوبهم والله شديد العقاب ﴾ [١١] .

قال العز في تفسيره المختصر : « سررة آل عمران مدنية اتفاقاً وهي مثناً آية .

٣ - ﴿ بالحق ﴾ بالصدق ﴿ مصدقاً لما بين يديه ﴾ يخبر عما قبله خبر صدق دال على إعجازه ، أو يخبر بصدق الأنبياء فيما أتوا به .

٧ - ﴿ محكمات ﴾ المحكم : الناسخ ، والمتشابه : المنسوخ ، أو المحكم : ما أحكم بيان حلاله وحرامه فلم يشبهه ، والمتشابه : ما اشتبهت معانيه ، أو المحكم : مالا يحتمل إلا وجهاً واحداً والمتشابه : ما احتمل أوجهاً ، أو المحكم : ما لم يتكرر لفظه ، والمتشابه ما تكرر لفظه ، أو المحكم : ما فهمه العلماء ، والمتشابه مالا طريق لهم إلى فهمه ، كقيام الساعة ، ونزول عيسى عليه الصلاة والسلام ، وطلوع الشمس من مغربها وجعله محكماً ومتشابهاً استدعاء للنظر من غير اتكال على الخبر . ﴿ أم الكتاب ﴾ آيات الفرائض والحدود ، أو فواتح السور التي يستخرج منها القرآن . ﴿ زين ﴾ ميل عن الحق ، أو شك . ﴿ ما تشابه منه ﴾ الأجل الذي أرادت اليهود [أن] تعرفه من حساب الجمل ، أو معرفة عواقب القرآن في العلم بورود النسخ قبل وقته ، أو نزلت في وفد نجران حاجوا الرسول صلى الله عليه وسلم في المسيح عليه الصلاة والسلام فقالوا للرسول : أليس هو كلمة الله تعالى وروحه ، فقال : بلى ، فقالوا : حسينا . ﴿ الفتنة ﴾ الشرك ، أو اللبس ، أو الشبهة التي حاج بها وفد نجران . ﴿ وما يعلم تأويله ﴾ تأويل جميع المتشابه ، لأن في الناس من يعلم تأويل بعضه ، أو يوم القيامة لما فيه من الوعد والوعيد . ﴿ الراسخون ﴾ الثابتون العاملون .

١١ - ﴿ كدأب آل فرعون ﴾ كعادتهم في تكذيب الحق ، أو في العقوبة على ذنوبهم « اه .

وقال العز في تفسيره المطول : « بسم الله الرحمن الرحيم . سورة آل عمران .

٢ - ﴿الحى القيوم﴾ صفة الله ، أو خبر محذوف أى هو الحى ، وكذلك ﴿نزل﴾ [٣] أى هو نزل ﴿الكتاب﴾ القرآن .

٤ - ﴿الفرقان﴾ النصر أو القرآن ، وإنما كرر لأن الكتاب لبيان أنه مما يكتب ، والفرقان لبيان أنه يفرق من الحق والباطل . ﴿عزيز﴾ منيع لا يمتنع عنه أحد ﴿ذو انتقام﴾ سطوة وانتصار .

٧ - ﴿منه﴾ من الكتاب ﴿محكمات هن﴾ بمجموعهن ﴿أم الكتاب﴾ هى التى فيها الحدود والفرائض ، وضرب ذلك مثلاً كما يقال أم القرى مكة وأم خرسان مرو أى أم لجميع الكتاب ، فوحد لفظ الأم لاتحاد لفظ الكتاب ﴿متشابهات﴾ هو ما اشتبه على اليهود حين سمعوا ﴿ألم﴾ فقالوا هذا بالجمل إحدى وسبعون فهو غاية أجل هذه الأمة فلما سمعوا ﴿الر﴾ وغيرها اشتبهت عليهم ، أو ما اشتبه على النصارى من قوله : ﴿روح منه﴾ وقيل المحكمات الناسخ ، أو ما لم تشبه معانيه ، أو ما ليس له تصريح ولا تحريف ، أو ما لا يحتمل إلا وجهاً وما لا يتكرر ألفاظه والمتشابه على أضداده ، وقيل المحكم ما فيه الفرائض والحدود أو ما فيه الحلال والحرام ﴿فى قلوبهم زيغ﴾ اليهود ، وقيل النصارى ، وقيل المنافقون وقيل الحرورية وهم الخوارج ومن تأول آية لا فى محلها ﴿والزيغ﴾ الميل عن الحق وقيل هو الشك ﴿الفتنة﴾ الضلال ، وقيل اللبس . مفهومه جواز الاتباع لا لابتغاء الفتنة ﴿تأويله﴾ قيل يوم القيامة ، وقيل عواقبه ، وقيل عمق معناه وكُنه أصله كأنه كره التعمق الذى يخرج عن حد التعليل وفائدة التأويل ، والتأويل المرجع ﴿والراسخون﴾ العلماء الذين اتقنوا علمهم وحفظوه حفظاً لا يدخلهم فيه شك ، وأصل ذلك من رسوخ الشيء وهو ثباته ودوامه ، وقيل ﴿الراسخون﴾ عطف على اسم الله أى الثابتون المحققون العلم والاجتهاد حتى رسخ فى قلوبهم ، وعليه يحمل قول ابن عباس : أنا من الراسخين . وقول مجاهد : أنا ممن يعلم تأويله ، وقيل يؤمنون به ولا يعلمون تأويله . والراسخون مبتدأ بعد وقف ﴿كل من عند ربنا﴾ المحكم والمتشابه ثناء منه عز وجل عليهم بالإيمان على التسليم واعتقاد الحقيقة بلا تكيف

٨ - ﴿لا ترغ﴾ لا تمل ﴿هديتنا﴾ للعلم بالحكم والتسليم للمتشابه ﴿رحمة﴾ بالثبوت ، وقيل تجاوزاً ، وقيل لزوماً على شرط السنة .

- ٩ - (ليوم) أى يوم القضاء وهو يوم القيامة .
- ١٠ - (من الله) أى من عذابه (وقود النار) حطبها .
- ١١ - (كدأب آل فرعون) عادتهم وسنتهم وهو خبر محذوف أى عادتهم كعادة فرعون « اه (١) » .

ففى هذين النصين يلاحظ ما يلى :

(أ) فى تفسيره المطول تطرق إلى تفسير ثمان آيات من الآيات السابقة ، بتفسير جميع الآية أو جزء منها . بينما فى تفسيره المختصر لم يفسر إلا ثلاث آيات .

(ب) فى تفسيره المختصر لم يتطرق إلى الإعراب فى هذه الآيات بينما فى تفسيره المطول تطرق إلى الإعراب فى المواضع الآتية :

١ - « (الحى القيوم) صفة الله ، أو خبر محذوف ، أى هو الحى ، وكذلك (نزل) أى هو نزل (الكتاب) القرآن » .

٢ - « وقيل : (الراخون) عطف على اسم الله ، أى الثابتون المحققون العلم والاجتهاد حتى رسخ فى قلوبهم وقيل : يؤمنون به ولا يعلمون تأويله ، والراخون مبتدأ بعد وقف » .

٣ - « (كدأب آل فرعون) عادتهم وسنتهم ، وهو خبر محذوف أى عادتهم كعادة فرعون » .

ومن أمثلة ذلك - أيضاً - قوله تعالى : ﴿ ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكْرِياً ﴾ [مريم : ٢] .

قال العز فى تفسيره المطول : « (ذكر) خبر محذوف ، أى هذا ذكر ، وفيه تقديم ، أى ذكر ربك عبده برحمته ، معنى برحمته إجابته » (٢) . ولم يذكر فى تفسيره المختصر هذه الآية .

سابعاً : أنه فى تفسيره المطول يأتى بالمادة العلمية التى فى تفسيره

(١) راجع : نسخة مكتبة دماذ إبراهيم ورقة (٢٦ - أ ، ب) .

(٢) انظر : نسخة مكتبة قطر (٢ : ١ ب) .

المختصر ، ويضيف إليها شيئاً من الإيضاح والتفصيل ، كما أنه قد يحذف منها بعض الأقوال ، وإليك مثال على ذلك :

قوله تعالى : ﴿ وَهَدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهَدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ ﴾ [٢٤] إن الذين كفروا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿ [الحج : ٢٥] .

قال العز في تفسيره المختصر :

٢٤ - (الطيب من القول) لا إله إلا الله ، أو الإيمان ، أو القرآن ، أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (صراط الحميد) الإسلام أو الجنة .

٢٥ - (المسجد الحرام) المسجد نفسه (جعلناه للناس) قبلة ومنسكاً للحج فحاضره والبادى سواء في حكم المسجد ، أو في حكم النسك ، أو أراد جميع الحرم فالخاضر والبادى سواء في الأمن فيه وأن لا يقتلا به صيداً ولا يعضداً شجراً ، أو سواء في دؤره ومنازله فليس العاكف أولى بها من البادى (بالحاد) الإلحاد : الميل عن الحق ، الباء زائدة ، قال الشاعر :

نحن بنو جعدة أصحاب الفلج نضرب بالسيف ونرجو بالفرج

(بظلم) بشرك ، أو باستحلال الحرام ، أو باستحلال الحرم تعمداً « ع » ، أو احتكار الطعام بمكة ، أو نزلت في أبى سفيان وأصحابه لما صدوا الرسول صلى الله عليه وسلم عام الحديبية « ع » (١) اه .

وقال في تفسيره المطول :

٢٤ - (وهدوا) هداهم الله في الدنيا (إلى الطيب) من القول شهادة أن لا إله إلا الله . (صراط الحميد) إضافة الشيء إلى صفته كحب الحصيد ، وقيل هو الله الحمود بكل لسان وهو طريق الجنة ، وقيل الإسلام .

٢٥ - (ويصدون) أى عام الحديبية والواو مقحمة ، وقيل لأنه فعلهم دائماً والحال مقارن الماضى فصح العطف كقوله (آمنوا وتطمئن)

(١) راجع : نسخة دار الكتب المصرية رقم (٣٢) ورقة (١١٦ - أ) .

[الرعد : ٢٨] وقيل تقديره وهم يصدون . (والمسجد الحرام) هو الحرم ، وقيل مكة ، أو ما أحاطت به حدودها . (جعلناه) نصبناه للناس وقف ، والجملة مستأنفة ، ومن لم يقف جعل الجملة حالا ، ومن جعل الجعل بصيراً جعلها مفعولاً ثانياً أى جعلناه مستوياً فيه العاكف والباد دليله قراءة سواء بالنصب ، والبادى المتاب إليه من غيره . أى فى الحرمة والتعظيم ، وقيل فى حرمة النسك ، وقيل فى المنزل حتى لا يباع ، أو فى الصلاة ، أو فى الأرض . (بإلحاد) الباء زائدة بقول الله عز وجل ومن يرد إلحاداً ، وهو أن يميل (١) فى الحرم ودخلت الباء فى إلحاد كما فى (تنبت بالدهن) . [المؤمنون : ٢٠] أو يرد صدأً بإلحاد . (بظلم) شرك ، أو استحلال حرام ، أو استحلال الحرم متعمداً ، وقيل احتكار طعام ، وقيل أى من يلجأ إليه بشرك يُقتل ، أو لا يُسقى ولا يطعم حتى يخرج منه فيقتل فى عبد الله بن خطل قتل أنصارياً فقتل متعلقاً بأستار الكعبة « (٢) اهـ .

فى هذين النصين يلاحظ ما يلى :

(أ) فى تفسيره المختصر ذكر أربعة أقوال فى تفسير (الطيب من القول) ليس بينها اختلاف ، إذ هى من باب التفسير بالمثل ، فبعضهم مثل للقول الطيب بـ « لا إله إلا الله » وبعضهم مثل له بـ « الإيمان » ... الخ ، بينما فى تفسيره المطول اقتصر على القول الأول منها .

(ب) فى تفسيره المختصر ذكر قولين فى تفسير (صراط الحميد) هما الإسلام ، أو الجنة . وقد ذكر نفس هذين القولين فى تفسيره المطول إلا أنه أضاف إلى ذلك فائدة نحوية فى معنى الإضافة فى (صراط الحميد) فذكر قولين :

أحدهما : أنها من إضافة الشيء إلى صفته .

والقول الثانى : أنها من إضافة الشيء إلى غيره ، فعلى هذا القول الحميد هو الله المحمود بكل لسان .

(١) فى هامش النسخة « يقتل » .

(٢) راجع : نسخة قطر ورقة (٢ : ٢٤ ب) .

(ج) في تفسيره المطول نقل . أربعة أقوال في تفسير : (بظلم) هي « شرك ، أو استحلال حرام . أو استحلال الحرام متعمداً وقيل احتكار الطعام » فهذه الأقوال موجودة في تفسيره المختصر بالنص تقريباً .

وقد أضاف إليها في تفسيره المطول زيادة تفصيل هي قوله : « وقيل من يلجأ إليه بشرك يقتل ، أو لا يسقى ولا يطعم حتى يخرج منه فيقتل » الخ .

(د) في بيانه لمعنى (بظلم) في تفسيره المختصر ذكر أقوالا نسب قولين منها إلى ابن عباس حيث رمز لذلك بـ « ع » وهي تعني ابن عباس كما نبه على ذلك في أول ورقة من تفسيره . بينما لم ينسب قولاً من هذه الأقوال في تفسيره المطول وقد لاحظت أثناء متابعتي لتفسيريه أن نسبته للأقوال في تفسيره المطول أقل منها في تفسيره المختصر .

(هـ) في تفسيريه قال : (بالحداد) الباء زائدة ، واستشهد على ذلك بالشعر في تفسيره المختصر ، بينما لم يفعل ذلك في تفسيره المطول وقد لاحظت أثناء المقارنة لمواضع متعددة من تفسيريه أن استشهاده بالشعر في تفسيره المختصر أكثر منه في تفسيره المطول .

(و) في تفسيره المطول تطرق إلى النحو والإعراب في قوله تعالى : ﴿ صراط الحميد ﴾ و ﴿ إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله ﴾ و ﴿ جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ﴾ ، بينما في تفسيره المختصر لم يفعل ذلك ، وهذا يؤكد ما سبق ذكره من أن عنايته بالنحو والإعراب في تفسيره المطول أكثر منها في تفسيره المختصر .

مثال آخر على إتيانه في تفسيره المطول بالمادة العلمية التي في تفسيره المختصر مع شيء من الإيضاح والتفصيل .

وهذا المثال قوله تعالى : ﴿ هل أنبئكم على من تنزل الشياطين ﴾ [٢٢١] تنزل على كل أفاك أثيم [٢٢٢] يلقون السمع وأكثرهم كاذبون [٢٢٣] والشعراء يتبعهم الغاؤون [٢٢٤] ألم تر أنهم في كل واد يهيمون [٢٢٥] وأنهم يقولون ما لا يفعلون [٢٢٦] إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله

كثيراً وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون ﴿
[الشعراء : ٢٢٧] .

قال العز في تفسيره المختصر :

٢٢٤ - (والشعراء) يعنى الذين إذا غضبوا سبوا وإذا قالوا كذبوا
(يتبعهم الغاؤون) الشياطين أو المشركون أو السفهاء ، أو الرواة « ع » .

٢٢٥ - (واديهيمون) فى كل فن من الكلام يأخذون « ع » ، أو فى كل
لغو يخوضون ، أو يمدحون قوماً بباطل ويذمون قوماً بباطل ، والهاثم
المخالف فى القصد (١) ، أو المجاوز للحد .

٢٢٦ - (يقولون ما لا يفعلون) من كذب فى شعرهم بمدح أو ذم
أو تشبيه أو تشييب .

٢٢٧ - (إلا الذين آمنوا) فإنه لا يتبعهم الغاؤون ولا يقولون ما لا
يفعلون ، ولما نزلت (والشعراء) جاء عبد الله بن رواحة وكعب بن مالك
وبكيا عند الرسول صلى الله عليه وسلم وقالوا هلكتنا يا رسول الله فنزلت (إلا الذين
آمنوا) فقرأها عليهم وقال أنتم هم (وذكروا الله) فى شعرهم ، أو فى كلامهم
(وانتصروا) بردهم على المشركين ما هجوا به المسلمين (منقلب) مصير
يصيرون إليه من النار والعذاب ، والمنقلب الانتقال إلى ضد ما هو فيه
والمرجع العود من حال هو عليها إلى حال كان فيها « (٢) » .

وقال فى تفسيره المطول :

٢٢١ - (على من نزل) بما تسرق من السماء .

٢٢٢ - (أفاك) كذاب ليوسوسه ، وقيل كاهن ، فى مسيلة وطليحة .

٢٢٣ - (يُلقون) أى تلقى الشياطين (السمع) أى المسموع إلى الكهنة
(وأكثرهم كاذبون) فيما يخبرون يزيد إلى الكلمة فيما يلقى إليه أكثر من مائة
كذبة دليل على أن قليلا منهم كان مسترقاً .

(١) فى الأصل « العقد » ولعله خطأ من الناسخ ، والصواب ما أثبتته كافى فى تفسيره المطول ،
وتفسير الطبرسى (١٩ : ١٩٠) .

(٢) انظر : نسخة دار الكتب المصرية ورقة (١٢٩ - أ ، ب) .

٢٢٤ - (الغاؤون) أهل البغي (١) والضلال لا أهل الرشد والهدى .
وهم الشياطين وقيل رواتهم ، وقيل السفلة والبطلة ، وقيل المشركون يتبعون
شعراءهم وقيل السفهاء .

٢٢٥ - (واد ييمون) فن من الكذب يتحدثون أو في كل لغو
وباطل يخوضون ، وقيل يسبون ويمدحون باطلا ، والهاثم الذاهب على وجهه ،
أو المخالف لقصده ، في عبد الله بن الزبعرى وهيرة بن وهب ومسافع
ابن عبد مناف وأمية بن الصلت .

٢٢٦ - (يقولون ما لا يفعلون) في ابن عودة الجهمي حيث قال :
ألا أبلغا عنى النبي محمداً بأنك حق والمليك حميداً
ولكن إذا ذكرت بدرأ وأهلها تأوه مني أعظم وجلود
وقيل ما يذكرونه من الكذب في المدح والتفاخر والغزل والشجاعة ،
وأما الاستعارة في التشبيهات فآذون فيها وإن تجاوزت الحد ، وقد أنشد
كعب بن زهير رسول الله صلى الله عليه وسلم « بانت سعاد » ، وفيها من الاستعارات
والتشبيهات حتى في تشبيه ريقها بالراح ، وقد كانت حرمت ولكن تحريمها
لم يمنع عندهم طيبها بل تركوها مع الرغبة فيها والاستحسان لها وكان ذلك
أعظم لأجورهم .

٢٢٧ - (آمنوا وعملوا الصالحات) من شعراء رسول الله صلى الله عليه
وسلم كحسان وكعب بن مالك وكعب بن زهير . (وذكروا الله) في شعرهم
وكلامهم . (وانتصروا) ممن هجأهم من المشركين . (وسيعلم الذين ظلموا)
بشركتهم من أهل مكة . (منقلب) ينقلبون مرجع يرجعون إليه بعد مماتهم ،
وهو جهنم أعادنا الله تعالى برحمته منها وزحزحنا بفضلله عنها » (٢) اهـ .

فيلاحظ في النصين أن المعلومات فيهما واحدة إلا أنها في النص الثاني
مفصلة وموضحة أكثر مع اختلاف في صياغة العبارة ، واتفاق في طريقة
العرض والأسلوب كما يلاحظ أن النص الثاني قد زاد على الأول بتفسير الثلاث

(١) في هامش النسخة « ح الفى » .

(٢) انظر : نسخة مكتبة قطر (٢ : ٥٧ ب ، ٥٨ - أ) .

الآيات الأولى . وهذا يؤكد ما سبق تقريره من أن العز في تفسيره المطول .
يتطرق لتفسير آيات لم يفسرها في تفسيره المختصر .

خلاصة هذه المقارنة :

قد أجرى البحث المقارنة على نماذج من سور متعددة من تفسيري العز ،
هي سورة البقرة وآل عمران ومريم والحج والشعراء .

وقد تبين من هذه المقارنة أن التفسيرين يتفقان في الاختصار والعناية
بالتفسيرات اللغوية لمفردات الآية ، وإيراد الأقوال الكثيرة التي قيلت في
معنى الآية كما أنهما يتركان بعض الآيات أو جزءاً منها بدون تفسير لوضوحه ،
ويتفقان في أكثر المادة العلمية وطريقة العرض والأسلوب ، فلا يشك القارئ
لها أنهما لشخص واحد .

ويختلفان في أن تفسيره المختصر قد اشتمل على مقدمة ، وبيان لكل سورة
هل هي مكية أو مدنية ؟ بينما لم يشتمل تفسيره المطول على ذلك ، وقد انفرد
بالبسملة في أول كل سورة ، بينما اقتصر في تفسيره المختصر عليها في أول
سورة الفاتحة والكهف ومريم . وهو في تفسيره المطول أكثر عناية بالنحو
والإعراب ، كما أنه في تفسيره المختصر أكثر استشهاداً بالشعر ، وأجمع
للأقوال والله أعلم .

الخاتمة

القيمة العلمية لتفسير العز المختصر

إن إظهار القيمة العلمية لأي عمل هو جانب من أهم جوانب دراسته ، وركن كبير من أركان البحث فيه ، ونتيجة هامة من نتائج هذه الدراسة ، لذا كان من الضروري أن ينتهى البحث عن منهج العز فى تفسيره ببيان قيمته العلمية بذكر ما امتاز به ، وما أخذ عليه .

والذى يتصدى لتقويم تفسير العز لابد أن يكون على مستواه أو أعلى منه ، وأنا أستغفر الله فلست من هذا ولا ذاك . وإنما أنا طالب علم عاش مع هذا التفسير مدة من الزمن ، فلاحته له ميزات وغيرها فأراد أن يقدمها إتماماً لمنهج البحث وقياماً بواجب العلم وإظهاره ، وخوفاً من الوقوع فى إثم كتمانها الذى حذر منه الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله : « ما من رجل يحفظ علماً فيكتمه إلا أتى به يوم القيامة ملجأ بلجأ من النار » (١) .

أعاذنى الله وإياكم من النار ، فأقول وبالله التوفيق :

(أ) ما امتاز به :

١ - يمتاز بأنه يوجه بعض القراءات المخالفة للغة المشهورة المستعملة ، كما أنه قد يعقب بالرد على بعض المطاعن الموجهة لبعض القراءات ، وقد سبق توضيح ذلك بالأمثلة فى مبحث القراءة .

(١) أخرجه بن ماجة (١ : ٩٦ ، مقدمة : ٢٤) عن أبي هريرة رضى الله عنه بهذا اللفظ ، وأخرجه الترمذى (٥ : ٢٩ ، علم : ٣) والإمام أحمد فى المسند (٢ : ٢٦٣) حلى . كلاهما عن أبي هريرة بلفظ : « من سئل عن علم ثم كتمه ألبم يوم القيامة بلجأ من نار » وحسنه الترمذى .

٢ — يمتاز باختصاره لبعض الأسباب التي أطال فيها الماوردى ، فيعبر عنها بعبارة موجزة تتضمن ما ذكره الماوردى ، أو يقتصر منها على ما يناسب الآية .

وقد سبق توضيح ذلك بالأمثلة في مبحث أسباب النزول .

٣ — يمتاز بأنه يستوعب أقوال السلف والخلف التي قيلت في تفسير الآية غالباً ، ولكنه لا يناقشها ، ولا ينبه على الراجح إلا قليلاً .

وقد مضى توضيح ذلك بالأمثلة في مبحث الترجيح والتوجيه .

٤ — يمتاز بأنه يعنى بالتفسيرات اللغوية ، فيذكر أصول الكلمات التي اشتقت منها ، ويربط بينها وبين المعنى المراد من الكلمة في الآية ، كما أنه يذكر الفروق بين الكلمات المتقاربة في اللفظ أو المعنى ويشير إلى بعض الوجوه النحوية ويوضح ذلك كله بالأمثلة الدقيقة التي تجعل المعنى محسناً ، ويستشهد على ذلك بالشعر .

وقد أكثر الماوردى من الشواهد الشعرية في تفسيره ، ولكن العز اقتصر على القليل منها .

وقد مضى توضيح ذلك بالأمثلة في مبحث اللغة والنحو .

٥ — يمتاز بأنه يعنى بآيات الأحكام ، ويفسرها ، ويذكر أقوال العلماء في بيان معناها ، ويذكر الأحكام الفقهية التي تدل عليها ، ولا يستطرد في التفاصيل والفروع الفقهية التي لا تؤخذ من الآيات ، لأن محلها كتب الفقه ، وذكرها في كتب التفسير يصرف القارئ عن تدبر معنى الآية ، وما فيها من عظة وعبرة .

وقد سبق توضيح ذلك بالأمثلة في مبحث الأحكام الفقهية .

٦ — يمتاز بأنه قد يعقب بالرد على بعض الأخبار الإسرائيلية ، وأنه لا يكثر منها كبعض المفسرين المكثرين ، وإذا ذكر شيئاً منها فيختصره ، ويقتصر منه على ما يوضح معنى الآية .

وقد مضى التمثيل على ذلك في مبحث الإسرائيليات .

٧ - يمتاز بأنه ينبه على المكى والمدنى من كل سورة قبل أن يبدأ في تفسيرها .

٨ - يمتاز بأنه نزه تفسيره من أحاديث فضائل السور التي وضعها نوح ابن أبي مريم وغيره حسبة لله تعالى . وقد تورط فيها بعض المفسرين كالثعلبي والواحدى والزنجشري والنسفي والبيضاوى وأبى السعود .

(ب) ما يؤخذ عليه :

١ - قلة عنايته بالقراءة ، فهو يذكر لفظها ومعناها ولا يبين أنها قراءة ، ولا ينسبها إلى من قرأ بها ، إلا في حالات قليلة ، كما أنه قد يكتفى بذكر تأويل القراءة دون الإشارة إليها ، ويذكر قراءات شاذة ، ولا ينبه على ذلك ، ويذكر بعض المطاعن الموجهة لبعض القراءات ، ولا يعقب عليها بالرد ، وقد سبق توضيح ذلك بالأمثلة في مبحث القراءة . والماوردي أكثر عناية منه بالقراءة فهو يذكرها ويوجه معناها وينسبها إلى من قرأ بها غالباً .

٢ - أنه لا يخرج الأحاديث التي يذكرها ، وهذا يجعل من لا خبرة له بذلك حائراً لا يعرف الحديث الصحيح من الضعيف ، ومعرفة ذلك لازمة لأنه لا يقبل الاحتجاج بالحديث ولا الاستدلال به حتى يعرفُ مُخرجه من الأئمة الأعلام ودرجته من الصحة والضعف .

كما أنه لا يذكر اسم الصحابي الذي رواه غالباً .

وقد قمت بذكر راوى الحديث من الصحابة والتابعين ، وعزوه إلى من أخرج من أصحاب الكتب الستة وغيرهم ، والإشارة إلى موضعه من هذه الكتب ، وتضعيف المحدثين له إن كان ضعيفاً .

كما أنه يذكر أحاديث وأسباب نزول ضعيفة ، ولا ينبه على ضعفها . ومن أمثلة ذلك ما يلي :

المثال الأول :

ما ذكره في سبب نزول قوله تعالى : ﴿ ولله المشرق والمغرب فأينا تولوا
فثم وجه الله ﴾ . [البقرة : ١١٥] .

قال : « في قوم من الصحابة خفيت عليهم القبلة فصلوا إلى
جهات مختلفة ، ثم أخبروا الرسول صلى الله عليه وسلم فنزلت » اهـ .
فهذا السبب رواه عامر بن ربيعة ، وقد أخرجه عنه الترمذى وغيره ،
وضعفه (١) .

المثال الثانى :

ما ذكره في تفسير قوله تعالى : ﴿ وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن ﴾
[البقرة : ١٢٤] .

قال : « قال الرسول صلى الله عليه وسلم : ألا أخبركم لم سمي الله
تعالى إبراهيم خليله ﴾ الذى وفى ﴾ . [النجم : ٣٧] ؟ لأنه كان يقول كلما
أصبح وأمسى ﴿ فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون ﴾ . [الروم : ١٧ ،
١٨] إلى قوله : ﴿ تُظهرون ﴾ . أو قول الرسول صلى الله عليه وسلم :
أتدرون ما (وفى) ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : وفى عمل يومه أربع
ركعات فى النهار » اهـ .

فالحديثان رواهما الطبرى وضعفهما (٢) .

المثال الثالث :

ما ذكره في سبب نزول قوله تعالى : ﴿ إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم
ثمناً قليلاً أولئك لا خلاق لهم فى الآخرة ﴾ . [آل عمران : ٧٧] .
قال : « ... فى الأشعث نازع خصماً فى أرض فقام ليحلف فنزلت ،
فنكل الأشعث واعترف بالحق » اهـ .

(١) راجع : تفاصيل ذلك فى التعليق على الآية فى تحقيق تفسير العز .

(٢) راجع : تفسيره (٣ : ١٥ ، ١٦) طبع المعارف والتعليق على الآية فى تحقيق

تفسير العز .

فهذا السبب رواه الطبري (١) عن ابن جريج مرسلًا ، ورغم إرساله فهو مخالف للرواية الصحيحة التي رواها الشيخان وغيرهما عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه .

وكان الأولى بالعز أن يذكر الرواية الصحيحة .

راجع تفاصيل ذلك في التعليق على هذه الآية في تفسير العز .

المثال الرابع :

ما ذكره في سبب نزول قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ . [المائدة : ٥٥] قال : (وهم راکعون) نزلت في عليّ - رضي الله عنه - تصدق وهو راکع « اهـ .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « وحديث على الطويل في تصدقه بخاتمة في الصلاة فإنه موضوع باتفاق أهل العلم » (٢) .

٣ - أنه يذكر حوادث مدنية أسباباً لنزول آيات مكية وقد مضى توضيح ذلك بالأمثلة في مبحث أسباب النزول عند الكلام على قوله تعالى : ﴿ لَا تَمْدَن عَيْنُكَ إِلَى مَا مَتَعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ ﴾ . [الحجر : ٨٨] .

وقوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ ﴾ . [النحل : ٢٨]

كما أنه يعبر بقوله : نزلت الآية في كذا ويريد به معنى الآية ، وهذا الاستعمال مخالف لاصطلاح المفسرين المتأخرين ، لأنه يعني عندهم أن هناك حادثة نزلت الآية بسببها مع أن ما يذكره العز ليس حادثة وإنما إيضاح معنى ، وكان الأولى به أن يستعمل في ذلك : « معني بالآية كذا » فإنه أدق في تحديد المراد .

وقد سبق توضيح ذلك بالأمثلة في مبحث أسباب النزول عند الكلام

(١) راجع : تفسيره (٦ : ٥٣١) طبع المعارف .

(٢) راجع : مقدمته في أصول التفسير ص ٣٣ وراجع تفاصيل تخریج الحديث في التعليق على الآية في تحقيق تفسير العز .

على قوله تعالى : ﴿ وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ﴾ [البقرة : ١١] .

وقوله تعالى : ﴿ ومن أظلم ممن منع مساجد الله ﴾ . [البقرة : ١١٤] ،
وقوله تعالى : ﴿ واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ﴾ . [الأنفال : ٢٥] .

وقوله تعالى : ﴿ وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ﴾ . [النحل : ١٢٦]
٤ - أنه يذكر أخباراً إسرائيلية فيها ما يخالف ما عندنا ، ولا يعقب عليها بالرد غالباً ، كما أنه يذكر أخباراً إسرائيلية غير معقولة ، فهي من باب الخرافة والأساطير ، وهو لا يكثر من ذلك . وكان الأولى به أن يعقب بالرد على هذه الأخبار ، فيضيف بذلك إلى تفسير الماوردي إضافة نافعة مفيدة ، أو ينزه مختصره من هذه الأخبار التي لا فائدة فيها بل بعضها له أثر سيء في التفسير . راجع تفاصيل ذلك والأمثلة عليه في مبحث الإسرائيليات .

٥ - أنه لم تبرز شخصيته في تفسيره كمفسر يتناول الكثير من الأقوال بالنقد والرد ، وتارة بالترجيح والتوجيه والتعقيب فترجيحاته وتعقيباته قليلة راجع تفاصيل ذلك والأمثلة عليه في مبحث الترجيح والتوجيه .

كما أنه لم يعقب على الأقوال الاعتزالية التي أوردها الماوردي في تفسيره ، بل نقلها كما هي ، ووقف منها موقفاً سلبياً ، وحذف نسبة كثير منها إلى قائله مما جعل الأمر ملتبساً .

كما أنه حذف نسبة كثير من الأقوال التي نسبها الماوردي إلى قائلها . وكان الأولى به أن ينسبها ، لأن نسبة القول إلى قائلة تحقيق له وتوثيق .

٦ - يلاحظ عليه أنه أورد حديثاً ظاهره التعارض مع تفسيره للآية ولم يجب عليه . وذلك عند تفسير قوله تعالى : ﴿ استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله ﴾ . [التوبة : ٨٠] .

فقال : « (استغفر لهم أو لا تستغفر لهم) آيسه من الغفران لهم . (سبعين مرة) ليس بحد لوجود المغفرة بما بعدها ، والعرب تبالغ بالسبع والسبعين ،

لأن التعديل في نصف العقد ، وهو خمسة فإذا زيد عليه واحد كان لأدنى المبالغة ، وإن زيد عليه إثنان كان لأقصى المبالغة ، وقيل للأسد سبع ، لأن قوته تضاعفت سبع مرات ، قاله علي بن عيسى ، وقال الرسول صلى الله عليه وسلم : سوف أستغفر لهم أكثر من سبعين فنزلت ﴿ سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم ﴾ . [المنافقون : ٦] فكف « هـ .

فقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « سوف أستغفر لهم أكثر من سبعين » يتعارض مع معنى الآية ، لأن المراد بها المبالغة في عدم المغفرة لهم حتى ولو استغفر لهم سبعين مرة أو أكثر .

وهذا الحديث قد رواه الطبري (١) عن ابن عباس رضى الله عنهما ، وقد روى نحوه البخارى (٢) ومسلم (٣) والطبري عن ابن عمر عن عبد الله بن عبد الله بن أبي في قصة وفاة ابن أبي وصلاة النبي صلى الله عليه وسلم عليه حيث قال : « إنما خيرني الله قال : (استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة) وسأزيده على السبعين ... » الحديث .

وقد طعن بعض العلماء في هذا الحديث فقال أبو بكر الباقلاني في «التقريب» هذا الحديث من أخبار الآحاد التي لا يعلم ثبوتها (٤) ، لأنه يتعارض مع معنى الآية .

والصواب أن هذا الحديث صحيح فقد أخرجه الشيخان وغيرهما . ولكن الذى رواه عن ابن عمر قد اقتصر على جزء من الحديث فجاء معارضاً للآية ، ولو أضفنا إليه الجزء المكمل من رواية أخرى للبخارى ومسلم وغيرهما لزال ذلك التعارض .

وهذه الرواية عن ابن عباس عن عمر بن الخطاب رضى الله عنهم في قصة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم على ابن أبي جاء في آخرها قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « لو أعلم أنى إن زدت على السبعين يغفر له لزدت عليها »

(١) راجع : تفسيره (١٤ : ٣٩٦ ، ٣٩٧) طبع المعارف .

(٢) راجع : فتح البارى (٨ : ٣٣٣ تفسير) .

(٣) راجع : صحيحه (٤ : ٢١٤١ صفات المنافقين : ٣) .

(٤) راجع : فتح البارى (٨ : ٣٣٨) .

فهذه الرواية مكتملة للرواية الأولى ، والأحاديث يكمل بعضها بعضاً ويبينه ويقيده . راجع تفاصيل ذلك وتخرج هذه الأحاديث في التعليق على هذه الآية في تحقيق تفسير العز .

٧ - أنه يذكر معنى الكلمة من الآية ، ولا يذكر هذه الكلمة ، وفي هذا لبس على القارئ . مثال ذلك :

المثال الأول

قال العز : « ووجد موسى في اليم بين الماء والشجر فسمى لذلك موسى ، مو : هو الماء ، وسا : هو الشجر » اهـ .

وهذا تفسير لإسم « موسى » عليه السلام من قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ وَاَعْدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۚ ﴾ [البقرة : ٥١] فكان الأولى به أن يذكر هذه الآية حتى يتضح مراده .

المثال الثاني

قال العز : « نغفرها بسترها عليكم فلا نفضحكم ، من الغفر وهو الستر ، ومنه بيضة الحديد : مغفر » اهـ .

فهذا التفسير لقوله تعالى : ﴿ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ ۚ ﴾ [البقرة : ٥٨] . فكان الأولى به أن يذكر هذا اللفظ من الآية حتى يتضح ما يعنيه من تفسيره .

المثال الثالث

قال العز : « المسلم : الذي استسلم لأمر الله وخضع له » اهـ .
فهذا تفسير لقوله تعالى : ﴿ وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ ۚ ﴾ [البقرة : ١٢٨] . فكان الأولى به أن يذكر اللفظ الذي فسرته من الآية .

هذا ما ظهر لي من ميزات تفسير العز وغيرها . والله أعلم . والحمد لله رب العالمين وصلى الله على خاتم الرسل وآله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً .

فهرست المراجع

(أ)

- ١ - الإبانة عن أصول الديانة لأبي الحسن الأشعري (ت ٥٣٣٠ هـ) -
المطبعة المنيرية بمصر - ط : ١ - ١٣٤٨ هـ .
- ٢ - الإتيقان في علوم القرآن للسيوطي (ت ٩١١ هـ) - طبع مصطفى
الحلبي بمصر - ط : ٣ - ١٣٧٠ هـ - ١٩٥١ م .
- ٣ - أجوبة على استشكالات وقعت للعز بن عبد السلام لمحمد بن أحمد
ابن عبد الهادي (ت ٧٤٤) - خ - بدار الكتب المصرية
برقم (٢٩٧) تيمورية وقد نشره د. رضوان الندوى في ملحق
ضمن كتاب العز « فوائد في مشكل القرآن » وقد اعتمد على
نسخة بعنوان « كشف الإشكالات عن بعض الآيات » ليس
عليها اسم المؤلف .
- ٤ - أحكام القرآن لابن العربي (٤٦٨ - ٥٤٣ هـ) تحقيق على محمد
البجاوى - أربعة أقسام - طبع عيسى الحلبي بمصر .
- ٥ - أحكام القرآن لأبي بكر أحمد الرازي الجصاص (ت ٣٧٠ هـ)
بتحقيق محمد الصادق قمحاوى. مطبعة عبد الرحمن محمد بمصر - ط : ٢ .
- ٦ - الأدب في العصر الأيوبي للدكتور محمد زغلول سلام - طبع
دار المعارف بمصر - ١٩٦٨ م .
- ٧ - أدب القاضي لأبي الحسن الماوردى (ت ٤٥٠ هـ) تحقيق
محي هلال السرحان - مطبعة الإرشاد - بغداد : ١٣٩١ هـ -
١٩٧١ م .

- ٨ - أسباب نزول القرآن للواحدى (ت ٤٦٨ هـ) تحقيق أحمد صقر -
 طبع دار الكتاب الجديد بمصر - ط : ١ سنة ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م
- ٩ - أسباب النزول للسيوطى (ت ٩١١ هـ) طبع دار التحرير
 بالقاهرة . سنة ١٣٨٢ هـ .
- ١٠ - أسباب النزول لعبد الله إبراهيم الوهيبى بحث حصل به على درجة
 الماجستير من كلية أصول الدين - جامعة الأزهر الشريف -
 مطبوع بالاستنسل - ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٤ م .
- ١١ - الإسلام والحضارة العربية لمحمد كرد على - طبع لجنة التأليف
 والترجمة - القاهرة - ط : ٣ - ١٩٦٨ م .
- ١٢ - الإشارة إلى الإيجاز فى بعض أنواع المجاز للعز بن عبد السلام
 (ت ٦٦٠ هـ) - طبع دار الفكر بدمشق .
- ١٣ - الأعلام للزركلى : عشرة أجزاء - القاهرة - ط : ٢ - ١٩٥٤ -
 ١٩٥٩ م .
- ١٤ - أعلام النبوة للماوردى (ت ٤٥٠ هـ) دار الكتب العلمية - بيروت .
- ١٥ - أمالى شيخنا العز . توجد منه خمس نسخ خطية - منها نسختان
 بالمتحف البريطانى برقم (٧٧١٣ - ٥٧٠) ورقم (٩٦٩١ - Add)
 ونسخة ثالثة بدار الكتب المصرية برقم (٧٧) م تفسير ،
 ونسخة رابعة فى مكتبة المتحف العراقى برقم (٨٧٥٤) ونسخة
 خامسة فى مكتبة كوبريللى باستنبول برقم (٤٤) .
- ١٦ - الإمام فى بيان أدلة الأحكام للعز بن عبد السلام (ت ٦٦٠ هـ)
 - خ - بمكتبة جامعة استنبول برقم (١١٩٧) .
- ١٧ - الإمام أبو الحسن الماوردى للدكتور محمد سليمان وفؤاد
 عبد المنعم أحمد .
- ١٨ - الإمام الماوردى وأثره فى الفقه الدستورى رسالة دكتوراه
 للباحث محمد بن على الغلايين من كلية الشريعة والقانون جامعة
 الأزهر - طبعة بالاستنسل - ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م :

- ١٩ - الإمام العز بن عبد السلام وأثره في الفقه الإسلامى رسالة دكتوراه
لعلى مصطفى الفقير من كلية الشريعة والقانون - جامعة الأزهر
الشريف - طبع بالاستنسل .
- ٢٠ - الانتصاف لابن المنير الاسكندرى مطبوع بذييل تفسير الزمخشري .
- ٢١ - النسخ في القرآن الكريم للدكتور مصطفى زيد - جزءان - طبع
دار الفكر بيروت - ط : ٢ - ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م .
- ٢٢ - أوضح المسالك لابن هشام - وقد شرحه محمد النجار - وسمى
شرحه « منار السالك إلى أوضح المسالك » يقع في جزأين .
مطبعة الفجالة الجديدة بمصر .
- ٢٣ - إيضاح الكلام فيما جرى للعز بن عبد السلام (ت ٦٦٠ هـ)
في مسألة الكلام لابنه عبد اللطيف (ت ٦٩٥ هـ) - طبع دار
الأنوار بمصر - ١٣٧٠ هـ .
- ٢٤ - الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه لمكي بن أبي طالب (ت ٤٣٧ هـ)
تحقيق د. أحمد حسن فرحات - طبع جامعة الإمام محمد بن سعود
الإسلامية - الرياض - ط : ١ - ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م .

(ب)

- ٢٥ - بدائع الزهور في وقائع الدهور لابن إياس (ت ٩٣٠ هـ)
- طبع عيسى الحلبي بمصر - ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م .
- ٢٦ - البداية والنهاية لابن كثير (ت ٧٧٤ هـ) ط : ١ سنة ١٩٦٦ م
- مكتبة المعارف - بيروت ، ومكتبة النصر - الرياض .
- ٢٧ - بديع القرآن لابن أبي الإصبع المصرى (٥٨٥ - ٦٥٤ هـ)
بتحقيق حنفي محمد شرف - طبع دار نهضة مصر بالقاهرة . ط : ١
- ٢٨ - البرهان في علوم القرآن للزركشى (٧٤٥ - ٧٩٤ هـ) - أربعة
أجزاء - طبع عيسى الحلبي بمصر - ط : ٢ - ١٣٩١ هـ - ١٩٧٢ م

(ت)

- ٢٩ - تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة (٢١٣ - ٢٧٦ هـ) - تحقيق السيد أحمد صقر - الناشر دار التراث بالقاهرة - ط : ٢ - ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م .
- ٣٠ - تاريخ الأدب العربي لبروكلمان - طبعة برل - ليدن - باللغة الألمانية - ترجم لي ما يتعلق بالغز ومؤلفاته الأستاذ المرحوم رشاد عبد المطلب سكرتير معهد المخطوطات العربية بجامعة الدول العربية - بالقاهرة .
- ٣١ - تخريج أحاديث تفسير الزمخشري لابن حجر (ت ٨٥٢ هـ) مطبوع بهامش تفسير الزمخشري - طبع الاستقامة بالقاهرة - ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م .
- ٣٢ - ترغيب أهل الإسلام في سكنى الشام للغز بن عبد السلام تحقيق أحمد سامح الخالدي الديري - المطبعة التجارية بالقدس - ط : ١ - ١٣٥٩ هـ - ١٩٤٠ م .
- ٣٣ - تفسير الألوسي (١٢٧٠ هـ) : « روح المعاني » - الطبعة المنيرية بمصر - ط : ٢ .
- ٣٤ - تفسير البغوى (ت ٥١٦ هـ) : « معالم التنزيل » - مطبوع بهامش تفسير الخازن - طبع مصطفى الحلبي بمصر - ط : ٢ - ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٥ م .
- ٣٥ - تفسير التُسْتَرى (ت ٢٨٣ هـ) - مطبعة السعادة بمصر - ط : ١ - ١٣٢٦ هـ - ١٩٠٨ م .
- ٣٦ - تفسير ابن الجوزى (٥٠٨ - ٥٩٧ هـ) : « زاد المسير في علم التفسير » - تسعة أجزاء - طبع المكتب الإسلامى بدمشق - ط : ١
- ٣٧ - تفسير الخازن (ت ٧٢٥ هـ) : « لباب التأويل في معاني التنزيل » - طبع مصطفى الحلبي بمصر - ط : ٢ - ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٥ م .
- ٣٨ - تفسير الزمخشري (ت ٥٢٨ هـ) تحقيق مصطفى حسين أحمد

- أربعة أجزاء — مطبعة الاستقامة بالقاهرة — ط : ١ — ١٣٦٥ هـ — ١٩٤٦ م .
- ٣٩ — تفسير أبي السعود (ت ٩٥١ هـ) : إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم — طبع عبد الرحمن محمد بمصر .
- ٤٠ — تفسير السلمى (ت ٤١٢) : حقائق التفسير — رسالة ماجستير للباحث نصيف جاسم التكريتي من جامعة القاهرة وقد قام بتحقيقه في (١٦١٣) صفحة — مطبوع بالاستنسل — ١٣٩٥ هـ — ١٩٧٥ م .
- ٤١ — تفسير الشوكاني (ت ١٢٥٠ هـ) : فتح القدير — خمسة أجزاء — طبع مصطفى الحلبي بمصر .
- ٤٢ — تفسير الطبرسي (ت ٥٤٨ هـ) : مجمع البيان — ٣٠ جزءاً — الناشر دار الفكر ودار الكتاب اللبناني — بيروت — ١٣٧٦ هـ — ١٩٥٧ م .
- ٤٣ — تفسير الطبري (ت ٣١٠ هـ) : جامع البيان عن آي القرآن تحقيق أحمد شاكر وأخيه محمود — طبعة دار المعارف بمصر — وهي ناقصة كما رجعت إلى طبعة مصطفى الحلبي الثالثة — ١٣٨٨ هـ — ١٩٦٨ م ، وهي كاملة في ثلاثين جزءاً .
- ٤٤ — تفسير الطوسي (٣٨٥ — ٤٦٠ هـ) : « التبيان » تحقيق أحمد حبيب قصير العامل — عشرة أجزاء — الناشر مكتبة الأمين بالنجف
- ٤٥ — تفسير العز بن عبد السلام اختصار تفسير الماوردي « النكت والعيون » — خ — بدار الكتب المصرية برقم ٣٢ تفسير .
- ٤٦ — تفسير العز بن عبد السلام من تأليفه ابتداء — خ — يوجد منه ثلاث نسخ :
- ١ — نسخة مكتبة دماذ إبراهيم برقم (١١٥) .
- ٢ — نسخة مكتبة قليج على برقم (٤٣) وهما في استنبول .
- ٣ — نسخة مكتبة قطر برقم (٢٥ : ٧٢٣) .

- ٤٧ - تفسير ابن عطية (٤٨١ - ٥٤١ هـ) بتحقيق الأستاذ أحمد صادق الملاح - صدر منه الجزء الأول فقط - الناشر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بمصر - ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م .
- ٤٨ - تفسير الفخر الرازى (ت ٦٠٦ هـ) - ٣٢ جزءاً - طبع عبد الرحمن محمد بالقاهرة .
- ٤٩ - تفسير القرطبي (ت ٦٧١) : الجامع لأحكام القرآن - ٢٠ جزءاً - طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية - ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م .
- ٥٠ - تفسير ابن كثير (ت ٧٧٤ هـ) - أربعة أجزاء - طبع عيسى الحلبي بمصر .
- ٥١ - تفسير النيسابورى (ت ٧٢٨ هـ) : غرائب القرآن ورغائب الفرقان - ثلاثون جزءاً - وهو اختصار لتفسير الفخر الرازى - طبع مصطفى الحلبي بمصر - ط : ١ - ١٣٨١ هـ - ١٩٦٢ م .
- ٥٢ - تفسير الماوردى (ت ٤٥٠ هـ) : النكت والعيون - خ - وقد رجعت إلى ثلاث نسخ - نسخة مكتبة كوبريللى كاملة في ثلاثة أجزاء برقم (٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥) ونسخة مكتبة قليج على ناقصة في جزأين برقم (٩٠) وكلاهما في استنبول ، ونسخة دار الكتب المصرية ناقصة في مجلد برقم (١٩٦٩٣ ب) . وقد رمزت لكل نسخة بالحرف الأول من اسمها
- ٥٣ - تفسير مقاتل بن سليمان (ت ١٥٠ هـ) تحقيق د. عبد الله شحاته - الناشر دار الشروق بالقاهرة .
- ٥٤ - تفسير المنار لمحمد رشيد رضا - طبع الهيئة المصرية - ١٩٧٣ م .
- ٥٥ - التفسير الوسيط لأستاذنا الفاضل الدكتور أحمد السيد الكومى ، والدكتور محمد سيد طنطاوى - طبع دار الجليل بالقاهرة - ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م
- ٥٦ - التفسير والمفسرون لأستاذنا المرحوم الدكتور محمد حسين الذهبي - ثلاثة أجزاء - مطابع دار الكتاب العربى بمصر - ط : ١ - ١٣٨١ هـ - ١٩٦١ م .

- ٥٧ - تلخيص البيان في مجازات القرآن للشريف الرضى ، تحقيق محمد عبد الغنى حسن - الناشر مكتبة بصيرتى بإيران - ط : ١ - ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م .
- ٥٨ - تنزيه القرآن عن المطاعن للقاضى عبد الجبار (ت ٤١٥ هـ) - الشركة الشرقية للنشر - بيروت .
- ٥٩ - التيسير فى القراءات السبع لأبى عمرو الدانى (ت ٤٤٤ هـ) تحقيق المستشرق أوتوبرتزل - مطبعة الدولة - استنبول - ١٩٣٠ م

(ج)

- ٦٠ - الجامع الصغير للسيوطى (ت ٩١١ هـ) - ثلاثة أجزاء - طبع مصطفى الحلبي بمصر .

(ح)

- ٦١ - الحاكم الجشمى ومنهجه فى تفسير القرآن للدكتور عدنان زرزور - طبع مؤسسة الرسالة - بيروت .
- ٦٢ - الحجة فى القراءات السبع لابن خالويه (ت ٣٧٠ هـ) تحقيق د. عبد العال مكرم - طبع دار الشروق بالقاهرة - ط : ٢ - ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م .
- ٦٣ - الحركة الفكرية فى مصر فى العصرين الأيوبي والمملوكى الأول للدكتور عبد اللطيف حمزة - طبع دار الفكر العربى بمصر - ط : ٢ - ١٩٦٨ م .
- ٦٤ - أبو الحسن الماوردى وأثره فى الدعوة لعبد الخالق إبراهيم إسماعيل رسالة دكتوراه من كلية أصول الدين بجامعة الأزهر عام (١٣٩٧) هـ - مطبوعة بالاستنسل .
- ٦٥ - حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة للسيوطى (ت ٩١١ هـ) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - جزآن - طبع عيسى الحلبي بمصر - ط : ١ - ١٩٦٧ م - ١٣٨٧ هـ .
- ٦٦ - حل الرموز ومفاتيح الكنوز لعز الدين عبد السلام المقدسى الواعظ (ت ٦٧٨) المطبعة اليوسفية بطنطا .

(د)

- ٦٧ - الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي (ت ٩١١ هـ)
- ستة أجزاء - الناشر محمد أمين رمج - بيروت .
- ٦٨ - ابن دقيق العيد حياته وديوانه للدكتور علي صافي - طبع دار المعارف بمصر .
- ٦٩ - دول الإسلام للذهبي (٦٧٣ - ٧٤٨ هـ) تحقيق فهم شلتوت
ومحمد مصطفى إبراهيم - جزآن - الهيئة المصرية العامة - ١٩٧٤ م
- ٧٠ - ديوان العجاج برواية عبد الملك الأصمعي - تحقيق د. عزه حسن
- مكتبة دار الشرق - بيروت .

(ذ)

- ٧١ - ذخائر المواريث في الدلالة على مواضع الحديث لعبد الغني
الناقلي (١١٤٣ هـ) - أربعة أجزاء - الناشر ناصر خسرو -
طهران .
- ٧٢ - الذيل على الروضتين لأبني شامة المقدسي (ت ٦٦٥ هـ) طبع
دار الجليل - بيروت - ط : ٢ - ١٩٧٤ م .

(ر)

- ٧٣ - رحلة ابن جبير (٥٤٠ - ٦١٤ هـ) - دار صادر - بيروت -
١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م .
- ٧٤ - رسالة في إعجاز القرآن لعلي بن عيسى الرماني (٢٩٦ - ٣٨٦ هـ)
تحقيق محمد خلف الله ودكتور محمد زغلول سلام - دار المعارف
بمصر - ط : ٢ - ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٨ م .
- ٧٥ - رسالة في علم التوحيد لشيخنا العز مخطوطة في المكتبة الظاهرية
بدمشق برقم (٥٢٠٧) .

(س)

- ٧٦ - سلطان العلماء لأحمد يوسف السيد القرعي - طبع شركة الإعلانات
الشرقية بالقاهرة .
- ٧٧ - سلطان العلماء لمحمد الشرقاوي - مطبعة روزاليوسف .

- ٧٨ - السلوك للمقریزی - مطبعة لجنة التأليف والترجمة - القاهرة - ١٩٥٦ م .
- ٧٩ - سبط النجوم العوالی فی أنباء الأوائل والتوالی لعبد الملك العاصمی (١٠٤٩ - ١١١١ هـ) - المطبعة السلفية بالقاهرة .
- ٨٠ - سنن الترمذی (٢٠٩ - ٢٩٧ هـ) - خمسة أجزاء - طبع مصطفى الحلبي - ط : ١ - ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م .
- ٨١ - سنن أبي داود (٢٠٢ - ٢٧٥ هـ) - طبع مصطفى الحلبي بمصر - ط : ١ - ١٣٧١ هـ - ١٩٥٢ م .
- ٨٢ - سنن ابن ماجه (٢٠٧ - ٢٧٥ هـ) تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي - جزءان - طبع عيسى الحلبي
- ٨٣ - سنن النسائي (٢١٤ - ٣٠٣ هـ) - طبع مصطفى الحلبي بمصر - ط : ١ - ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٤ م .

(ش)

- ٨٤ - شجرة الإيمان لعز الدين بن عبد السلام المقدسی (ت ٦٧٨ هـ) - خ - بمكتبة جامعة استنبول برقم (٣٨١٦) Ay
- ٨٥ - شذرات الذهب فی أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩ هـ) - المكتب التجارى للطباعة والنشر - بيروت .
- ٨٦ - شرح حديث أم زرع فی رسالة صغيرة لشيخنا العز بن عبد السلام - مخطوط يوجد منه نسخة بمكتبة الفاتح باستنبول برقم (١١٤١) .
- ٨٧ - شرح القصائد التسع المشهورة للنحاس (ت ٣٣٨ هـ) تحقيق أحمد خطاب - طبع دار الحرية - بغداد - ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م .
- ٨٨ - الشفاء بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض (ت ٥٤٤ هـ) - جزءان - الناشر دار الفكر - بيروت .

(ص)

- ٨٩ - صحيح البخارى (ت ٢٥٦ هـ) = فتح البارى .
- ٩٠ - صحيح مسلم (٢٠٩ - ٢٦١ هـ) بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي -

خمسة أجزاء - طبع عيسى الحلبي بمصر - ط : ١ - ١٣٧٥ هـ -
١٩٥٥ م .

(ط)

- ٩١ - طبقات الشافعية للأسنوى (ت ٧٧٢ هـ) تحقيق عبد الله الجبوري
- جزءان - مطبعة الإرشاد - بغداد - ط : ١ - ١٣٩١ هـ
- ١٩٧١ م .
- ٩٢ - طبقات الشافعية الكبرى لابن السبكي (٧٢٧ - ٧٧١ هـ)
تحقيق محمود الطناحي وعبد الفتاح الحلو - عشرة أجزاء -
طبع عيسى الحلبي - ط : ١ .
- ٩٣ - طبقات المفسرين للداودي (ت ٩٤٥ هـ) بتحقيق علي محمد عمر
- جزءان - مطبعة الاستقلال الكبرى بمصر - ط : ١ - ١٣٩٢ هـ
- ١٩٧٢ م .

(ع)

- ٩٤ - العزيز بن عبد السلام للدكتور رضوان على الندوى - طبع دار الفكر
بدمشق - ١٣٧٩ هـ - ١٩٦٠ م .
- ٩٥ - عز الدين بن عبد السلام - بائع الملوك لمحمد حسن عبد الله -
الناشر مكتبة وهبة بمصر .
- ٩٦ - عز الدين بن عبد السلام وأثره في الفقه والأصول . رسالة
ماجستير للباحث عبد العظيم فوده من كلية دار العلوم - جامعة
القاهرة - طبعة بالاستنسل - ١٩٧٦ م .
- ٩٧ - عصر سلاطين المماليك لمحمود رزق سليم - مكتبة الآداب
بمصر - ١٩٤٧ م .

(ف)

- ٩٨ - الفتاوى المصرية والموصلية للعزيز بن عبد السلام - خ - بدار
الكتب المصرية برقم (٤٩٨٦) .
- ٩٩ - الفتاوى الموصلية للعزيز بن عبد السلام - خ - بالمكتبة الظاهرية
بدمشق برقم (٧٨٢٦) .

- ١٠٠ - فتح الباري شرح صحيح البخارى (ت ٢٥٦ هـ) للمحافظ ابن حجر العسقلانى (٧٧٣ - ٨٥٢ هـ) - المطبعة السلفية بمصر .
- ١٠١ - الفتوحات الإلهية المعروف بحاشية الجمل (ت ١٢٠٤ هـ) على الجلالين - طبع عيسى الحلبي بمصر .
- ١٠٢ - فوائد فى مشكل القرآن لشيخنا العز بن عبد السلام - بتحقيق د. رضوان الندوى - طبع وزارة الأوقاف بالكويت - ١٩٦٧ م.
- ١٠٣ - فوات الوفيات لابن شاکر الکتبی (ت ٧٦٤ هـ) تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد - جزاءن - مطبعة السعادة بمصر - ١٩٥١ م

(ق)

- ١٠٤ - قواعد الأحكام فى مصالح الأنام للعز - طبع دار الشرق - ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م .

(ك)

- ١٠٥ - كشف الأسرار عن حكم الطيور والأزهار لعز الدين عبد السلام المقدسى (ت ٦٧٨ هـ) - مطبعة وادى النيل - ١٢٨٧ هـ .
- ١٠٦ - كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون لحاجى خليفة - طبعة المعارف الجليلة - ترقية - ١٩٤١ م .
- ١٠٧ - الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكى بن أبى طالب (٣٥٥ - ٤٣٧ هـ) تحقيق د. محي الدين رمضان - جزاءن - طبع مجمع اللغة العربية بدمشق .

(ل)

- ١٠٨ - اللباب فى تهذيب الأنساب لابن الأثير - ثلاثة أجزاء - نشره القدسى بالقاهرة - ١٣٥٧ هـ .
- ١٠٩ - لسان العرب لابن منظور (٦٣٠ - ٧١١ هـ) - طبعة مصورة عن طبعة بولاق - الناشر - الهيئة المصرية .

(م)

- ١١٠ - متشابه القرآن للقاضى عبد الجبار (ت ٤١٥ هـ) تحقيق د. عدنان زرزور - قسمان - طبع دار النصر بالقاهرة .

- ١١١ - المجازات النبوية للشریف الرضی (ت ٤٠٦ هـ) تحقیق طه محمد الزینی - الناشر مكتبة بصیرتی بِقُم فی ایران .
- ١١٢ - مجاز القرآن لأبی عبیده معمر بن المثنی (ت ٢١٠ هـ) - جزءان - تحقیق د. محمود فؤاد سزکین - مطبعة السعادة - ط : ١ سنة ١٣٨١ هـ - ١٩٦٢ م .
- ١١٣ - مختار الصحاح لأبی بکر محمد بن عبد القادر الرازی (ت ٦٦٦ هـ) - طبع عیسی الحلبي بمصر .
- ١١٤ - المختصر فی أخبار البشر لأبی الفداء - دار المعرفة للطباعة والنشر - بیروت .
- ١١٥ - مختصر فی شواذ القرآن من کتاب البدیع لابن خالویه (ت ٣٧٠ هـ) تحقیق ج . برجشتراسر - المطبعة الرحمانية بمصر - ١٩٣٤ م .
- ١١٦ - مسائل الطريقة فی علم الحقيقة للعز بن عبد السلام - مطبوع ضمن کتاب « تحفة الإخوان » لأحمد الدردیری بمطبعة الجمهورية بالقاهرة .
- ١١٧ - مساجلة علمية بین الإمامین الجالیین العز بن عبد السلام وابن الصلاح - تحقیق محمد ناصر الإلبانی وزهیر الشاویش - طبع المكتب الإسلامی بدمشق .
- ١١٨ - مسند الإمام أحمد (١٦٤ - ٢٤١ هـ) - ستة أجزاء - طبع الحلبي - كما رجعت إلى طبعة دار المعارف بتحقیق أحمد شاکر وهی غیر كاملة .
- ١١٩ - مطالعات فی الشعر المملوکی والعثماني للدكتور بکری شیخ أمین - طبع دار الشروق بالقاهرة - ط : ١ - ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م .
- ١٢٠ - معانی القرآن وإعرابه للزجاج (ت ٣١١ هـ) تحقیق د. عبد الجلیل شلبي - الناشر - المكتبة العصرية - بیروت - يقع فی جزأین .
- ١٢١ - معانی القرآن للفراء (ت ٢٠٧ هـ) تحقیق عبد الفتاح إسماعیل شلبي - ثلاثة أجزاء - طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٧٢ م .

- ١٢٢ - معجم شواهد العربية لعبد السلام هارون - جزآن - الناشر
مكتبة الخانجي بمصر - ط : ١ - ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م .
- ١٢٣ - المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي ، رتبه لفيف من
المستشرقين ونشره الدكتور أ. ي . ونسك - سبعة مجلدات
من الحجم الكبير - طبعة بريل - ليدن - ١٩٣٦ م .
- ١٢٤ - معجم مقاييس اللغة لابن فارس (ت ٣٩٥ هـ) تحقيق عبد السلام
هارون - ستة أجزاء - طبع مصطفى الحلبي بمصر - ط : ٢ -
١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م .
- ١٢٥ - العرب من الكلام الأعجمي لأبي منصور الجواليقي (٤٦٥ -
٥٤٠) تحقيق أحمد محمد شاكر - طبع دار الكتاب بمصر -
ط : ٢ - ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م .
- ١٢٦ - مع القائد الروحي للشعب سلطان العلماء على الجبلأطى وأحمد
محمد حسن - طبع الأنجلو المصرية - ١٩٧١ م .
- ١٢٧ - المغول في التاريخ للدكتور فؤاد عبد المعطى الصياد - طبع مكتبة
الشريف وسعيد رأفت بمصر - ١٩٧٥ م .
- ١٢٨ - مقاصد الصلاة للعر بن عبد السلام - خ - بمكتبة شهيد على باشا
باستنبول برقم ١٣٧٢ .
- ١٢٩ - مقدمتان في علوم القرآن وهما : مقدمة كتاب المباني ومقدمة
ابن عطية تحقيق آرثر جفري - مطبعة دار الصاوى بالقاهرة -
١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م .
- ١٣٠ - مقدمة في أصول التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية (٦٦١ - ٧٢٨ هـ)
- المطبعة السلفية بمصر .
- ١٣١ - المقرب لابن عصفور (ت ٦٦٩ هـ) تحقيق أحمد الجوارى وعبد الله
الجبورى - جزآن - مطبعة العاني - بغداد - ط : ١ -
١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م .
- ١٣٢ - ملحة الاعتقاد للعر بن عبد السلام مطبوع في ترجمته في طبقات
الشافعية لابن السبكي .

- ١٣٣ - مناهل العرفان فى علوم القرآن للزرقانى - جزئان - طبع
عيسى الحلبى بمصر .
- ١٣٤ - منهج ابن عطية فى تفسير القرآن الكريم د. عبد الوهاب فايد
- طبع الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية - القاهرة - ١٣٩٣ هـ
١٩٧٣ م .
- ١٣٥ - الموضوعات لابن الجوزى (٥١٠ - ٥٩٧ هـ) تحقيق عبد الرحمن
محمد عثمان - الناشر محمد عبد المحسن بالمدينة المنورة - ط : ١
١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م .

(ن)

- ١٣٦ - نبذة مفيدة فى الرد على القائل بخلق القرآن للعز - خ - بدار
الكتب المصرية برقم (٢٠٧٤٠) .
- ١٣٧ - النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة لابن تغرى بردى
(ت ٨١٣ - ٨٧٤ هـ) - ١٦ جزءاً - طبعة مصورة عن طبعة
دار الكتب المصرية - الناشر الهيئة العامة المصرية .
- ١٣٨ - النحو الوافى لعباس حسن - أربعة أجزاء - طبع دار المعارف
بمصر - ط : ٤ .

(و)

- ١٣٩ - وصية شيخنا العز - خ - بالمكتبة الظاهرية بدمشق برقم (٥٢٥٨) .
- ١٤٠ - وفيات الأعيان لابن خلكان (٦٠٨ - ٦٨١ هـ) تحقيق د. إحسان
عباس - طبع دار صادر - بيروت .

فهرس الموضوعات

صفحة

٥		الاهداء
٧		المقدمة
١٧		الباب الأول : حياة العز وآثاره

الفصل الأول : عصره

٢١		١ - الحالة السياسية في عصره
٢١		الدولة الأيوبية
٢٤		دولة المماليك
٢٨		٢ - الحالة الاجتماعية والاقتصادية في عصره
٢٨		أولاً : الحاكم وأعدائه
٣١		ثانياً : العلماء والفقهاء
٣٤		ثالثاً : العامة
٣٥		رابعاً : أهل الذمة
٣٧		٣ - الحالة العلمية في عصره

الفصل الثاني : نسبه ومولده وطلبه للعلم وأعماله

٤٧		١ - نسبه ومولده
٥٠		٢ - نشأته وطلبه للعلم
٥٤		٣ - أعماله ومواقفه
٥٤		أعماله في دمشق
٥٤		أولاً : التدريس
٥٥		ثانياً : الإفتاء
٥٨		ثالثاً : القضاء والرسالة إلى الخليفة العباسي

٥٩	رابعاً : الخطابة	...
٥٩	تحالف الصالح إسماعيل مع الصليبيين وإنكار الغز عليه	...
٦٢	أعماله في مصر	...
٦٢	أولاً : الخطابة والقضاء	...
٦٣	يبعه لأمرأء الممالك	...
٦٥	حكمه على أستاذ دار الملك	...
٦٦	ثانياً : التدريس والإفتاء	...
٦٩	٤ - وفاته وعمره	...

الفصل الثالث : اتجاهاته الفكرية

٧٣	١ - اتجاهاته الفكرية في التفسير وعلومه	...
٧٧	٢ - اتجاهاته الفكرية في الحديث	...
٧٩	٣ - اتجاهاته الفكرية في العقيدة	...
٨٣	٤ - اتجاهاته الفكرية في الفقه وأصوله	...
٩٠	٥ - اتجاهاته الفكرية في التصوف	...

الفصل الرابع : التعريف بشيوخه وتلاميذه

١٠١	١ - شيوخه وأثرهم فيه	...
١٠٧	٢ - تلاميذه وأثره فيهم	...

الفصل الخامس : مؤلفاته وما نسب إليه

١١٥	١ - مؤلفاته	...
١١٥	مؤلفاته إجمالاً	...
١١٧	مؤلفاته تفصيلاً	...
١١٧	أولاً : التفسير وعلومه	...
١٢٩	ثانياً : الحديث	...
١٣٠	ثالثاً : العقيدة	...
١٣٣	رابعاً : الفقه وأصوله	...
١٥١	خامساً : الفتاوى	...

صفحة

سادساً : التصوف	١٥٢
سابعاً : السيرة	١٥٦
ثامناً : علوم أخرى	١٥٧
٢ - كتب نسبت إليه	١٦٠
الباب الثاني : منهج العز في التفسير	١٦٥
التمهيد : التعريف بتفسير الماوردي والعز	١٦٧

الفصل الأول : مصادر تفسير الماوردي وتأثر المفسرين به

١ - مصادر	١٧٣
أولاً : مصادر في القراءات	١٧٣
ثانياً : مصادر في التفسير بالمأثور	١٧٤
ثالثاً : مصادر اللغوية والنحوية	١٨٠
رابعاً : مصادر الفقهية	١٨٤
خامساً : مصادر أخرى	١٨٥
٢ - اتهام الماوردي بالاعتزال وموقف العز منه	١٨٩
٣ - تأثر المفسرين بتفسير الماوردي	١٩٧

الفصل الثاني : منهج العز في تفسيره المختصر

١ - القراءة	٢٠٣
٢ - تفسير القرآن بالقرآن أو بالسنة	٢١٠
٣ - أسباب النزول	٢١٥
٤ - اللغة والنحو	٢٢٣
٥ - الأحكام الفقهية	٢٣٣
٦ - الإسرائيليات	٢٣٩
٧ - الترجيح والتوجيه	٢٤٧

الفصل الثالث : مقارنة بين تفسيري العز

الخاتمة : القيمة العلمية لتفسير العز المختصر	٢٧١
فهرس المراجع	٢٧٩
فهرس الموضوعات	٢٩٣

